الجامعة الإسلامية- غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية
لمقاصد وأهداف الحزب الرابع عشر من القرآن الكريم
سورة الأنعام من آية (٣٦ – ١١٠)

Analytic study of purposes and goals of Al-Anaam Surah (36-110)

إعداد الطالب

أيمن عبد الحميد أبو سويرح

إشراف الدكتور الفاضل

زهدي محمد أبو نعمة

قدمت هذه الرسالة لاستكمال الحصول على درجة الماجستير في قسم التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٥هـ – ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى والديَّ الحبيبين حفظهما الله .

إلى زوجتي التي ساعدتني وتحملت معي طوال فترة البحث.

إلى ابنتي وقرة عيني آسية الغالية.

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء على قلبي.

إلى أرواح شهداء الإسلام العظيم.

إلى أرواح شهداء عائلتي تقبلهم الله .

إلى أرواح رفاقي الشهداء جمال ورامي أبوسويرح وأبي عبد الرحمن رامي عبيد.

إلى أصدقائي وزملائي ورفاقي وأبناء عائلتي.

إلى علمائنا الأفاضل وإلى كل طالب علم يبتغي مرضاة الله .

إلى كل غيور على دينه ووطنه.

أهدي إليهم جميعاً هذا العمل المتواضع

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين الذي وفقني لانجاز هذا العمل، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير محمد ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

اعترافاً بفضل أهل الفضل، فإني أتقدم بالشكر الجزيل إلى شيخي وأستاذي فضيلة الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة – حفظه الله ورعاه– على ما تكرم به علي من جهود كبيرة وتوجيهات قيمة ونصائح وارشادات مفيدة جعلت البحث يخرج بهذا الشكل.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل إلى عضوي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور رياض قاسم والدكتور فيز حسان أبوعمرة لتفضلهما بمناقشة هذه الرسالة، وما بذلانه من جهود في تعديل وتصويب وملاحظات تنقيح للرسالة لتخرج بإذن الله بأفضل ما يكون.

والشكر للجامعة الإسلامية محضن العلماء ومنارة العلم بكافة دوائرها ومعلميها، وأخص بالذكر أساتذتي في كلية أصول الدين وبخاصة قسم التفسير.

وأتقدم الشكر الجزيل لأهلي الذين كان لهم الدور في توفير الجو الملائم للدراسة والتشجيع، فجزاهم الله عني خير الجزاء .

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور أيمن سليمان أبو سويرح الذي ساعدني كثيراً على جهوده الطيبة معي.

ونهاية شكري لكل من اجتهد معي أو قدم لي مساعدة خلال كتابتي للبحث.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنعم علينا بخير كتاب مبين، وتكفل بحفظ كتابه إلى يوم الدين، وجعله هدى ينير درب المؤمنين، والصلاة والسلام على محمد في كل وقت وحين، وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد :

فإن الله ﷻ أنزل على عبده ونبيه محمد ﷺ قرآناً تتلى آياته وتنظم حياة المسلمين إلى يوم القيامة، وجعل فيه من البلاغة ما يَعجز أمامه أدهى البلغاء، وجعل خير عباده من تعلَّمه وعلَّمه، فهو دستور من آمن بالله وشهد بالتوحيد، لذلك لابد من تدارس وتدبر الكتاب المبين، وفهم معانيه، وتطبيق ما جاء فيه، لينال سعادة الدنيا، والفوز والنجاة وثواب الآخرة، ولقد اعتنى المسلمون بالقرآن الكريم منذ فجر الإسلام عناية شديدة، ودرسوا مختلف العلوم لخدمته، ونَمَت علوم القرآن وترعرعت من جيل إلى جيل، حتى أصبح لكل منها علم خاص، وتعرف العلماء من خلال هذه العلوم على أسرار القرآن الكريم، ومقاصده، وأهدافه، وهذا البحث استمرار لهذه الجهود.

وإذا قمتَ بالبحث، والقراءة للكتب والدراسات والأبحاث العلمية التي تناولت مقاصد القرآن وأهدافه من خلال آياته وسوره، فإنك ستجد أنها تبني مجتمعاً إسلامياً سليماً قوياً راسخاً بأسس ثابتة منيعة، فتراها تزرع الإيمان والتوحيد والعقيدة الصحيحة في قلب الفرد المسلم، وتوجد فيه الأخلاق والعلم، ثم تنتقل للمستوى الثاني بتكوين الأسرة المسلمة، فيضع المبادئ والقيم التي تضبط العلاقة داخل الأسرة، وبعد ذلك تنظم حياة المجتمع والدولة الإسلامية، حيث العلاقات الداخلية، وبناء وتسيير الأمور الحياتية، وتبين كيف نتعامل مع غيرنا من أصحاب الملل الأخرى في السلم والحرب، لأننا أصحاب دين ينظم جميع جوانب الحياة، والقرآن هو دستور من آمن بالله.

وأخيراً أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل، وينفع به، ويكتب لي به الأجر والثواب، اللهم آمين.

أولاً: أهمية الموضوع :

١- الموضوع يتعلق بأشرف الكتب وأجلّها، وهو القرآن الكريم.

٢- يبرز أهداف ومقاصد القرآن والتي تسير مع الحياة إلى يوم الدين.

٣- تفسير الآيات وتوضيحها وإظهار ما فيها من معاني.

٤- الدعوة إلى التوحيد الخالص، وبيان قدرة الله ، ومهمة الرسل ، وحقيقة البعث والجزاء.

٥- كشف حقيقة اليهود وكتمهم لآيات الله ﷻ.

ثانياً : أسباب اختيار الموضوع :

١- الطمع في رضى الله ﷻ، وكون هذا الموضوع ضمن الموسوعة التي أقرها قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين.

٢- خدمة كتاب الله تبارك وتعالى، وإبرازاً لمقاصد وأهداف القرآن الكريم الذي هو كتاب هداية وإرشاد للبشرية جمعاء.

٣- إثراء المكتبة الإسلامية بدراسات خاصة بأهداف القرآن الكريم.

٤- تشجيع أساتذتي في قسم التفسير وعلوم القرآن، وخاصة مشرفي على دراسة مقاصد وأهداف الحزب الرابع عشر من القرآن الكريم.

٥- ترسيخاً للدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف التي اشتملت عليها الآيات.

ثالثاً : أهداف البحث :

١- تقديم الحلول المناسبة للمشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم، وذلك من خلال المقاصد والأهداف لهذا الحزب القرآني.

٢- بيان مقاصد وأهداف سور القرآن الكريم، وربطها في الواقع.

٣- تفسير وتحليل الآيات المتعلقة بكل مقصد وهدف، وربطها مع المحور الأساسي للسورة.

رابعاً : الدراسات السابقة :

بعد البحث في مكتبة الجامعة الإسلامية، وعدد من المكتبات لم أقف على أي بحث أو رسالة علمية بعنوان " الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الرابع عشر من القرآن الكريم "، وأشير إلى أن هذا الموضوع حلقة من مشروع أقره قسم التفسير وعلوم القرآن في الجامعة الإسلامية.

خامساً : منهج الباحث :

١- اتخذت طريق المنهج الموضوعي في البحث، واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي في تحليل مقاصد وأهداف الآيات.

٢- ذكرت مدخلاً لسورة الأنعام بينت فيه عدد آيات السورة، ومحورها الرئيسي، ومناسبتها لما قبلها، وما بعدها.

٣- قمت بتقسيم الآيات إلى مقاطع حسب مقاصد وأهداف كل مقطع، وربطها بالمحور الأساسي لسورة الأنعام، ورجعت إلى أمهات كتب التفسير وعلى بعض الكتب المعاصرة وبعض كتب المحدثين في دراسة وتحليل مقاصد وأهداف الآيات التي تناولناها في البحث.

٤- قمت بربط مدلول الآيات بالمواضيع، والمشكلات الواقعية، واستنبطت حلولها قدر الإمكان.

٥- قمت بتفسير الآيات تفسيرًا إجماليًا وبينت وجوه البلاغة، وأسباب النزول، والمناسبات.

٦- عزوت الآيات المستشهد بها إلى سورها، بذكر اسم السورة ورقم الآية، وذلك في المتن.

٧- استدللت بالأحاديث النبوية التي تخدم البحث، وخرجتها تخريجًا علميًا، ثم بيَّنت حكم العلماء عليها إذا لم تكن في الصحيحين.

٨- رجعت إلى معاجم اللغة لتوضيح وبيان الألفاظ الغريبة.

٩- الرجوع إلى كتب السير والأعلام لترجمة أسماء الأعلام الواردين في البحث.

١٠- خدمت البحث بالفهارس اللازمة.

سادساً: خطة البحث :

الفصل التمهيدي

المبحث الأول : التعريف العام بسورة الأنعام :

ويتضمن خمسة مطالب :

المطلب الأول : اسم السورة وعدد آياتها .

المطلب الثاني : مكان وزمان نزول السورة .

المطلب الثالث : فضائل السورة وجو نزولها .

المطلب الرابع : المحور الأساسي للسورة .

المطلب الخامس : الأهداف العامة للسورة .

المبحث الثاني : المناسبات في سورة الأنعام :

ويتضمن أربعة مطالب :

المطلب الأول : المناسبة لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : مناسبة السورة لما قبلها أي سورة المائدة.

المطلب الثالث : مناسبة السورة لما بعدها أي سورة الأعراف.

المطلب الرابع : مناسبة أول السورة بآخرها .

المبحث الثالث : تعريف الدراسة التحليلية :

ويتضمن مطلبين :

المطلب الأول : المقصود بالدراسة التحليلية .

المطلب الثاني : متطلبات الدراسة التحليلية .

المبحث الرابع : تعريف المقاصد والأهداف وأهميتها :

ويتضمن خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف المقاصد لغةً واصطلاحًا .

المطلب الثاني : تعريف الأهداف لغةً واصطلاحًا .

المطلب الثالث : الفرق بين المقاصد والأهداف .

المطلب الرابع : أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات .

المطلب الخامس : أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات .

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنعام من الآية (٣٦ ــ ٥٨)

ويتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : إعراض الكافرين عن القرآن الكريم عناداً وكفراً ، من الآية (٣٦ ــ ٤١):

ويحتوي على سبعة مطالب :

المطلب الأول : استجابة المؤمنين دليل حياتهم، وعناد الكافرين دليل موتهم .

المطلب الثاني : عناد الكافرين وإعراضهم مع وجود الآيات والمعجزات العديدة .

المطلب الثالث : علم الله ﷻ وقدرته المطلقة .

المطلب الرابع : القرآن الكريم كلام الله الكامل الشامل .
المطلب الخامس : العدالة الربانية بالقصاص يوم القيامة .
المطلب السادس : مشيئة الله الغالبة في الهداية والإرشاد .
المطلب السابع : دعاء المؤمنين والكافرين في الكربات والشدائد .

المبحث الثاني : السنن الربانية، من الآية (٤٢ــ ٤٧) :
ويحتوي على ثلاثة مطالب :
المطلب الأول : إهلاك الأممالتي تكذب بالرسل في الدنيا .
المطلب الثاني : سنة الاستدراج طريق المتكبرين إلى الهاوية .
المطلب الثالث : سلب النعم عن المكذبين الكافرين .

المبحث الثالث : مهمة النبي ﷺ، من الآية (٤٨ــ ٥٨):
ويحتوي على تسعة مطالب :
المطلب الأول : مهمة الأنبياء تبشير المؤمنين، وإنذار الكاذبين .
المطلب الثاني : الرسول ﷺ بشر يوحى إليه، ولا يعلم الغيب .
المطلب الثالث : إرشاد المؤمنين إلى سبيل النجاة.
المطلب الرابع : أمر النبي ﷺ بملازمة المؤمنين ومجالستهم.
المطلب الخامس : تفصيل الآيات لتوضيح أمور الدين وطريق المجرمين.
المطلب السادس: تبرؤ النبي ﷺ من الشرك وأهله.
المطلب السابع : النبي على بينة من ربه.
المطلب الثامن : استعجال المشركين للعذاب الذي هو بيد الله ﷻ.
المطلب التاسع: الحاكمية لله رب العالمين.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنعام من الآية (٥٩ ــ ٧٣)

ويتضمن مبحثين هما :

المبحث الأول : مفاتح الغيب والعلم الدقيق، من الآية (٥٩ــ ٦٤) :

ويحتوي على خمسة مطالب :

المطلب الأول : استئثاره تعالى بالغيب.

المطلب الثاني : آيات الله تعالى في الليل والنهار، والموت، والبعث والجزاء.

المطلب الثالث : خضوع كل شيء للواحد القهار.

المطلب الرابع : رجوع الخلق لربهم يوم القيامة.

المطلب الخامس: نعمة الله تبارك وتعالى على العباد بإنجائهم من الشدائد.

المبحث الثاني : وعيد وتهديد، من الآية (٦٥ ـ ٧٣) :

ويحتوي على أربعة مطالب :

المطلب الأول : التحذير من ألوان مختلفة من العذاب .

المطلب الثاني : الإعراض عن مجالسة المستهزئين لئلا يحاسبوا بما يقولوا.

المطلب الثالث : الأمر بالإخلاص، وإقامة الصلاة للنجاة من سخط الله ﷻ.

المطلب الرابع : خالق الكون قادر على البعث والجزاء .

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنعام من الآية (٧٤ ـــ ٩٤)

ويتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، من الآية (٧٤ ـ ٨٣) :

ويحتوي على ستة مطالب :

المطلب الأول : دين إبراهيم عليه السلام الصافي الخالص .

المطلب الثاني : استدراج إبراهيم عليه السلام لقومه، وإقامة الحجة على بطلان عبادة الأوثان .

المطلب الثالث : إعلان إبراهيم عليه السلام عن إيمانه وتوحيده لله ﷻ.

المطلب الرابع : مجادلة إبراهيم عليه السلام لقومه .

المطلب الخامس : أثر الإيمان الخالص في جلب الأمن والاستقرار .

المطلب السادس : فضل إبراهيم عليه السلام .

المبحث الثاني :ذكر الرسل والأنبياء (عليهم السلام)، من الآية (٨٤ ــ ٩٠) :

ويحتوي على أربعة مطالب :

المطلب الأول : أبناء إبراهيم عليه السلام من الرسل والأنبياء .

المطلب الثاني : الشرك يحبط الأعمال .

المطلب الثالث : سنة التغيير والاستبدال.

المطلب الرابع: أمر الرسول ﷺ بالإقتداء بهم .

المبحث الثالث : الرد على منكري الوحي، من الآية (٩١ ــ ٩٤) :

ويحتوي على أربعة مطالب :

المطلب الأول : إنكار اليهود إنزال أي كتاب على بشر.

المطلب الثاني : علاقة القرآن بالكتب السماوية .

المطلب الثالث : كذب وافتراء الكافرين والمكذبين .

المطلب الرابع : انقطاع العلاقات بين المشركين وآلهتهم .

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنعام من الآية (٩٥ ــ ١١٠)

ويتضمن أربعة مباحث :

المبحث الأول : مظاهر قدرة الله في الكون ، من الآية (٩٥ ـ ٩٩):

ويحتوي على خمسة مطالب :

المطلب الأول : إخراج الحي من الميت ، والميت من الحي .

المطلب الثاني : استعراض آيات الصبح والليل والشمس والقمر .

المطلب الثالث : الاهتداء بالنجوم في الأسفار .

المطلب الرابع : خلق الإنسان من نفس واحدة .

المطلب الخامس : الماء سبب في الحياة .

المبحث الثاني: نفي مزاعم الكافرين،وتقرير التوحيد الصحيح، من الآية (١٠٠ ـ١٠٥) :

ويحتوي على خمسة مطالب :

المطلب الأول : افتراء الكافرين بزعمهم أن لله ﷻ شركاء من الجن.

المطلب الثاني :الرد على من نسب لله ﷻ الولد.

المطلب الثالث : صفات الله القدسية .

المطلب الرابع : القرآن جاء فيه البيان والبصائر .

المطلب الخامس : ادعاء الكافرين جهلا أن النبيﷺ درس الكتب وجاء بالقرآن .

المبحث الثالث : صور من منهج التعامل مع المشركين، من الآية (١٠٦ــ ١٠٨) :

ويحتوي على مطلبين :

المطلب الأول : اتباع أمر الله ﷻ، والإعراض عن الجاهلين .

المطلب الثاني : النهي عن مبادلة الكفار السب والشتم .

المبحث الرابع : عناد المشركين، من الآية (١٠٩ــ ١١٠) :

ويحتوي على مطلبين :

المطلب الأول : الآيات والمعجزات بيد الله وليس بطلبات المشركين.

المطلب الثاني : حال المشركين المخالف للفطرة .

الخاتمة : وتشمل ملخص البحث، وأهم النتائج والتوصيات، وملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.

الفهارس :

١- فهرس الآيات القرآنية .

٢- فهرس الأحاديث النبوية .

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم .

٤- فهرس المصادر والمراجع .

٥- فهرس الموضوعات .

الفصل التمهيدي

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : التعريف العام بسورة الأنعام .

المبحث الثاني : المناسبات في سورة الأنعام .

المبحث الثالث : تعريف بالدراسة التحليلية .

المبحث الرابع : تعريف المقاصد والأهداف وأهميتها .

المبحث الأول
التعريف العام بسورة الأنعام

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها.

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة.

المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها.

المطلب الرابع: المحور الأساس للسورة.

المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة.

المبحث الأول
التعريف العام بسورة الأنعام

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة، وعدد آياتها.

أولاً / أسماء السورة:

١- الأنعام: هو اسم توقيفيٌّ لهذه السورة، ولم يُعرف لها غيره، وعُرفت هذه السورة بهذا الاسم في أيام النبي ﷺ وبقي معروفًا ويُكتب في المصاحف حتى يومنا هذا، قال ابن عاشور: "ليس لهذه السورة إلا هذا الاسم منذ عهد رسول الله ﷺ، وروى الطبراني بسنده إلى عبد الله بن عمر: قال رسول الله ﷺ: (نَزَلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الأَنْعَام جُمْلَةً وَاحدةً وَشَيَّعَهَا سَبْعُونَ أَلْفاً منَ الْمَلَائكَة لَهُمْ زَجْلٌ بالتَّسْبيح والتّحْميد)[١]، وورد عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن مسعود، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وأسماء بنت يزيد بن السكن[٢] ـ رضي الله عنهم أجمعين ــ تسميتهم في كلامهم سورة الأنعام، وكذلك ثبت تسميتها في المصاحف وكتب التفسير والسُّنة."[٣]

وعن سبب تسميتها بهذا الاسم قال الإمام السيوطي: "وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها وإن كان لفظ الأنعام ورد في غيرها، إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا**﴾ [الأنعام:١٤٢] إلى قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ البَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام:١٤٤] التفصيل لم يرد في غيرها"[٤]، ومن علل التسمية أنَّ الأنعام أبرز قضاياها الموضحة لجهالات المشركين تقرباً بها إلى

---

[١] - المعجم الصغير للطبراني ١/ ١٤٥، باب من اسمه إبراهيم، رقم ٢٢٠، وقال المحقق محمد شكور عنه ضعيف.

[٢] - أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية الأشهلية، يقال لها خطيبة النساء، روت عن رسول الله ﷺ، بايعته وشهدت بعض المشاهد وأبلت فيها مثل معركة اليرموك، انظر : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٤٩٨/٧.

[٣] - التحرير والتنوير لابن عاشور ١٢١/٧.

[٤] - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣٦٨/٢.

أصنامهم، فالعرب كانوا ينظرون للأنعام على أنها ثروتهم الأساسية وعصب حياتهم، فتعاملوا معها على أنها تخصهم ولا علاقة لله تعالى بها[1].

وكان كفار قريش يشركون بالله ﷻ، ويعتقدون بأن لهم حرية التصرف بالأنعام، إذ كانوا يُحرمون أصنافًا من الأنعام على أنفسهم ويجعلون قسماً منها لآلهتهم وأصنامهم، وقسماً لله ﷻ، ثم يجورون على القسم الذي جعلوه لله ﷻ فيأخذون منه لأصنامهم، ويخبرهم الله تعالى أن التوحيد يجب أن يكون في الاعتقاد وفي التطبيق أيضاً، ويجب أن يوحّد الله ﷻ في كل التصرفات وليس في المعتقدات فقط، وهذا توجيه ليس فقط لكفار قريش، وإنما توجيه لعامة للناس الذين يعتقدون بوحدانية الله تعالى ولكن تطبيقهم ينافي معتقدهم.

٢- الحُجَّة: ذكر بعض المفسرين هذا الاسم للسورة، "وذلك لأنَّها مقصورة على ذكر حُجَّة النبوة، وأيضاً تكررت فيها لفظة (الحُجَّة) كما في قوله تعالى:﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنعام:٨٣] ، وقوله تعالى:﴿**قُلْ فَللهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الأنعام:١٤٩] "[2].

ثانياً / عدد آياتها:

أُختلف في عدد آياتها، فعند الكوفيّين عدد آياتها مائة وخمس وستون، ورأي البصريّين والشاميّين أنّها مائة وست وستون فاختلفوا معهم وقالوا أن الآية: [الأنعام:١٦١]تنقسم إلى آيتين هما: ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾، والآية الأخرى: ﴿**دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾، لذلك زادوا عنهم في عدد الآيات، ويقول الحجازيون أن عدد آيات سورة الأنعام مائة وسبع وستون، واختلفوا عنهم فقالوا أن أول آية في السورة: ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام:١] تنقسم إلى آيتين، الآية الأولى هي: ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾، والثانية هي قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾، وكذلك الآية: ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ في روايتهم أنها آيتين، هما: ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾،

---

[1] - في ظلال القرآن لسيد قطب ٢ / ١٠١٨ .

[2] - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي ١ /١٢٩.

والثانية: ﴿دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، والراجح عندنا المعمول به في مصاحفنا كما في رواية حفص عن عاصم أنها خمس وستون آية[1].

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة.

" أما زمان نزولها قال ابن عاشور روي أن قوله تعالى:" ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٢] الآية نزلت في مدة حياة أبي طالب، أي قبل سنة عشر من البعثة، فإذا صح ذلك كان ضابطاً لسنة نزول هذه السورة"[2].

المطلب الثالث :فضائل السورة، وجو نزولها.

أولاً / فضائل السورة :

من فضائل سورة الأنعام أنها نزلت جملة واحدة يشيعها سبعون ألفاً من الملائكة، فعن أسماء بنت يزيد قالت: (نَزَلَتْ سُورَةُ الأَنْعَامِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ جُمْلَةً، وَأَنَا آخِذَةٌ بِزِمَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنْ كَادَتْ مِنْ ثِقَلِهَا تَكْسِرُ عِظَامَ النَّاقَةِ)[3].

وجاء من الأحاديث ما يُبيّن فضل السورة مع السور الطوال التي هي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، فروي عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: (مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الْأُوَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ خَيْرٌ)[4]، وعن واثلة بن الأسقع، قال: قال النبي ﷺ: (أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَمَكَانَ الزَّبُورِ الْمائِينَ، وَمَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِي، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ)[5]، "قلت ــ أي البيهقي ــ : يحتمل أن يكون المراد بالسبع في هذا الحديث السبع الطوال، وهن في قول سعيد بن جبير : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس"[6].

---

[1] – انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي ١٢٩/١.

[2] – التحرير والتنوير لابن عاشور ٧ / ١٢١.

[3] – إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري كتاب التفسير، سورة الأنعام، ج٦ /٢٠٦، رقم٥٦٩٠، قال الهيثمي : فيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثّق، (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي كتاب التفسير، باب سورة الأنعام، ج٧ /٢٠، رقم ١٠٩٩٣.

[4] – المستدرك على الصحيحين للحاكم كتاب فضائل القرآن ج١/ ٥٦٤، رقم ٢٠٢٥، ومسند أحمد ج٤٩/٥٠١، حديث رقم ٢٤٤٤٣، بلفظ حبر بدل خير، قال عنه الحاكم صحيح الإسناد .

[5] – السنن الصغير للبيهقي ج٣٤١/١، رقم ٧٤٨، قال عنه الألباني مرسل صحيح بمجموع طرقه، السلسلة الصحيحة ٥٤/٤ رقم، ١٤٨٠.

[6] – المرجع السابق ج٣٤١/١، رقم ٧٤٨.

ثانياً / جو نزولها:

بُعث رسول الله ﷺ بهذا الدين وأخصب بلاد العرب وأغناها في يد غير العرب، بلاد الشام كانت خاضعة للروم يحكمها أمراء من العرب يتبعون الرومان، وبلاد اليمن كلها يسيطر عليها الفُرس يحكمها أمراء من العرب يتبعون لهم، ولم يكن في يد العرب إلا أرض الحجاز ونَجْد وما يليها من الصحاري القاحلة التي تناثرت فيها الواحات الخصبة هنا هناك[١].

وتميَّزت الفترة التي نزلت فيها سورة الأنعام بقسوة المشركين وعنفهم في مقاومة الدعوة الإسلامية التي كانت في نشأتها، واستخدموا كل ما بوسعهم لمواجهتها وإنكارها، فقد بدأت الدعوة سراً ثم جهر النبي ﷺ بدعوته في مكة، ونزلت السورة تستعرض الأدلة على توحيد الله ﷻ وقدرته، ثم ساقت أدلة المشركين وشُبههم وأبطلتها وفنّدتها، وكان العرب في هذا الوقت يغرقون في جاهلية ذميمة، وتنتشر بينهم عادات منكرة حاربها دين الله ﷻ، ودعا إلى نبذها كانتشار الدعارة الرذيلة كما يظهر في حديث عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ﷺ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ : (أَنَّ النِّكَاحَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ، فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فَيُصْدِقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا، وَنِكَاحٌ آخَرُ كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ إِذَا طَهُرَتْ مِنْ طَمْثِهَا أَرْسِلِي إِلَى فُلَانٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ، وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا وَلَا يَمَسُّهَا أَبَدًا حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الْوَلَدِ فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الِاسْتِبْضَاعِ، وَنِكَاحٌ آخَرُ يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ الْعَشَرَةِ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالِيَ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، تَقُولُ لَهُمْ قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلَانُ تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ، فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ، وَنِكَاحُ الرَّابِعِ يَجْتَمِعُ النَّاسُ الْكَثِيرُ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ لَا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ (تَمْنَعُ مَنْ) جَاءَهَا، وَهُنَّ الْبَغَايَا، كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا فَمَنْ (لِمَنْ) أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا وَدَعَوْا لَهُمُ الْقَافَةَ[٢]ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ، فَالْتَاطَ (فَالْتَاطَتْهُ)[٣] بِهِ وَدُعِيَ ابْنَهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْحَقِّ هَدَمَ نِكَاحَ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ الْيَوْمَ)[٤]، وهذه صورة من صور العادات القبيحة إضافة إلى شرب الخمر ووأد البنات والتقرب للأصنام بالأنعام

---

[١]– انظر : في ظلال القرآن ١٠٠٤/٢.

[٢] – القافة : جمع قائف وهو الذي يعرف الآثار. انظر لسان العرب ٣٧٧٦/٥.

[٣] – التاطه : أي التصق به ، انظر لسان العرب ٤٠٨٩/٥.

[٤] – صحيح البخاري كتاب النكاح، باب لا نكاح إلا بولي، ج ١٥/٧، رقم ٥١٢٧.

واستضعاف الناس واستعبادهم واستهتارهم بالنفس البشرية وكرامتها وغير ذلك، وهذه السورة قد أثبتت وحدانية الله ﷻ، وبطلان ما يشرك الكافرون ويعبدون من دون الله، وهي أساس وأصل في مواجهة المشركين والملحدين والمبتدعين ومن أنكر شيئاً من عقيدتنا وشرعنا، وقال القرطبي: "قال العلماء: هذه السورة أصلٌ في محاجّة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذّب بالبعث والنشور وهذا يقتضي إنزالها جملةً واحدةً لأنها في معنى واحد من الحُجة وإن تصرَّف ذلك بوجوه كثيرة وعليها بنى المتكلمون أصول الدين لأن فيها آيات بيّنات ترد على القدرية دون السور التي تذكر المذكورات"[١].

ونزول السورة ليلاً جملة واحدة يدل على أن فيها ما يبدّد الظلام ويضيء للبشرية طريقاً منيراً يهدي الناس للطريق القويم .

المطلب الرابع: المحور الأساس للسورة.

يدور محور السورة حول العقيدة والإيمان، وتناولت القضايا الكبرى الأساسية لأصولها وهي: الألوهية، والوحي والرسالة، والبعث والجزاء .

قال سيد قطب ـ رحمه الله ـ: "هذه السورة مكيّة من القرآن المكي، القرآن الذي ظل يتنزَّل على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً كاملة، يُحَدّثه فيها عن قضيّة واحدة لا تتغير، ولكن طريقة عرضها لا تكاد تتكرر؛ ذلك أن الأسلوب القرآني يدعها في كل عرض جديدة، حتى لكأنَّما يطرقها للمرة الأولى، لقد كان يعالج القضيَّة الأولى والقضيَّة الكبرى والقضيَّة الأساسيَّة في هذا الدين الجديد: قضيَّة العقيدة"[٢].

" إن هذه السورة حوارٌ شاملٌ مع الكافرين في كل الاتجاهات الرئيسيَّة للكفر، سواء كانت نظريَّة، أو كانت عمليَّة، ولذلك فإن على الداعية إلى الله أن يتملَّى حُججها ويعرف كيف يقرع بها"[٣].

ويقول الصابوني: " نجد الحديث في هذه السورة مستفيضاً يدور بشدة حول هذه الأصول الأساسيَّة للدعوة الإسلامية، ونجد سلاحها في ذلك الحُجة الدامغة، والدلائل الباهرة، والبرهان القاطع في طريق الإلزام والإقناع لأن السورة نزلت في مكَّة على قوم مشركين، ومما يلفت النظر

---

[١] – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦ /٣٨٣ .

[٢] – في ظلال القرآن ١٠٠٤/٢.

[٣] – الأساس في التفسير لسعيد حوى ١٦٦١/٣ .

في السورة الكريمة أنها عرضت لأسلوبين بارزين لا نكاد نجدها بهذه الكثرة في غيرها من السور هما : أسلوب التقرير، وأسلوب التلقين"[1].

وأسلوب التقرير يعرض أدلة توحيد الله، ودلائل وجوده وقدرته، ويستخدم ضمير الغائب في تقرير ما سبق، ويأتي بعبارة " هو " دلالة على الخالق المدبر الحكيم. والثاني أسلوب التلقين ويظهر في تعليم وتلقين النبي ﷺ الحُجة ليواجه خصومه، ويأتي هذا الأسلوب بطريق السؤال والجواب، فيسألهم ثم يُجيب، لأنَّهم عاجزون عن الإجابة ومواجهة الحجة الدامغة[2].

ولقد كشفت هذه السورة الكريمة كثيراً مما كان عليه أهل الجاهلية من زيغ وضلال وانحرافات ومخالفات وأباطيل وشبهات ومعتقدات باطلة وتقاليد فاسدة، نفتها وقوَّضتها بالدلائل والبراهين وإقامة الحُجَّة، وبذلك رسَّخت قواعد الإيمان وأصول العقيدة .

وأيضاً تحدَّثت عن الوصايا العشر التي نزلت في الكتب السابقة، وكشفت أن الإنسان خليفة الله تعالى في الأرض خلقه لعمارتها، وهذه أمور تتعلق بعقيدتنا الصحيحة السليمة القوية.

المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة.

"الهدف الأساسي للسورة هو تركيز العقائد الأساسية التي كان المشركون يومئذ يتنازعون فيها، وهي توحيد الألوهية، والإيمان بالرسالات السماوية، ورد الشبهات التي تثار حول الوحي والرسالة، والإيمان باليوم الآخر وما يتضمنه من البعث والجزاء"[3].

١- بدأت السورة بالحمد ليُعلّم النَّاس كيف يحمدوه على نعمه فهو مبدع العوالم.

٢- وأثبتت السورة توحيد الألوهية، حيث ذكرت إدعاءات الكفار الباطلة وشبهاتهم، ودحضتها بالدلائل والحجج العقلية، وبيَّنت أن الله ﷻ خالق الكون، له الصفات القدسيَّة، لم يكن له ولد ولا ينبغي ذلك، والمتصرف والمدبر لأمور الكون بيده الخير والشَّر والضُّر والنَّفع، لا رادّ لقضائه ولا معقّب لحكمه، يُسيّر الكون بسنن ثابتة، ومهما بلغ الإنسان من قوة فإنه يبقى ضعيفاً أمام قدرة الله يعجز أن يدفع عن نفسه السوء أو ينجي نفسه من النوازل والمصائب، وأوضحت السورة أن الحاكمية لله وحده، وهو الأحق أن يُعبد وألا يُشرك به شيئاً.

٣- تناولت الوحي والرسالة، فإن الله تعالى يرسل المرسلين ويعلم أين تكون وفيمن يجعلها، يوحي الله ﷻ لبشر لينقذوا الناس من الضلالات ويُبشروا المؤمنين بالثواب وينذروا الكافرين بالعقاب،

---

[1] – صفوة التفاسير للصابوني ١/ ٣٤٨.

[2] – انظر: المرجع السابق ٣٤٨/١.

[3] – أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم للدكتور عبد الله شحاتة ٧٦/١.

ويؤيد الله أنبياءه بمعجزات ليس لهم فيها يد، وأنزل تبارك وتعالى على محمد ﷺ معجزةً خالدةً قرآناً فيه شفاءٌ ونورٌ مصدقاً لما قبله، وأمر النبي ﷺ ومن تبعه بموالاة المؤمنين والبراء من الشرك وأهله، وجاء فيها من الآيات التي تسلّي النبي ﷺ وتثبّت فؤاده، وذكرت إبراهيم عليه السلام وجملة من أبنائه الأنبياء، وأمر النبي ﷺ أن يقتدي بهم، وعرضت السورة بعض ما حرّم على اليهود، وبعضاً مما في شريعة محمد ﷺ كأحكام الذبائح وتحريم بعضاً من عادات الجاهلية، كما افتتح الربع الأخير من السورة بعشر وصايا تقرر أصول الدين والأخلاق والقيم والآداب الاجتماعية (الوصايا)، وختمت الآية بأن بيَّن الله أن الإنسان مستخلفٌ في الأرض عليه عمارتها .

٤- تحدَّثت السورة الكريمة عن قضيَّة البعث والجزاء التي أنكرها المشركون أشد الإنكار، إنَّ الله قاهرٌ فوق عباده عباده، خالق الكون بإحكام وإتقان، قادرٌ على بعث الناس مرةً أخرى، جامعهم يوم القيامة وواضع لهم الموازين العادلة، فمجاز لهم على أعمالهم، مقتص للمظلوم من ظالمه، ومضاعف الحسنات وجاعل جزاء السيئة بمثلها، وذلك الفوز العظيم والخسران المبين.

المبحث الثاني
المناسبات في سورة الأنعام

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : المناسبة لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : مناسبة السورة لما قبلها أي سورة المائدة.

المطلب الثالث : مناسبة السورة لما بعدها أي سورة الأعراف.

المطلب الرابع : مناسبة أول السورة بآخرها .

المبحث الثاني
المناسبات في سورة الأنعام

ويتضمن أربعة مطالب :

المطلب الأول : المناسبة لغةً واصطلاحاً .

أولاً/ تعريف المناسبة لغةً :

المناسبة في اللغة من الفعل (نَسَبَ)، وهي تأتي على عدة معاني، منها:

النَسَب: القرابة، والنسبة مصدر الانتساب، والنَسيب المُناسب والجمع نُسباء، والنسيب الطريق المستقيم الواضح، وتأتي المناسبة بمعنى المشاكلة[١].

" والفعل (نَسَبَ): يعنى اتّصال الشيء بالشيء "[٢].

ثانياً/ تعريف المناسبة اصطلاحاً:

جاءت عدَّة تعريفات للمناسبة عند العلماء في مصنَّفات وكتب علوم القرآن:

نقل الزركشي عن أبي بكر بن العربي[٣]: " ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، مُتَّسقة المعاني، منتظمة المباني، علمٌ عظيمٌ "[٤].

نقل الزركشي عن العزُّ بن عبد السلام[٥]: " المناسبة علمٌ حسنٌ، ولكن يُشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإنْ وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه أحدهما الآخر "[٦].

---

١ – انظر: لسان العرب لابن منظور ٤٤٠٥/٦ – ٤٤٠٦.

٢ – معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٢٣/٥.

٣ – أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الأندلسي، ولد في الأندلس في شعبان سنة ٤٦٨هـ، وسافر إلى مكة ومصر والشام وبغداد لطلب العلم ولقي عدداً من العلماء والمحدثين هناك، ولي القضاء في بلده، صنَّف في التفسير وغيره من العلوم، مات في ربيع الآخر عام٥٤٣ هـ، انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص ٩٠.

٤– البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٦/١.

٥ – هو عبد العزيز بن عبد السلام المشهور بالعز بن عبد السلام ولد سنة ٥٧٧هـ أو ٥٧٨هـ ، ولقب ببائع الأمراء، هو شيخ الإسلام وأحد الأئمة الأعلام، اشتهر بعلمه وأمره بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان له دور عظيم في قتال التتار ، انظر : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨ /٢٠٩ – ٢١١ .

٦– البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٧/١ .

عرَّفها السيوطي بقوله: "ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام، أو خاص، عقلي، أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلَّة والمعلول، والنظيرين والضدين، ونحوه"[1].

وأما منَّاع القطَّان فقال إن المراد بالمناسبة : "وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة"[2].

والتعريف المناسب للمناسبة كما يراه الباحث هو تعريف البقاعي: " علم مناسبات القرآن علمٌ تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحالى"[3]، وذلك لأنه بيَّن الهدف من هذا العلم، وموضوعه، وثمرته والغاية منه، كما تستطيع أن تقول إنه اشتمل على أنواع المناسبات، سواء المناسبة في الآية الواحدة، أو بين الآيات في السورة الواحدة، أو بين السورة والسورة الأخرى، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني : مناسبة سورة الأنعام لما قبلها المائدة .

مناسبة هذه السورة لآخر المائدة أنها افتتحت بالحمد، وتلك ختمت بفصل القضاء، وهما متلازمتان، وافتتحت بذكر أن الله الخالق والملك والمتصرف في شئون المخلوقات، وله الإباحة والتحريم، فيجب ألَّا يتعدى عليه، وذكر أنه خلق الإنسان، وقضى له أجلاً مسمىً يموت فيه، وآخر للبعث، وهو مُنشئ القرون والأقوام قرناً بعد قرن، ثم قال: ﴿**قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [الأنعام:١٢]، فأثبت له جميع المنظورات، ثم قال: ﴿**وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾ [الأنعام: ١٣] فأثبت له ملك جميع المظروفات لظرفي الزمان، وختام السورة السابقة – أي المائدة – فيه إثبات كمال سلطان الله ﷻ، وقدرته الشاملة، وأنه لَا يُعجزه شيٌء مما خلق، إذ قال سبحانه: ﴿**لله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [المائدة:١٢٠] ، وفي هذه الآية يُبيُن سبحانه السبب في كمال سلطانه، ويُظهر عظم وكمال قدرته، وهو خالق السماوات والأرض ومن فيهن، وخلقهن من أسباب السلطان الكامل على السماوات والأرض ومن فيهن، وهو مظهر كامل لكمال قدرته سبحانه وتعالى، وهذا قوله تعالى: ﴿**الحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام:١] وذكر أنه خلق سائر الحيوان من الدَّواب

---

[1] – الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ٣٠١.

[2] – مباحث في علوم القرآن للقطان ص ٩٧.

[3] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٦/١.

والطير، ثم ذكر النوم واليقظة والموت والحياة، ثم أكثر من ذكر ما خلق في الكون كنجوم، وفلق الإصباح، وخلق الحبّ والنَّوى، والثمار والنبات بأنواعها، والجنات المعروشات وغيرها، وإنزال الماء، والأنعام منها حمولةً وفرشاً، وكل ذلك تفصيل لملكه الذي أثبته في نهاية سورة المائدة، وهذه مناسبة جليلة، ولما ذكر في سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧] فأخبر أنهم افتروا على الله ﷻ فحرَّموا أشياءً مما رزقهم، وحذَّر المؤمنين أن يصنعوا صنيعهم فيُحرموا شيئاً مما أحلَّ الله ﷻ؛ لئلا يشابهوا بذلك الكفار، وكان ذكر ذلك على سبيل الإيجاز، وفي سورة الأنعام ساق مبيناً ما حرَّمه الكفار فأتى به على الوجه الأبين والنمط الأكمل، ثم جادلهم فيه، وأقام الدلائل على بطلانه وعارضهم وناقضهم إلى غير ذلك مما اشتملت عليه القصة، فكانت هذه السورة شارحةً ومفصلةً ومبسطةً متمةً لما تضمنته المائدة على سبيل الإجمال والإيجاز [١].

المطلب الثالث : مناسبة سورة الأنعام لما بعدها الأعراف .

إنَّ موضوع السورتين الأساسي هو العقيدة، ولكن سورة الأنعام تعالج العقيدة في ذاتها وتعرض موضوع العقيدة وحقيقتها، وتواجه الجاهلية بالحق وتستصحب معها تلك المؤثرات العميقة العنيفة الكثيرة، أما في سورة الأعراف فإنها تعرض موضوعها في مجال آخر، وهو مجال التاريخ البشري، ورحلة البشرية كلها مبتدئة بالجنة والملأ الأعلى، وعائدة إلى النقطة التي انطلقت منها، وتعرض موكب الإيمان الذي يحمل العقيدة على مدار التاريخ من لدن آدم عليه السلام إلى الحبيب محمد ﷺ [٢].

وسورة الأنعام فيها بيان للخلق، يقول تعالى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ [الأنعام:٢] ، وبيان لهلاك الأمم السابقة، فيقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ [الأنعام:٦] ، وأُشير فيها إلى ذكر بعض المرسلين، وعرض كل ذلك على وجه الإجمال لا التفصيل، فجاءت بعدها الأعراف شارحةً لهذه الأمور الثلاثة، ومفصلةً لها كما لم يذكر في غيرها من السور، فأبلغت في بسط قصة آدم عليه السلام وجعله خليفة في الأرض في الآيات من الثانية إلى السادسة، ثم فصَّلت قصص المرسلين وأممهم وكيفية إهلاكهم تفصيلاً شافياً، وكذلك بسط حال القرون المهلكة ورسلهم، فذكر قوم نوح وعاد وثمود، وقال الله تعالى في الأنعام : ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:١٢] ، وهنا إيجاز فصَّله

---

[١] – انظر: تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي ص٨٣ – ٨٥ ، وزهرة التفاسير لأبي زهرة ٥ /٢٤٣٠.

[٢] – انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ٣ /١٢٤٤ .

بقوله تعالى : ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦]، فبيَّن لمن كُتبت الرحمة، وجاء في آخر الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣] ، وقوله : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام:٩٢] ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٥]، ثم افتتحت الأعراف بالأمر باتباع الكتاب: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:٣] ، وأيضاً لمَّا جاء في الأنعام: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩] ، و ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام:١٦٤]، وقال تعالى في افتتاح الأعراف: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ* فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف ٦-٧] ، وذلك شرح التنبئة المذكورة، وأيضاً لمَّا قال في الأنعام : ﴿مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٦٠] ، ذكر في الأعراف فقال: ﴿وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٨] ، ثم ذكر من ثقلت موازينه، ومن زادت حسناته على سيئاته، ثم ذكر من خفت موازينه وهو من زادت سيئات على حسناته، ثم ذكر بعد ذلك أصحاب الأعراف الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم[١].

المطلب الرابع : مناسبة أول سورة الأنعام بآخرها .

بدأت السورة ببيان تفرُّد الله تعالى بالحمد، فهو المستحق لجميع المحامد، قال تعالى: ﴿الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١] ، وانتهت ببيان وحدانية الله فلا ندَّ له ولا شريك ولا نظير ولا مثيل، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ*لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ* قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٤]، وهذه صفات نحمد الله عليها، فهو المتفضل علينا

---

[١] – انظر: تناسق الدرر للسيوطي ص ٨٧ – ٨٨ .

بصنوف الإنعام والإكرام، ورب العالمين مُوجد ومُنشئ ومُبتدع خلق السماوات والأرض وما فيها من موجودات هو مدبر أمورها ومسيرها بأمره.

واستهلَّت السورة بالإشارة إلى خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام:٢] ، وفي خاتمتها إلى نعمة الاستخلاف في الأرض، وذكرت أن الحكمة من جعل الإنسان خليفة هو الابتلاء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٥].

وفي بداية السورة حديث عن الخلق وبدايته والإيجاد الأول، وانتهت بتقرير الإيجاد الآخر وبعث الخلق مرة ثانية لمحاسبتهم وجزائهم بما عملوا.

وفي بداية السورة قال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آَيَةٍ مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ* فَقَدْ كَذَّبُوا بِالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام:٤-٥] ، وفي نهاية الآيات بيَّنت أن مرجعهم يوم القيامة إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام:١٦٤] .

ومطلع السورة فيه حديث عن إحاطة علم الله ﷻ بأحوال العباد وأعمالهم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:٣] ، وجاء في خاتمة السورة بيان أن مصير الخلق إلى ربهم الذي يعلم أحوالهم وما كانوا يعملون، فيُنَبِّئهم به ويحاسبهم عليه كما في الآيتين رقم ١٦٤ ،١٦٥.

المبحث الثالث
تعريف الدراسة التحليلية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : المقصود بالدراسة التحليلية .

المطلب الثاني : متطلبات الدراسة التحليلية .

المبحث الثالث

التعريف الدراسة التحليلية

ويتضمن مطلبين :

المطلب الأول : المقصود بالدراسة التحليلية .

تعريف الدراسة لغةً :

هي مصدر الفعل (دَرَسَ)، ودرس الكتاب ونحوه أي كرر قراءته ليحفظه ويفهمه، درس العلم على فلان أي تلقاه عنه وتتلمذ على يديه، وقيل درس تعني عفا، وأَصل الدراسة الرياضة والتعهد للشيء[١] .

تعريف التحليلية لغةً :

التحليلية نسبة إلى التحليل فهو مأخوذ من الحل بمعنى: الفتح، ونقض المنعقد، وفكُّه، قال ابن منظور: " وحلَّ العقدة يحلُّها حلاً، فتحها، ونقضها، فانحلت"[٢].

والتحليلي: "عملية تقسيم الكل إلى أجزائه، وردُّ الشيء إلى عناصره "[٣].

تعريف الدراسة التحليلية اصطلاحاً :

يرى الباحث أنه يمكن تعريف الدراسة التحليلية اصطلاحاً: هي تفكيك الكلام على الآية لفظة لفظة، وتحليل الآية تحليلاً يفكُّ ما صَعُب فهمه، والتعمق في أسرارها، للتوصل لغاياتها، ومعرفة المراد منها.

المطلب الثاني : متطلبات الدراسة التحليلية .

" البحث العلمي النزيه أساس المعرفة الحقة التي تعود على طلابها بالنفع، وثمرته من أشهى الأكل لغذاء الفكر وتنمية العقل، ولذلك فإن تهيؤ أسبابه لأي باحث أمر له اعتباره في نضج

---

[١] – انظر : ولسان العرب لابن منظور ٢ /١٣٦٠، معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد عمر ١ /٧٣٧.

[٢] – لسان العرب لابن منظور ٢/٩٧٦.

[٣] – معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار ١/٥٥٠ .

ثماره ودنو قطوفه، والبحث في العلوم الشرعية عامة وفي التفسير خاصة من أهم ما يجب الاعتناء به والتعرف على شروطه وآدابه، حتى يصفو مشربه، ويحفظ روعة الوحي وجلاله "[1].

فالدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد القرآن الكريم تتناول كلام الله تعالى لبيان مراده من كلامه، والغاية منها؛ لذلك يتعين على أي باحث أو عامل يخوض في هذا المجال ويعيش معه أن تتوافر فيه متطلبات هذه الدراسة لخدمة كتاب الله ﷻ وهي على النحو الآتي:

أولاً: متطلبات ذاتية مطلوبة في صاحب الدراسة :[2]

١- أن يكون صحيح العقيدة؛ لأن صحة العقيدة وسلامتها لها أثر كبير في نفس صاحبها، وما يحمله المرء من أفكار ومعتقدات تظهر في كلامه منطوقاً ومكتوباً، ولا بد أن تؤثر على دراسته وأهدافه التي يستخلصها أثناء بحثه .

٢- أن يكون مؤمناً سليم المقصد لينال التسديد، ويكون تقياً، مقبلاً على الطاعات، وقاطعاً لعلاقته مع المنكرات والمعاصي، ليحظى بتوفيق الله سبحانه، ويفتح عليه ربه من بركاته، فهو يعمل في أجلّ المجالات وأعظمها.

٣- التجرد من الهوى؛ لأن الأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذاهبهم، وإثبات صحتها، والتعصب لها، ولو كانت على غير حق.

٤-حسن الخلق والتواضع ولين الجانب، فالصلف والتكبر يحولان بين العالم والانتفاع بعلمه، فلو كان علمه نافعاً لنفعه .

٥- أن يتحلى بالتأني والروية في حديثه، فعليه أن يتأنى حتى يحسن في دراسته ويقويها ، ويلم بكل نافع مفيد، أيضاً ليحذر أن يسرد كلامه سرداً سريعاً لا يفهمه القارئ والمتلقي، بل عليه أن يفصل الكلام ويبيّنه ويوضحه فيكون مفهومًا.

٦- علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن يشاء من عباده العالمين العاملين المتقين فيلهمهم المعرفة بأسرار كتابه، وهذا كالأساس لهذا العلم ليطلع على معانيه بما يفيضه الله على قلبه وركن هذا العلم العكوف على التقوى ، وملاكه العمل مع الورع.

ثانياً : متطلبات علمية مطلوبة في صاحب الدراسة :

١- والعلم باللغة العربية وفنونها من أهم الأدوات المطلوبة في الدَّارس، ليعلَم مدلولات الألفاظ، وهو يحتاج لمعرفة علم اللغة من أفعال وأسماء وحروف، فيأخذها من كتب اللغة المتخصصة، وقال

---

[1] - مباحث في علوم القرآن للقطان ص ٣٢٩ .

[2] - انظر: مباحث في علوم القرآن ص٣٣١ - ٣٣٢.

أبو حيَّان الأندلسي: "اعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته، إلا من كان متبحراً في علم اللسان، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان"[١].

٢- معرفة علوم القرآن لأنها مفتاح للتفسير، ويستخدمها الدارس لكتاب الله الكريم لمعرفة مدلولات الآيات، وعلوم القرآن وتشمل أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والقراءات إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن.

٣- " أن يبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن، فما أُجمل منه في موضع فإنه قد فُصّل في موضع آخر، وما اُختصر منه في مكان فإنه قد بسط في مكان آخر"[٢].

٤- أن يفسر من السنة والأحاديث النبوية الصحيحة منها، فإن سُنة النبي ﷺ شارحة للقرآن موضحة له، فالنبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، إنما ما يصدر منه هو من ربه، والسنة مبينة لما في القرآن الكريم ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل:٤٣ - ٤٤] ، وقال ﷺ : (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)[٣]يعني: السُنة، والأمثلة على أنَّ السنة موضحة للقرآن كثيرة منها تفسير السبيل بالزاد والراحلة، وتفسير الظلم بالشرك[٤].

٥- فإذا لم يجد التفسير من القرآن أو السنة، يرجع إلى أقوال الصحابة الذين شاهدوا النبي ﷺ وعايشوه، وشهدوا الأحوال التي نزلت فيها الآيات، فإذا لم يجده فيطلب ذلك من أقوال التابعين كمجاهد بن جبر، والحسن البصري، ومسروق، وقتادة وغيرهم من التابعين الذين لقوا أصحاب النبي ﷺ وتلقوا منهم، وتكلموا بعض الأحيان بالاستنباط والاستدلال، أو يأخذ من الأئمة المفسرين الذين برعوا في تفسير القرآن[٥].

---

١ - تفسير البحر المحيط أبي حيان الأندلسي ١٠٩/١ .

٢ - مباحث في علوم القرآن للقطان ص ٣٣٠.

٣ - مسند أحمد: باب حديث المقداد بن معد يكرب الكندي ٨ /٤١٠ رقم ١٧١٧٤، قال عنه الألباني إنه حديث مشهور صحيح ، انظر : موسوعة الألباني في العقيدة ٣٢٥/٢ .

٤ - انظر : مباحث في علوم القرآن ص ٣٣٠ .

٥ - انظر : مباحث في علوم القرآن ص ٣٣٠ .

المبحث الرابع
تعريف المقاصد والأهداف وأهميتها

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً .

المطلب الثالث : الفرق بين المقاصد والأهداف .

المطلب الرابع : أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات .

المطلب الخامس : أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات .

المبحث الرابع
تعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها

ويتضمن خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف المقاصد لغةً واصطلاحاً .

تعريف المقاصد لغةً :

جمع مقصد، يقال: قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْداً ومَقْصَداً، وقد استعملت كلمة القصد في لغة العرب لمعان عديدة منها:

١- "استقامة الطريق: ومنه قوله تعالى : ﴿**وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [النحل:٩] أي على الله تبيّن الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، ﴿**وَمِنْهَا جَائِرٌ**﴾ أي ومنها طريق غير قاصد"[١].

٢- العدل والوسط بين الطرفين: يقال قاصداً أَي طريقاً معتدلاً، والقَصْدُ في الشيء هو ما بين الإسراف والتقتير، والقصد في المعيشة الاعتدال بينهما[٢].

٣- " الاعتماد والأمّ: والقصد الاعتماد والأَمّ، يقال : قَصَده يَقْصُده قَصْدَاً، إذا أمَّه واتجه إليه"[٣].

٤- " إتيان الشيء: القصد إتيان الشيء، تقول قَصَدْتُه وقَصّدْتُ له وقَصَدْتُ إليه بمعنى واحد"[٤].

٥- " الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء: قال ابن جني[٥]: "ق ص د" ومواقعها في كلام العرب للاعتزام والتوجه النهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جور"[٦].

٦- وجاء في معجم اللغة العربية المعاصر: "مقصد مفرد مقاصد وهو اسم مكان من قصد، قصد إلى، قصد في، قصد مثل مقصدي مكة وأيضاً بمعنى غاية، فحوى مثل مقصدي من فعل كذا

---

١ - لسان العرب لابن منظور ٥ / ٣٦٤٢.

٢ – انظر: المرجع السابق ٥ /٣٦٤٢.

٣- نفس المصدر ج٥ /٣٦٤٢.

٤- معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٩٥/٥.

٥- عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح، من أئمة الأدب والنحو وله شعره ولد بالموصل وتوفي ببغداد عن نحو ٦٥ عاماً، من تصانيفه شرح ديوان المتنبي، البهيج، الخصائص. انظر: الأعلام للزركلي /٢٠٤.

٦- لسان العرب لابن منظور٥/ ٣٦٤٣.

مساعدته، ومقاصد الشريعة تعني الأهداف التي وضعت لها، ومقاصد الكلام أي ما وراء السطور أو ما بينها"[١].

تعريف المقاصد اصطلاحاً :

للمقاصد عدة تعريفات اصطلاحية منها: "إنها كل المعاني الصلحية المقصودة من شرع الأحكام والمعاني الدلالية المقصودة من الخطاب التي تترتب عن تحقيق امتثال المكلَّف لأوامر الشريعة "[٢]، وعرَّف منها: " الغاية والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من الأحكام"[٣].

والتعريفان السابقان هما لمقاصد الشريعة، ويمكن الاجتهاد في بيان تعريف مقاصد القرآن الكريم بأنها: معرفة المعاني المقصودة من كلام الله تعالى، وكشف أسراره والغاية منه.

المطلب الثاني : تعريف الأهداف لغةً واصطلاحاً .

تعريف الأهداف لغةً :

جمع هدف من أَهْدَفْت ودَنَوْت منك، والاستقبال، والانتصاب من انتصب الأمر أي استوى واعتدل، ويقال: أَهْدَف لي الشيء، وأَهْدَف القوم، أي قَرُبوا، فهو مُسْتَهدفِ، والهدفُ: كل شيء عظيم مرتفع وكل بناء مرتفع مشرف، أو كثيب رمل أو جبل؛ ومنه سُمي الغرضُ هدفاً، والهدف من الرجال الطويل العنق العريض الألواح، وأهدف على التل أي أشرق وأسرع وأهدف إليه لجأ، والهدف ما يلجأ إليه[٤]، وهدف مفرد أهداف أي مطلب، والغرض يوجه إليه القصد هو هدف.[٥]

تعريف الأهداف اصطلاحاً :

"هي الأهداف التي شرعت الأحكام لتحقيقها، وأهداف الشارع هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وآخرتهم، سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المصالح أو درء المفاسد"[٦].

---

١ – معجم اللغة العربية المعاصر لأحمد مختار ٣ /١٨٢٠.

٢ – نظرية المقاصد عند ابن عاشور لاسماعيل الحسيني ص ١١٥.

٣ – مقاصد الشريعة الإسلامية ومقاصدها لعلال الفاسي ص ٧.

٤ - انظر : لسان العرب لابن منظور ٦/ ٤٦٣٣ – ٤٦٣٤.

٥ – انظر : معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار ٣/٥٣٧٤.

٦ – المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ليوسف حامد العلم ص٧٩.

المطلب الثالث : الفرق بين المقاصد والأهداف[1].

الأهداف تتميَّز عن المقاصد على النحو التالي :

١- أن الأهداف تكون قبل أي نتاج علمي؛ لأنَّها قد تتحقق ويمكن ألَّا تتحقق .

٢- يختلف تعريف الهدف تبعاً لنوعية ومستوى عموميته.

٣- الهدف الواحد ينقسم إلى عدة أهداف سلوكيَّة تطبيقيَّة.

٤- الأهداف العامة والخاصة لابد من ربطها بالواقع التطبيقي للحياة قدر الإمكان .

٥- الأهداف الكبرى والعامة تهتم وتعتني في صياغة القيم والاتجاهات والتراث والآمال.

والمقاصد تتميز عن الأهداف على النحو الآتي:

١- تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة ، ودرء المفاسد ودفع المضار المقصود الأساسي وراء أي عمل.

٢- المقاصد هي الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات، وتسعى إلى تحقيق مفهومها في حياة المكلفين، أفراداً وأسراً وجماعات.

٣- المقاصد هي المعاني والحكم الملحوظة من الآيات.

٤- المقاصد هي الحكمة والمبادئ والنتائج التي تسعى الأهداف إليها، فإن تحققت الأهداف أصبحت النتائج مقصودة لذاتها، فالأعمال شرعت للوصول إلى المقاصد.

٥- المقاصد العليا تمثل القيم التي من أجلها أُسْتُخلِفَ الإنسان من أجلها على الأرض، وهي: توحيد الله ﷻ، وتزكية الإنسان، وعمران الأرض.

المطلب الرابع : أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات:[2]

١- أن علم مقاصد السور راجع إلى بيان المقصد من إنزال القرآن كله هو التدبر والهداية كما قال تعالى: ﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ [ص:٢٩] فالله ﷻ أمرنا بالتدبُّر لمعرفة مراده تعالى من كلامه والعمل به، وليس المقصود بالتدبُّر هو النظر في عباراته وألفاظه دون النظر لمقاصده، قال الشاطبي: " فإن كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو

---

[1] – انظر: رسالة ماجستير بعنوان أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة "دراسة تحليلية" ،إعداد الطالب : حسن عبدالله طه الخطيب ، اشراف الدكتور الفاضل عبدالكريم الدهشان ص ٥٧– ٥٩.

٢ – كتاب علم مقاصد السور لمحمد عبد الله الربيعة ص ١١– ١٣ .

التفقُّه في العبارة، وإنَّما التفقُّه في المعرفة المراد به[1]"، ويُعين على فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً، والتَّبحُّر في آياته ودلالاته.

٢- أن مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه، فهو أصلٌ في فهم معاني كلام الله تعالى.

٣- أن معرفة مقاصد السور سبيل للسلامة من الخطأ أو تفسير كلام الله تعالى على غير مراده.

٤- أن تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور يجعل كلام الله تعالى مؤتلفاً منتظماً على نحو كمال نظمه ومعانيه، وتكون السورة معه كالبناء المرصوص، وكالعقد المتناسق.

٥- تنتظم آيات السورة، وتظهر المناسبات بين آياتها بمعرفة مقصد السورة، فتكون لحمة واحدة يجمعها معنى واحد.

٦- ربط الآيات بالواقع يتحقق بمعرفة علم مقاصد السور، والمتدبّر في مقصد السورة تعمقه ومعاينته تزيد من تفاعل المفسّر والدَّارس، ويساعده على التطبيق.

٧- أنَّ هذا العلم يرسّخ الإيمان، ويُنير القلب، وتَقَرُّ به العَين، ويُوضح ما فيه من روائع هذا العلم العظيم.

٨- إدراك المقاصد يساعد الدعاة والباحثين على الفهم الصحيح لغايات كلام رب العالمين وتحقيق أهدافهم، فلا ينشغلون بالمظاهر الفارغة الجوفاء، ويحفظهم من الزلل والاعوجاج.

المطلب الخامس : أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات.

كتب كثير من العلماء والمفسرين في علم المقاصد، ولكن منهم من أشار إليه من غير تصريح بلفظ الغرض أو المقصد، وهذا الصنف ظهر في المتقدمين من المفسرين مثل :

١- ابن كثير صاحب تفسير "تفسير القرآن العظيم".

٢- الإمام القرطبي صاحب تفسير "الجامع لأحكام القرآن".

ومن المفسرين والعلماء الذين عنوا بعلم مقاصد السورة وسلكوا فيه منهجاً في تفاسيرهم ومن هؤلاء:

١- الفيروز أبادي في كتابه "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز".

٢- البقاعي في كتابيه "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"، و"نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".

٣- ابن عاشور في كتابه "التحرير والتنوير".

٤- سيد قطب في كتابه "في ظلال القرآن".

---

[1] - الموافقات للإمام الشاطبي ج٤ ص٢٦٢ .

٥- وهبة الزحيلي في كتابه"التفسير المنير".

٦- محمد متولي الشعراوي في خواطره.

٧- عبد الله شحاته في كتابه "أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم".

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنعام من الآية (٣٦ ــ ٥٨)

ويتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : إعراض الكافرين عن القرآن الكريم عناداً وكفراً .

المبحث الثاني : السنن الربانية.

المبحث الثالث : مهمة النبي ﷺ.

المبحث الأول

إعراض الكافرين عن القرآن الكريم عنادًا وكفرًا، من الآية (٣٦ ــ ٤١)

ويحتوي على سبعة مطالب:

المطلب الأول: استجابة المؤمنين دليل حياتهم، وعناد الكافرين دليل موتهم.

المطلب الثاني: عناد الكافرين وإعراضهم مع وجود الآيات والمعجزات العديدة.

المطلب الثالث: علم الله ﷻ وقدرته المطلقة في كل شيء.

المطلب الرابع: القرآن الكريم كلام الله الشامل الكامل.

المطلب الخامس: العدالة الربانية بالقصاص يوم القيامة.

المطلب السادس: مشيئة الله الغالبة في الهداية والإرشاد.

المطلب السابع: دعاء المؤمنين والكافرين في الكربات والشدائد.

المبحث الأول

إعراض الكافرين عن القرآن الكريم عنادًا وكفرًا

تتحدث آيات هذا المبحث عن النبي ﷺ وما يلاقيه من تكذيب قومه له، فإنهم مع علمهم أنه صادق أمين لا يعرف كذب ولا خيانة إلا أنهم جحدوا بآيات الله ولم يعترفوا أو يؤمنوا بالله ﷻ، والرد عليهم أن علم الله وكمال قدرته وسعت كل شيء، والقرآن المعجز الذي تحدَّاهم أن يأتوا بمثله فيه تفصيل لأمور حياة الإنسان، ويوم القيامة العدالة الربانية ستشمل كل شيء حتى الدواب والطير، ويومها يتم حسابهم وجزاؤهم بما فعلوا في دنياهم، وهذا المبحث فيه سبعة مطالب :

المطلب الأول: استجابة المؤمنين دليل حياتهم، وعناد الكافرين دليل موتهم.

يقول الله :﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ [الأنعام:٣٦].

أولاً/ التفسير الإجمالي: السماع المقصود هنا سماع القَبول، فيَسمعون للإيمان ويُطبقونه بأعمال صالحة انقياداً لأوامر الله ﷻ، ووصف الكافرين بالموتى لأن قلوبهم ميتة لا تؤمن بالله، مردت على الكفر، ماتت بعنادهم وصدهم عن الدين الحق، فشبههم بأموات الأجساد، وهذا من باب التهكم بهم والازدراء عليهم[١]، وهم كذلك موتى جوارح وأركان؛ لأن أركانهم لا تعمل بطاعة الله، بل هي ترتكب المحرمات ما صغر منها أو كبر آناء الليل والنهار، ويوم القيامة سيبعثهم الله ليجازيهم بأعمالهم.

ثانياً/ وجوه البلاغية: نرى في هذه الآية صورة بلاغية وهي الاستعارة، حيث شبه ربنا تبارك وتعالى المؤمنين بالأحياء، وذكر صفة تدل على ذلك وهي السماع[٢].

ثالثاً/ المناسبة: لما ذكر الله تعالى في ما سبق من الآيات إعراض المشركين عن القرآن وعن الإيمان بصدق نبوة النبي ﷺ وأنه على الحق والهدى، بيَّنت هذه الآية أن من يهتدي للإيمان ويستجيب له كالأحياء، والكافرين الذين لا يسمعون ولا يستجيبون هم بمنزلة الموتى[٣].

---

١ – انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٣٠٠ .

٢ – انظر: صفوة التفاسير للصابوني ١/٢٦٤.

٣ – انظر : المرجع السابق ١/٣٦٠ .

وعلاقة الفاصلة بموضوع الآية : ولما كانت الآية تبين أن المستكبرين الجاحدين يبعثهم اللهﷻ ويلاقون جزاءهم على كفرهم وعنادهم وإعراضهم يوم القيامة، جاءت الفاصلة: ﴿ **ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ مناسبة لتختتم بها الآية.

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف :

١- إن الإيمان بالله ﷻ فيه حياة النفوس، وراحة البال، فالمؤمن يؤمن بالله ﷻ، وأن النَّفع والضُّر بيده وحده، فيرضى بذلك فيشكر إن أصابته سرَّاء، ويصبر إن أصابه مكروه، ولا يلجأ إلا لربه، ولا تصل الكآبة إلى قلبه، لمعرفته أنه ابتلاء من المولى تبارك وتعالى يُؤجر به وتُكَّفر ذنوبه إن هو صبر، والمسلم يؤمن بالقضاء والقدر، وهو ركنٌ لا يستقيم أو يكتمل إيمانه إلا به، فإن نزل به نازلٌ فيُسلّم لله ولا ينزعج ولا يغضب، بل يؤمن بقضاء الله وقدره، وكذلك يؤمن بالبعث واليوم الآخر، فيزيد من الطاعات ويكثر من القربات، ويبتعد عن المعاصي؛ لينال رضا الرحمن ويسكن الجنان، ويتق سخط الجبار، ويبتعد عن النَّار، وبعباداته وفعل الواجبات الشرعية والمندوبات يعيش قلبه مطمئناً، ويشع وجهه نوراً، مثل قول ربنا: ﴿**الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد:٢٨] ، وقوله تعالى: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ [الفتح:٢٩] ، وقس على ما سبق[١]، وإن ابتعد عمَّا حرم الله ﷻ سلم نفسياً وبدنياً، فالمؤمن يترك المحرمات كشرب الخمر، ولحم الخنزير، والميتة، والفواحش وغيرها مما حرّم علينا ويضر جسم الإنسان فيسلم من الأمراض والأسقام، وإن ترك العُقوق، وقطع الأرحام، والغيبة، والنميمة، والسخرية، وغيرها من الذنوب التي تضر بالمجتمع، وعلاقات الأفراد مع بعضهم وتؤدي إلى الكراهية والضغائن، وتنمي الأحقاد فإنه يحمي نفسه معنوياً ، والإنسان إذا ارتكب ما حرّم الله أضر بنفسه ومعنويته وبدنه .

٢- المعاصي تُميت القلوب وتُفسدها، ورُوي أن ميمون بن مهران[٢] قال: " إن العبد إذا أذنب ذنباً نُكت في قلبه بذلك الذَّنب نُكتةً سوداء، فإن تاب مُحيت من قلبه، فترى قلب المؤمن مجلّى مثل المرآة، ما يأتيه الشيطان من ناحية إلا أبصره، وأما الذي يتتابع في الذنوب، فإنه كلما أذنب

---

١ - انظر : جامع البيان للطبري ٢٨٩/١٧-٢٩٩.

٢ - أبو أيوب ميمون بن مهران هو الإمام الحُجَّة عالم الجزيرة وفقيهها، ولد عام ٤٠ هـ، واختلف في وفاته فقيل عام ١١٧هـ أو قبل أو بعد بعام، حدّث عن عدد من كبار الصحابة والتابعين، تقي ورع كثير العبادة، وثّقه أحمد بن حنبل وغيره من العلماء، قال العجلي عنه: تابعي ثقة. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٧١ وانظر: الثقات للعجلي باب ميسرة وميمون ٣٠٧/٢ .

ذنباً نُكت في قلبه نكتةً سوداء، فلا يزال يُنكت في قلبه حتى يسوَّد قلبه، ولا يُبصر الشيطان من حيث يأتيه"[1]، ونقول إذا كان هذا حال من أذنب، سواد القلب وضياع النفس، فكيف حال من كفر وأشرك، فقد ختم الله وطبع على قلوبهم غشاوةً، وتمتد لتغطي سمعهم وأبصارهم عن أن تهتدي لما يصلها من الحق، فلا يؤمنون مهما جاءهم من بيّنات كما قال سبحانه وتعالى: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٧] ، وهذا حال الكفار والمنافقين منذ النبي ﷺ إلى يومنا هذا، هم معاندون يَقلبون الحقائق، ويَكرهون الدين ومن يحمله عناداً وجهلاً.

٣- تستمر حياة المؤمنين من الدنيا إلى الآخرة مفعمةً بالإيمان الذي يرويها تثمر مغفرةً ورضواناً من الله، وموت الكافرين بعنادهم وإعراضهم يعقب عليهم الشقاء والضياع والتَّشتت يوم الدين .

المطلب الثاني: عناد الكافرين وإعراضهم مع وجود الآيات والمعجزات العديدة .

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آَيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٣٧].

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي بعد أن سمع رؤساء قريش الجاهلين المعرضين عن ربهم من آيات القرآن الكريم طلبوا رؤية معجزة فقالوا لولا أُنزل على محمد معجزةً ليؤمنوا، طالبين معجزة مادية كناقة صالح عليه السلام أو عصا موسى عليه السلام، " وفي الآية رد عليهم ببيان قدرة الله تعالى على أن يُنزّل أي آية يريدونها، ولكنه لا ينزلها، لأنهم لا يعلمون ولا يفهمون ما يناسبهم، والله تعالى لا يسير وراء أهوائهم، وفي هذه يؤكد قدرته وعلمه، وسعة إحاطته بالأحياء جميعًا"[2].

وتناولت هذه الآية صورةً من صور تعنُّت المشركين، وبيَّنت حقيقتهم أنهم يُماطلون ويُكَّذبون عنادًا وحسدًا، ويظهر ذلك من طلبهم – أي كفار قريش – معجزة حسية ليؤمنوا بدعوة النبي ﷺ ويصدقوه، بالرغم من وجود معجزة تحداهم بها وهي القرآن الكريم حيث الجانب الذي برعوا فيه وقتها، وهو الفصاحة والبلاغة.

ثانياً/ سبب النزول: قال أبو حيان في تفسيره عن هذه الآية: " قال ابن عباس (رضي الله عنهما): (نزلت في رؤساء قريش سألوا الرسول آية تعنتاً منهم، وإلا فقد جاءهم بآيات كثيرة فيها مقنع) [3].

---

[1] – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم ٨٩/٤ .

[2] - زهرة التفاسير لأبي زهرة ٢٤٩١/٥.

[3] – التفسير المحيط ١٢٤/٤.

ثالثاً/ المناسبة: بعد أن بيَّنت الآية السابقة أن الناس من حيث قبول الهداية صنفان: صنف يختار الهدى على الضلال، يقبلون ويفقهون البراهين، وصنف آخر لا يقبلون الهدى ويختارون الضلال، فهؤلاء كالأموات في عدم قبولهم للحق، هنا في هذه الآية ذكر أن من لا يسمعون ولا يقبلون الهداية كان إعراضهم عناداً، فتعذروا بطلب معجزة رغم نزول القرآن معجزاً متحدياً لهم، والرد عليهم أن الله وحده القادر على إنزال المعجزات إن كان في ذلك مصلحة وخير[1].

وعلاقة الفاصلة مع موضوع الآية: تفيد الآية أن أكثر المعاندين لا يعلمون علم الاعتبار، ولو وافقهم الله على ما طلبوا ثم كذَّبوا وعاندوا لحق عليهم الاستئصال، ولو كانوا يعلمون لطلبوا المعجزات على سبيل الفائدة والاعتبار لا تعنتاً وعناداً، فناسب أن تختم الآية: ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[2].

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- جاء القرآن معجزة لرسول الله ﷺ وهو آية معنوية دائمة أبداً بما فيه من أحكام ونظم، وآيات كونية وقضايا علمية، والخلق يختلفون في لغاتهم، فما تضمنه القرآن من معجزات لن تنقضي عجائبه إلى يوم القيامة، وكل يوم يَستنبط من غير المسلمين ما يُطابق ما في القرآن من حقائق علمية فيُخرس به كل مكذب، ويثبت صدق دعوة النبي ﷺ، وإن كانوا صادقين في طلبهم فإننا نأخذ بأيديهم ونرشدهم ونقول لهم: إن الرسل الذين جاءوا بمعجزات غير كتاب المنهج كانوا رسلاً إلى أمم مخصوصة وفي زمان محدود، فجاءت معهم آيات كونية تُرَى مرة واحدة وتنتهي، ولكن رسول الله ﷺ جاء لعموم الناس إلى نهاية الزمان فلا تنحصر في مكان أو زمان، لذلك لا تصلح أن تكون معجزته حسيَّة، وشاء الحق أن تكون معجزة الرسول ﷺ هي المنهج الدائم[3].

٢- لقد عجز العرب رغم فصاحتهم وبلاغتهم المعروفين ببراعتهم فيها أن يأتوا بمثل القرآن، تحدَّاهم الله أن يأتوا بمثل القرآن ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإسراء:٨٨] ، ثم بأن يأتوا بعشر سور فلم يستطيعوا كما قال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [هود:١٣] ، وبعد ذلك أن يأتوا بسورة فما حرَّكوا ساكناً : ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا**

---

[1] – انظر : التفسير المنير للزحيلي ٧ /١٩٨، ٢٠٢ .

[2] – انظر : مفاتيح الغيب للرازي ١٢/١٧٤.

[3] – انظر : تفسير الشعراوي ٦ /٣٦٠٥.

﴿نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:٢٣]، ورغم عجزهم الشديد ومعرفتهم بصدق النبي ﷺ إلا أنهم ظلوا في غيهم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقَّ له فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لم؟ قال: ليُعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكرٌ له أو أنك كارهٌ له قال: وماذا أقول، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدَعْني حتى أفكر، فلما فكَّر قال: هذا سحر يؤثر يأثره من غيره)[١].

٣- كان تكذيبهم بسبب حسدهم بأن أوحي بالدعوة إلى النبي محمد ﷺ وأمر بتبليغ الدين، وتصف الآية حالهم فيقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزُّخرف:٣١]، والمقصود بهذه الآية " أن المشركين بالله من قريش قالوا لما جاءهم القرآن من عند الله: هذا سحر، فإن كان حقاً فهلا نزل على رجل عظيم من إحدى هاتين القريتين مكة أو الطائف، واختلف في الرجل الذي وصفوه بأنه عظيم على عدة أقوال ."[٢]

٤- " والمقصود من الآية أن يقطع رسول الله ﷺ طمعه عن إيمانهم ولا يتأذَّى بسبب إعراضهم عنه وعن الإيمان به، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام:٣٥] ، وأخبر الله ﷻ نبيه ﷺ أنهم إنما تركوا الإيمان وأعرضوا عنه وأقبلوا على الكفر بمشيئة الله تعالى، ونافذ قضائه فيهم وأنه لو شاء لجمعهم على الهدى"[٣]، ولنعلم نحن أيضاً أن أعداء الله تعالى شديدو الحقد والكراهية لأبناء هذا الدين، ومهما جاءهم من دليل أو برهان فلن يعترفوا بالحق، لذلك على الداعية ومن حمل الإسلام فكرًا واتخذه منهجًا ودعا لتطبيقه ونشره ألا يلتفت إليهم.

---

[١] – المستدرك على الصحيحين للحاكم كتاب التفسير، باب مدح كلام الله من لسان الكافر، ج٥٠٧/٢، رقم٣٨٣٢ قال الحاكم: صحيح الإسناد.

[٢] – جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ٢١/ ٥٩٢.

[٣] – تفسير الخازن ١١٠/٢.

المطلب الثالث: علم الله وقدرته المطلقة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام:٣٨]

أولاً/ التفسير الإجمالي: في هذه الآية بيان كمال قدرته ﷻ وحسن تدبيره وحكمته وشمول علمه سبحانه وتعالى، وما من دابة من الدواب أو فرد من الطير التي تستقر وتعيش في أي مكان من الأرض على وجهها أو في جوفها إلا أمم وطوائف متخالفة مثل البشر، ويُدبر الله أحوالها وأمورها، ويرعى مصالحها ويحفظها، ويسيرها على سنن السَّداد منتظمة في سلك التقديرات الإلهية والتدبيرات الربانية[١].

ثانياً/ وجوه البلاغية:

١- في الآية تشبيه بليغ، شبَّه البشر بالدواب والطيور في إتقان حكمها وتدبير أمورها من الله تعالى، فهي تتفق في أنها مكتوبة أرزاقها وآجالها و أعمالها[٢].

٢- وفي قوله تعالى: ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ تأكيد لحقيقة الطير الذي يطير عادة بجناحيه؛ وذلك لدفع توهم المجاز؛ لأن الطائر قد يستعمل أحياناً مجازاً للعمل كما في قوله تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء:١٣] [٣].

ثالثاً/ المناسبة: بعد أن بيَّن الله تعالى أنه وحده القادر على إنزال المعجزات، وهو أعلم متى يجعلها وينزلها، ذكر هنا دليل على ذلك، والدليل هو رعايته وعنايته ورحمته وفضله على كل مخلوقاته[٤].

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف :

١- تتجلَّى القدرة الإلهية في تنظيم دقائق الأمور في الكون، وتدبير أمور الدواب جميعها، وكيف يُسيّر حياة الحيوان والطير وحتى النبات، وفق أنظمة أحكمها رب العالمين، وإذا تدبرنا الآية التالية فإننا نجد مثالاً حياً على تنظيم الله ﷻ لحياة الدواب فيقول تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:١٨] " إن النمل أمة لها حرس، قالت حارسةٌ منهم هذا القول تحذيراً لبقية النمل، والله

---

١ - انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ٣٠٧/٥.

٢ - انظر : الكشاف للزمخشري ٢٤٢/٢.

٣ - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٧ /٢٠١ .

٤ - انظر : المرجع السابق ٧ /٢٠٢ .

سبحانه يقول: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤] ، إذن فكل أمة من تلك الأمم الكثيرة التي خلقها الله في الكون تسبح بحمده، ولكن لا يفهم أحد لغات تلك الأمم، وأعلمنا الله أنه علَّم سيدنا سليمان عليه السلام لغات كل الأقوام وكل الأمم المخلوقة، ولذلك عندما سمع سيدنا سليمان عليه السلام ما قالته النملة : تبسم، قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ [النمل:١٩] "[١]، والعلماء يبحثون لاكتشاف تكوين النمل جُحورها وتخزين قوتها في الصيف لوقت الشتاء، وسلوكه مع بذرة القمح حين تخلع عنها خلايا الإنبات حتى لا تنبت وتدمر جحورها، وترى قطعة السكر فتحدد كتلتها وحجمها ووزنها، فلا تستطيع حملها فتنادي عدداً غيرها يناسب تأدية هذه المهمة، وتنادي أعداداً أكثر مناسبة إذا أرادت حمل ما هو أكبر، والنمل إذا تعرض لنازلة قد تهلكه فإنه لا تنهار عزيمته، بل يدافع عن نفسه، ويضحي بأبنائه في سبيل الدفاع عن أرضه ووطنه، ويضحي بالفرد لمصلحة الجميع، وحين يداهمهم مطرٌ أو سيل يطيح بمملكتهم ويهلكها فإنه يتكور على نفسه حتى يحمل مع السيل ويستقر على اليابسة، فيبدأ ما نجا منها من الإغراق والاختناق بالعمل والإنشاء والتعمير والعمل والتخزين كأن لم يحل بهم شيء، هنا ذكرنا دليلاً على التنظيم المحكم لأمور الدواب، وكذلك إن العلماء يحاولون اكتشاف لغة الأسماك، وأسرار نظام مملكة النحل الذي تعجز العقول البشرية مهما بلغت عن الإتيان بمثله. [٢]

٢- "والكثرة الغالبة – في الحيوانات- هي من الإناث والقلة من الذكور، ولا يَقرب الذكر أنثاه إلا في موسم معين، وإلى أن يأتي موسم التلقيح تنصرف الأنثى إلى إعداد العش وتهيئته لما عساه أن يوجد من نتاج، وهذه العملية لحكمة عالية ربما تكون لبقاء نوع الحيوان حتى يعين الإنسان في إعمار الأرض، وفي عالم الطير نجد الطيور تبني العش بفن جميل لاستقبال الفرخ الذي خرج من البيض وتفرش له العش بأنعم الأشياء، إنها تفعل ذلك بإتقان جيد وبصورة ربما يعجز البشر أن يعمل مثلها"[٣]، ومن سعة علم وقدرة ربنا تقدير آجال وأعمال وأرزاق الحيوان والطير، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ: (لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى الله حَقَّ

---

١ – تفسير الشعراوي ٦ /٣٦٠٧-٣٦٠٨.

٢ – انظر : المرجع السابق ٦/٣٦٠٩.

٣ – تفسير الشعراوي ٦ /٣٦١٠.

تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)[1]، فالطير تخرج تبحث عن طعامها والله يُنعم عليها بأن يُعيدها شبعانةً بقدرته وإرادته، إذن الكائنات كلها أمم أمثالنا.

٣- والنبات تبدأ بذرة ثم تكبر وتُثمر وكل نوع منها يتشابه في الشكل والثمر، فالنخل كله يأخذ نفس الشكل، وكذلك أشجار الزيتون وغيره، وأيضاً ثمارها لها نفس الشكل والطعم، فشجرة العنب ثمارها متشابهة الشكل والطعم، تختلف فيه عن غيرها، وحتى الورود والأزهار فكل صنف له نفس المنظر والرائحة الذي يتميز كل نوع به .

٤- أمَّا الإنسان فيبدأ الله ﷻ خلقه في بطن أمه بمراحل غاية في الدقة، ويجعل خلقه في أحسن تقويم وينظم له دقات قلبه وحرارة جسمه، وأجهزته الداخلية كلٌ يؤدي وظيفةً خاصةً يُكمل بعضه بعضاً، ويُسير له أمور حياته يحفظ له نفسه بقدرته ويقدر له الرزق، فتبارك الله الذي أحسن خلقه وقال تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾ [الأعلى:٢-٣]

٥- كل الدواب دون الإنسان أعطاها الله الإيمان بالفطرة، وهداها إلى الرزق بالغريزة، وميَّز الإنسان فوق كل الكائنات بالعقل، ولكن الإنسان يستخدم عقله مرة استخداماً سليماً صحيحاً فيصل إلى الإيمان، وقد يستخدمه استخداماً سيئاً بضلاله فلا يعرف للهدى طريقاً، وعلى الإنسان أن يعلم أن أموراً كان يجهلها، أو يحتار فيها قد تعلَّمها ممن هو دونه من الكائنات؛ فقابيل تعلَّم من الغراب كيف يواري سوأة أخيه بغريزة الغراب التي فُطر عليها، ومُصمّم الطائرات تعلَّم صناعة الطيران من دراسة عالم الطيور[2].

٦- ويظهر لنا أن الله تعالى خلق المخلوقات وأبدع الكائنات دون الإنسان؛ لخدمته ومنفعته الخاصة، ولا تقف هذه المنافع عند المنفعة المادية فحسب، بل هناك منافع أدبية وتعليمية لا حد لها، فالمؤمن الصادق يجب عليه ألا يعيش لنفسه فقط، ولا يقصر جهده على ما يعود عليه وحده بالمنفعة؛ بل يجب أن يكون كالنحلة في عملها المستمر ونفعها لغيرها، فيكون دائب العمل لمصلحة الآخرين، وما من شك أن النَّحل يأكل من الثمار والأزهار ليحفظ نفسه وحياته، ولكنه لا يكتفي بهذا القدر، بل يسعى جاهداً لتوفير القوت والشراب لغيره[3].

---

[1] – مسند أحمد ، مسند عمر بن الخطاب، ج١/ ٣٣٢، حديث رقم ٢٠٥، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي، وقال عنه الحاكم: صحيح الإسناد .

[2] – انظر : تفسير الشعراوي ٦/٣٦٠٧-٣٦٠٨ .

[3] – انظر : أوضح التفاسير لابن الخطيب ١/١٥٦.

المطلب الرابع : القرآن الكريم كلام الله الكامل الشامل .

يقول تعالى : ﴿... مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ .....﴾ [الأنعام:٣٨]

أولاً/ التفسير الإجمالي: اختلف في معنى الكتاب، فقيل: " المراد من الكتاب القرآن واختاره البلخي[١] وجماعة، فإنه ذكر فيه جميع ما يحتاج إليه من أمر الدين والدُّنيا، بل وغير ذلك إما مفصلاً وإما مجملاً، فعن الشافعي عليه الرحمة قال: ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله تعالى الهدي فيها"[٢]، وقيل: "ما فرَّطنا فِى الكِتَابِ مِن شيء أي ما تركنا وما أغفلنا والكتاب اللوح المحفوظ، والمعنى وما أغفلنا فيه من شيء لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت"[٣].

ثانياً/ تحقيق المقصد والهدف :

١- " القرآن هو كلام الله الذي نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ بألفاظه العربية ومعانيه الحقَّة، ليكون حجةً للرسول على أنه رسول الله، ودستوراً للناس يهتدون بهداه، وقربةً يتعبدون بتلاوته، وهو المُدوَّن بين دفتي المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، المنقول إلينا بالتَّواتر كتابةً ومشافهةً جيلاً عن جيل، محفوظاً من أي تغيير أو تبديل"[٤].

٢- والقرآن الكريم معجزٌ كاملٌ جامعٌ، وسمي قرآناً كما يذكر بعض العلماء؛ لأنه جامع لثمرة كتب الله ولجميع العلوم كما أشار إلى ذلك قوله تعالى:﴿... مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ...﴾ [الأنعام:٣٨][٥]، ففيه علم اللغة والبلاغة حيث أنزل الله ﷻ القرآن باللغة العربية، وجعلها أحرفاً سبعةً للتخفيف والتيسير على المسلمين، وفيه من قوة النحو الذي جعل أهله يوجهون قواعدهم وفق القرآن حين التعارض؛ اعترافًا منهم باحتواء وإلمام القرآن لما لم يصل إليه أحد من أمر اللغة، وجمع أساليب البيان واللغة بطريقة مميزة دون زيادة أو نقصان في المعنى، بل إن كلاً منها يقع في مكانه المناسب المعبر عن المعنى، ولولاه ما استقام المعنى، وكل ذلك لا يكون إلا في القرآن الكريم الذي أعجز بلغاء العرب وقت قمة فصاحتهم، وشمل القرآن عدة نُظُم يُنظم

---

[١] - البلخي: مقاتل بن سليمان الأزدي الخرساني البلخي، من أبلخ تحول إلى مرو ومات بالبصرة سنة نيف وخمسين ومائة، عرف عنه الزهد، كان متروك الحديث ويروي عن مناكير، أثني عليه رجال كثير في التفسير، ويعتبر من كبار المفسرين، وقيل عنه: حافظًا للتفسير لا يضبط الإسناد. تقريب التهذيب ج٢٨/٤٣٤، رقم ٦١٦١.

[٢] - روح المعاني للألوسي ١٤٤/٧.

[٣] - التفسير المحيط لأبي حيان ١٢٦/٤.

[٤] - علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٢٦.

[٥] - انظر : مباحث في علوم القرآن للقطان ص ٢٠.

بها حياة الناس كنظام العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والأسرة، والعلاقات الاجتماعية، والسياسة، والاقتصاد، والقضاء، والجهاد، وشمل كذلك العلوم: " فإن كنز القرآن أظهر وكشف من الآيات الكونية ما تحقق من علم وتوصَّل إليه البشر، وما سيظل يكتشفه البشر إلى أن تقوم الساعة، ولذلك قال الحق: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [فصِّلت:٥٣] أي أن البشر سيُريهم الله وسيكشف لهم من آياته حتى يظهر ويستبين لهم وجه الحق"[١].

المطلب الخامس : العدالة الربانية بالقصاص يوم القيامة .

يقول تعالى : ﴿ ..... **ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنعام:٣٨]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي أن الله ﷻ سيجمع الأمم كلها من الدواب والطير يوم القيامة فيعوضها وينصف بعضها من بعض.[٢]

ثانياً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- إذن كل شيء سيُحشر يوم القيامة، ويُحاسبه الله ﷻ مُحاسبةً عادلةً فيقول تعالى : ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ [الأنبياء:٤٧]، ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو هريرة ﷺ: (لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ)[٣] "أي أن الحق سبحانه يقتص من الشاة ذات القرون التي نطحت الشاة التي بلا قرون، ويعوضها عن الألم الذي أصابها، وبعد أن يأخذ كل كائن من غير الإنس والجن حَقَّه يصير إلى تراب"[٤]، فإذا كان هذا حال من لا يعقل فكيف سيكون مصير من يسمعون وجعل الله لهم ألباباً، ويكفرون بالله ويعصونه ويظلمون العباد ويسعون في الأرض الفساد، إن الله ﷻ سيأخذ الحقوق للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه، كما في الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ

---

[١] - تفسير الشعراوي ٣٦٠٦/٦.

[٢] - انظر : الكشاف عن للزمخشري ٣٤٢/٢.

[٣] - صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج٨ /١٩، رقم ٦٧٤٥.

[٤] - تفسير الشعراوي ٣٦١١/٦.

وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ)[1]ويصف النبي ﷺ موقف المقتول يوم القيامة في صورة مؤثرة قَال:(يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ فِي يَدِهِ وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا يَقُولُ يَا رَبِّ قَتَلَنِي حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنْ الْعَرْشِ قَالَ فَذَكَرُوا لِابْنِ عَبَّاسٍ التَّوْبَةَ فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا** ....﴾ [النساء:٩٣]، قَالَ : مَا نُسِخَتْ مُنْذُ نَزَلَتْ وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ)[2].

٢- سيلقى من أشرك بالله عاقبة ظلمه بدليل الآية : ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان:١٣]، ومن كفر بالله وحارب أصحاب الدعوة وحملة الدين وظلم وطغى سيلقى الانتقام من الملك الجبار، يقول الله ﷻ :﴿**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ**﴾ [البروج:١٢ - ١٣] " والبطش الأخذ بصولة وعنف، وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم، وهو بطشه ﷻ بالجبابرة والظَّلمة، وأخذه سبحانه إياهم بالعذاب والانتقام، وهو يُبدىء الخلق بالإنشاء، وهو سبحانه يُعيده بالحشر يوم القيامة"[3].

المطلب السادس : مشيئة الله الغالبة في الهداية والإرشاد .

يقول تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [الأنعام:٣٩] .

أولاً/ التفسير الإجمالي: في هذه الآية تصف الذين كفروا في تكذيبهم للقرآن الكريم وجهلهم وعدم فهمهم بأنهم صُّم لا يسمعون، وبُكم لا ينطقون، ومع هذا لا يبصرون؛ لأنهم في ظلمات الكفر تائهين، ولن يهديهم الله تبارك وتعالى إلى دين الإسلام القويم بسبب عنادهم وإعراضهم[4].

ثانياً/ وجوه البلاغة: قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ**﴾ هنا تشبيه بليغ، شبه الذين كذبوا بالآيات بالصم والبكم، فهم في عدم سماع الحق وعدم كلامهم به كالصم والبكم، وحذفت من هذا التشبيه الأداة ووجه الشبه[5].

---

[1] - صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ، ج١٨/٨، رقم ٦٧٤٤.

[2] - سنن النسائي: كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم، ج٧ /١٠٠، حديث رقم ٤٠١٦، صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي ٧٧/٩.

[3] - روح المعاني للألوسي ج٢٢ ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

[4] - انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير٢ /١٣٢، وانظر: تفسير الجلالين للمحلي والسيوطي ص١٣٤.

[5] - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٢٠١/٧.

ثالثاً/ المناسبة: بعد أن ذكر تعالى الدليل على قدرته على إنزال المعجزات، بيَّن أن الذين كذبوا رغم وجود الأدلة والبراهين الواضحة كالصم والبكم في عدم استجابتهم، ولو كان في سمعهم ونطقهم خير لاستجابوا[1].

وعلاقة الفاصلة مع موضوع الآية: لمَّا كان الحديث في الآية يُبين أن المكذبين في ضلال مبين، فهم غارقون في ظلمات الكفر والعناد، صم وبكم لا يسمعون الحق سماع استجابة ولا يقرون به، وهؤلاء لم يضلوا إلا بمشيئة الله، ولو أراد هدايتهم لهداهم، ولكنهم استحقوا الضلال بما كان منهم، فناسب أن تختم الآية بالفاصلة: ﴿مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- إن الكفار يُكذّبون ويتمادون في كفرهم عنادًا وحسدًا، ويُكذّبون بكل آية تأتيهم، فأصبحوا بعنادهم صُماً لا يسمعون الحق ولا يستجيبون له، وبُكماً لا يتكلمون بالحق، وهم غارقون في الظلمات يتخبَّطون لا يهتدون للرشاد.

٢- إن قدرة الله ﷻ نافذةٌ في كل شيء، فمن اهتدى لم يهتد إلا بمشيئة الله تعالى، ومن ضلَّ لا يضل إلا إن شاء الله تعالى، ولو أراد ربُنا خلاف ذلك لفعل ما يشاء، " ولكن هل اقتحمت المشيئة على الناس وقهرتهم؟ لا؛ لأن الحق قال :﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر:٢٨] ، وقال سبحانه أيضاً: ﴿وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:٨٦] إذن، فبتقديمهم الظلم والفسق والكفر الذين فعلوه اختياراً صار المرض واستقر في قلوبهم وزادهم الله مرضاً، وهو سبحانه أغنى الأغنياء عن الشرك به ، فمن أشرك مع الله شيئاً فهو له "[2]، ومَن يَشَأ الله تعالى أن يُضلَّه يجعله يسير في طريق الضلال، فيُعرض عن الآيات ويُصاب بستار يحول بينه وبين الحق، وهذا الستار ليس أمراً خارجاً عن نفس الضَّال، بل هو من ذات نفسه، ولذا ما كانت غوايته إلا باختياره الغواية، فيتركه الله ﷻ يسير في طريقه الذي رسمه لنفسه، ومن يشأ الله تعالى له الهداية يسير طريق مستقيم يوصله إلى الحق والهداية؛ لأنه اختار لنفسه الحق واستجاب له، وهنا نُشير إلى أن الهداية والضلال ليسا إجباريَّين بدون اختيار للعبد فيهما، كما يقول الجَّهمية[3]ومن يسيرون في طريقهم، وليسا للعبد من كل الوجوه، كما يقول

---

[1] – انظر : تفسير القرآن العظيم ١٣٢/٢.

[2] – تفسير الشعراوي ٣٦١٢/٦.

[3] – الجهمية: هم أصحاب جهم بن صفوان الذي ظهرت بدعته في ترمذ في آخر فترة حكم الأمويين، ووافق جهم المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم، ويقول أن الإنسان مجبور في كل أفعاله، ويقول بفناء الجنة والنار ونفي الرؤية وخلق القرآن، ورد عليه علماء السنة أقوى الردود. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٨٦-٨٧.

المعتزلة[1]، ومن يسيرون في فجّهم، وإنما الأمر أن للعبد اختياراً في الطريق الذي يسيره، والله تعالى يُوفقه فيه، فإن كان خيراً خطا فيه إلى الغاية، وإن كان شراً سار حتى الهاوية"[2].

المطلب السابع : دعاء المؤمنين والكافرين في الكربات والشدائد .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٤٠ - ٤١]

أولاً/ التفسير الإجمالي: " في هذه الآية استفهام تعجيب أي أخبروني إن أتاكم عذاب الله كما أتى من قبلكم أو أتتكم القيامة بغتة أتدعون غير الله ﷻ لكشف الضُّر عنكم إن كنتم صادقين في أن الأصنام تنفعكم ؟ ، بل تخُصُّونه تعالى بدعائكم في الشدائد، فيكشف الضر الذي تدعونه إلى كشفه إن شاء كشفه، وتتركون الآلهة فلا تدعونها لاعتقادكم أن الله تعالى هو القادر على كشف الضر وحده دون سواه "[3].

ثانياً/ وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ الهمزة هنا تفيد الاستفهام التقريري فإنهم إن أتاهم عذاب يخصون الله وحده بالدعاء[4].

٢- قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ أُظهر الإتيان بالساعة، والمقام في هذا الموضع مقام إضمار؛ لإرادة الاهتمام بالمظهر، ولإفادة التهويل والترويع[5].

٣- قوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ﴾ استفهام فيه توبيخ وتبكيت، وقدّم المفعول على الفعل ليفيد القصر[6].

---

[1] - المعتزلة: أساس هذه الفرقة واصل بن عطاء ويلقبونها بالقدرية، هي فرقة من أهل الكلام خلطت بين الشرعيات والفلسفة والفعليات وتأثروا بالفلسفات، وقد خرجت عن السنة والجماعة في مصادر التلقي ومناهج الإستدلال وأصول الإعتقاد، ويقول أهلها بنفي بعض الصفات الإلهية، وبالمنزلة بين المنزلتين. انظر: الملل والنحل٢ /٤٢-٤٧.

[2] - انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٥ /٢٤٩٣.

[3] - صفوة التفاسير للصابوني ١ /٣٦٢.

[4] - انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢١/٧.

[5] - انظر : التحرير والتنوير ٢٢٣/٧.

[6] - انظر : تفسير البيضاوي ٤٠٧/١.

٤- قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ قدم المفعول ليفيد الاختصاص[١]، وليفيد القصر، قصر صفة على موصوف، أي لا تدعون ولا تلجأون لغير الله لكشف الضُّر والبأس[٢].

ثالثاً/ المناسبة: بعد أن أوضح الله جهل الكافرين، أبان حالًا آخر من أحوال أهل الكفر، وهو أنهم إذا نزلت بهم محنة أو بليَّة فلا يلجأون إلا لله ليكشف عنهم الكرب، ويُذهب فزعهم، وذلك تأثر منهم بالفطرة التي فطروا عليها [٣].

وعلاقة الفاصلة ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ مع موضوع الآية: لما كان الحديث في الآية عن أن المشركين عند النوازل يلجأون لله وحده ويتركون ما يشركون، كان مناسباً أن تختم بهذه الفاصلة.

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف :

١- إن الكافر إذا تعرَّض لكربة أو ضُّر في ظلمات البر والبحر يعود لفطرته الصحيحة، ويلجأ لله تعالى؛ ليكشف عنه الضر ويسأله النجاة والخلاص، وينسى ما يشرك من دون الله ﷻ وتغيب عن ذاكرته ويتركها، ولا يتذكر إلا الله خالق الكون رب الوجود، وإن الله يكشف عن الكافرين شدائد الدنيا، ولكن إذا جاءت الساعة ودعوا الله ﷻ فلن يكشف عنهم ما يلقاهم من عذاب إذ يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨][٤].

٢- يُخاطب الله ﷻ الفطرة الإنسانية، ويُواجه المشركين ببأس الله، ويُواجههم بفطرتهم حين تعرضهم للأهوال والشدائد؛ لينسف حكاية الآلهة ويُعري ركام الشرك الذي هو قشرة طارئة تكونت بفعل عوامل دخلت على فطرة الإنسان التي فيها التوحيد الخالص، وعوامل بُعد الإنسان عن فطرته أو إلحاده يعود إلى استيطان الشهوات في القلوب، أو طمع النفوس، أو الكبت والقمع كما كان يحدث في الصراع الوحشي في الكنيسة في أوروبا، ومن أسباب انتشار الإلحاد استغلال اليهود لهذا الواقع التاريخي، فدفعوا النَّصارى بعيداً عن دينهم إلى الإلحاد؛ ليسهل عليهم نشر الإنحلال والشقاء وليسهل قيادتهم وتسخيرهم لأهدافهم وأطماعهم، ولقد حاول اليهود بمساعدة الصليبيين أن ينشروا ويدعوا للإلحاد في بلاد المسلمين، وأن يزرعوه في نفوس

---

[١] - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٢٠٧/٧.

[٢] - انظر : تفسير البيضاوي ٤٠٨/١.

[٣] - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٢٠٧/٧.

[٤] - انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٥ /٢٤٩٦.

المسلمين مستخدمين بعض عملائهم مثل أتاتورك[1] الذي بدأ هذه الموجة بحربه على الدين، ومنعه لتعاليم ومفاهيم ومظاهر الإسلام، ولكن محاولاتهم انحسرت، فلم تنجح في تركيا أو في أي مكان آخر حاولوا فيه أن يُغيروا دين المسلمين، فاستداروا كي لا يصطدموا بالفطرة الإسلامية السليمة إلى نشر الفساد والانحلال الخلقي بأيدي أناس يدَّعون الانتماء للإسلام، ويرفعون رايته ظاهراً مستعينين بأجهزة التدمير المختلفة[2].

٣- والمؤمن إذا تعرض لبلاء أو مصيبة فإنه يعود ويلجأ لربه؛ لأنه مؤمن بالله يعلم أن النفع والضر بيده، هو الذي يُسير الكون وفق إرادته، والمسلم يستعين بالدعاء لدفع السوء ولطلب وابتغاء الخير، فيقول الله ربنا: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر:٦٠] ، ويقول : ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[البقرة:١٨٦] ، ويقول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه سلمان الفارسي ﷺ : (لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ) [3].

---

[1] – أتاتورك: مصطفى كمال، ولد في سلانيك، وأجداده من يهود الدونمة، علا شأنه بعد معركة سقاريا سنة ١٣٤٥هـ مع اليونانيين، أعلن إنهاء الخلافة الإسلامية في ٢٧ رجب ١٣٤١هـ، وقيام الجمهورية التركية، وقطع الصلة بالإسلام والدول الإسلامية، واستبدل الدستور العثماني بالسويسري، وأعلن العلمانية دينًا للبلاد، واستعمل الأحرف اللاتينية بدل العربية.انظر: موجز التاريخ الإسلامي ص٣٤٣-٣٤٤.

[2] – انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ٢ /١٠٨٨.

[3] – سنن الترمذي ، أبواب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، ج١٨/٤، حديث رقم ٢١٣٩، قال عنه الترمذي: حسن غريب .

المبحث الثاني
السنن الربانية، من الآية (٤٢ــ ٧٤)

ويحتوي على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعذيب الأممالتي تكذب بالرسل في الدنيا .

المطلب الثاني : سنة الاستدراج طريق المتكبرين إلى الهاوية .

المطلب الثالث : سلب النعم عن المكذبين الكافرين .

المبحث الثاني
السنن الربانية

نتناول في هذا المبحث آيات فيها تسلية للنبي ﷺ ووعيد للكافرين الجاحدين، فكم من الأقوام منحها الله القوة والشدة عذّبهم الله بكفرهم، فعلى المعرضين المحاربين لدين الله الاعتبار، فإن الله ﷻ يستدرجهم ويُنعم عليهم حتى إذا فرحوا وتكبَّروا فاجأهم بالعذاب، وإذا سلب الله منهم نعمة فلا ناصر لهم ومغيث، وهذا المبحث فيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعذيب الأمم التي تكذب بالرسل في الدنيا .

يقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٤٢-٤٣]

أولاً/ التفسير الإجمالي: هنا تسلية للرسول ﷺ أي : لقد أرسل الله ﷻ الرسل إلى أمم كثيرة من قبله فكذبوهم، فأخذهم بالفقر والبؤس والأسقام والأوجاع؛ لكي يتضرعوا إلى الله بالتذلل والإنابة، فهلا تضرعوا حين جاءهم العذاب، وهذا عتاب على ترك الدعاء، وإخبار عنهم أنهم لم يتضرعوا مع قيام ما يدعوهم إلى التضرع، ولكن ظهر منهم النقيض، حيث قست قلوبهم فلم تلن للإيمان وزيَّن لهم الشيطان المعاصي[١].

ثانياً/ وجوه البلاغة :

١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ أُدخلت لام القسم على قد في افتتاحية الجملة لإفادة زيادة توكيد ما تضمنته الآية[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾: كناية عن الاعتراف بالذنب والتوبة والتذلل لله، والإيمان بالرسل الذين كذبوهم[٣].

٣- قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ لولا تفيد التوبيخ؛ لأنها دخلت على جملة فعلية ماضية[٤].

---

١ - انظر : جامع البيان للطبري ج١١ ص ٣٥٤ .

٢ - انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ج٧ ص٢٢٧ .

٣ - انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ج٧ ص٢٢٧ .

٤ - انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ج٧ ص٢٢٧.

ثالثاً/ المناسبة: بعد أن بيَّنت الآية السابقة لجوء الكفار عند فزعهم لله وعدم تمردهم على طاعته، جاء هنا عتاب لهم على ترك الدعاء مع قيام ما يدعوهم إليه، وتركهم دعاء الله تعالى هو لقسوة قلوبهم[1].

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف :

١- إن الكافرين والعصاة والظالمين يظلمون أنفسهم والناس، ولكن الله ﷻ ليس بغافل عنهم، فإنه يُملي لهم ويجعلهم في طغيانهم وتجاوزاتهم يتمادون، ثم يُعاقبهم بأعمالهم في الدنيا، وإذا أخذهم لن يجدوا نصيراً أو مؤيدا من دون اللهَ، فعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود:١٠٢])[2]، ولنا مثل في فرعون وقومه الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ**﴾ [الأعراف:١٣٣]فقد تكبر فرعون وأصابه وهم الغرور، وادعى الألوهية من دون الله ﷻ، وحارب موسى ﷺ ومن آمن معه، فسلَّط الله عليهم الجراد والقُمَّل والضَّفادع والدم لعلهم يتوبون، ولكنهم ظلُّوا في غيّهم وتكبَّروا وتمادوا في كفرهم وإجرامهم.

٢- وفي عصرنا الحديث نرى أن الأمراض التي لم يكن يعرفها من سبقنا تنتشر بين الناس مثل الإيدز وغيرها بسبب ظهور الفاحشة والتفنن في فعلها ونشرها، وظُلم الحكام لرعيتهم وضيق العيش يُسيطر على الشعوب بسبب الغش، ونقص المطر لمنع كثير من المسلمين للزكاة، ونقض المسلمين عهدهم مع الله ورسوله بالإيمان ولزوم الطاعة والبعد عما نهى الله ورسوله عنه، فكان عاقبة ذلك أن سلَّط الله عليهم أعداءهم فسيطروا على بلادهم وتحكَّموا في مقدراتهم وثرواتهم، وصار اليهود الذين ضربت عليهم الذلَّة والمسكنة يذلون أبناء الأمة ويُذيقونهم الويلات والعذابات، وأصبح بأس المسلمين بينهم شديدًا لعدم تحاكمهم لشرع الله الحكيم ورضاهم بحلول وأحكام وبدائل وضعية يائسة لا تنفع، يظنون أنها قد تكون بديلة لشريعة الله، فعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: (أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ

---

[1] – انظر : صفوة التفاسير للصابوني ٣٦٢/١ .

[2] – صحيح البخاري كتاب التفسير، باب قوله: (وكذلك أخذ ربك القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد)، ج٧٤/٦، رقم ٤٦٨٦.

يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ)[1].

٣-لقد قدَّم الله ﷻ العذاب المهين في الحياة الدنيا للمجرمين قبل العذاب الأكبر المقيم[2]، كما قال تعالى:﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [السجدة:٢١]، ومن لم يقدر على احتمال عذاب الدنيا الذي لا يساوي شيئاً مما أعد الله للطاغين والكفرة، فكيف سيواجه العذاب الشديد عند الله تعالى.

ونقول: هؤلاء الأقوام زيَّن لهم الشيطان معاصيهم وصدهم عن الحق، فاستمرؤوها فلم يعد يؤثر فيهم ما يرسل الله لهم من رسائل شديدة، " والقلب الذي لا ترده الشدة إلى الله قلب تحجَّر فلم تعد فيه نداوة وتعصرها الشدة، ومات فلم تعد الشدة تثير فيه الإحساس، وتعطَّلت أجهزة الاستقبال الفطرية فيه، فلم يعد يستشعر هذه الوخزة الموقظة، التي تنبّه القلوب الحية للتلقي والاستجابة، والشدة ابتلاء من الله ﷻ للعبد، فمن كان حياً أيقظته، وفتحت مغاليق قلبه، وردَّته إلى ربه، وكانت رحمة له من الرحمة التي كتبها الله على نفسه، ومن كان ميتًا حسبت عليه، ولم تفده شيئاً، وإنما أسقطت عذره وحجته، وكانت عليه شقوة، وكانت موطئة للعذاب"[3].

المطلب الثاني : سُنَّة الإستدراج طريق المتكبرين إلى الهاوية .

يقول الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾ [الأنعام:٤٤-٤٥]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي أن الأمم المكذّبة الجاحدة لمَّا كذَّبوا ما جاء به الرسل وتركوا العمل به، أبدل الله بؤسهم وضرهم قوة في الأجسام وسعة في الأرزاق وأنعم عليهم بالمزيد من الخيرات لاستدراجهم، ففرحوا بما أتاهم وازدادوا كفرا وبطراً، ففاجأهم العذاب وأصبحوا يائسين قانطين من الحزن، وكان مصيرهم أن قطع دابرهم واستؤصلوا عن آخرهم ولم يبق منهم أحد[4].

---

[1] – سنن ابن ماجه كتاب الفتن، باب العقوبات، ج٥/ ٤٩٠، حديث رقم ٤٠١٩، قال عنه الألباني : حسن الإسناد وأن الحاكم والذهبي قالوا بأنه صحيح الإسناد ، انظر : السلسلة الصحيحة للألباني ج١/١٠٥، رقم ١٠٦.

[2] – انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢٧/٧.

[3] – في ظلال القرآن لسيد قطب ١٠٨٩/٢.

[4] – انظر : جامع البيان للطبري ٣٥٧/١١ – ٣٥٨.

ثانياً/ وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: كل تفيد هنا الكثرة[١].

٢- قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ " كناية عن إهلاكهم بعذاب الاستئصال" [٢].

ثالثاً/ المناسبة: فيما تقدم إنكار لمن نسي ربه، وكان قلبه قاسياً بمعاصيه، وزيَّن لهم الشهوات وعظائم المنكرات، فتسبب ذلك أن فتح الله ﷻ عليهم من الخيرات والأرزاق وعيش الرخاء بعد الشدة؛ لاستدراجهم وأخذهم بغتة بما كان منهم [٣].

وعلاقة الفاصلة ﴿وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ مع موضوع الآيتين: لما كان الحديث عن هلاك الظالمين وزوال الفساد، لزم حمد الله على هذه النعمة العظيمة، فناسب أن تختم الآية بهذه الفاصلة[٤].

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف :

١- قد نرى أقواماً كافرة ظالمة، والله يُعطيهم ويُوسع رزقهم، فما هذا إلا استدراجٌ لهم ليزدادوا غياً، وفي سورة آل عمران يقول الله تعالى:﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران:١٧٨] ، وجاء في الحديث عن عقبة بن عامر ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إِذَا رَأَيْتَ الله يُعْطِي الْعَبْدَ مِنْ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلَا رَسُولُ الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤])[٥].

٢- جاء في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف:١٨٢ - ١٨٣] والذين كذَّبوا بالآيات هم كفار قريش وغيرهم[٦]، وغيرهم[٦]، وليحذر الذين يعصون الله ولا ينخدعوا بالخيرات والمتاع الذي يجدونه، ربما ينقلب ينقلب عليهم كل ذلك ويعذبوا ببطرهم وغرورهم كما حدث لقارون الذي طغى وتكبر، فظلَّ

---

[١] - انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ٧ /٢٣٠.

[٢] - التفسير المنير للزحيلي ٧ /٢٠٧.

[٣] - انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٢ ص ٦٣٦.

[٤] - انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٥ /٢٥٠٢.

[٥] - مسند أحمد، مسند الشاميين حديث عقبة بن عامر الجهني، ج٥٤٧/٢٨، حديث رقم ١٧٣١١، تعليق شعيب الأرنؤوط: حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤١٢/١، رقم ٤١٣.

[٦] - صفوة التفاسير للصابوني ١/ ٤٤٨.

إنعام الله تعلى عليه مستمرًا لاستدراجه، ودعاه موسى عليه السلام للإيمان والخضوع لله والإحسان وترك الفساد طاعةً لله وشكره لما أنعم به عليه، كان رده: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص:٧٨] ، ثم يصف القرآن مشهد تماديه في حربه لله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ [القصص:٧٩] فخُسف به وبداره الأرض، وقطع دابره .

٣- في نهاية الآية جاء الحمد لله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ فيجب علينا حمد الله على نعمه ولا نرجعها لعلمنا وقوتنا، ولا نقابل ما أعطانا بالجحود أو بتفاخر على الناس، كي لا يكون مصيرنا مشابهًا لمن استدرج من الأمم الظالمة.

٤- وترشدنا الآية إلى أن نحمد الله ونثني عليه لنعمه على رسله وعباده الطائعين بإظهار حجتهم على المخالفين من أهل الكفر[١]، ويجب علينا حمد الله لأنه يُربي الخلق بالنقمة والنعمة، ويُطهر الكون من المفسدين ويقطع دابرهم ويقضي على أثرهم، وفي ذلك نعمة من الله على المؤمنين، ونجد الحق سبحانه يقول: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرَّحمن:٣٣-٣٦] ففي هذه الآيات حديث عن النقم بالنسبة للكافرين بإرسال الشواظ من النار والنحاس، وفيها نعمة للمؤمنين لأن الناس ترتدع من التهويل في أمر العذاب، والوعيد نعمة من الله تبارك وتعالى[٢].

المطلب الثالث : سلب النعم عن المكذبين الكافرين .

يقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآَيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ * قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا القَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام:٤٦ - ٤٧]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي قل يا محمد ﷺ لهؤلاء المشركين بالله ﷻ المكذبين بالرسالة: إن أصمَّكم الله سبحانه فذهب بسمعكم، وأعماكم فذهب بأبصاركم، وطبع على قلوبكم، من غير الله يرد عليكم ما ذهب عنكم، ورغم ضرب الأمثال والبراهين ليتعظوا ويأخذوا العبرة إلا أنهم معرضون،

---

[١] – انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ٢٠٢٥/٣.

[٢] – انظر : تفسير الشعراوي ٦ /٣٦١٨.

ولذلك لينتظروا عذاب الله الذي يأتيهم بغتة؛ لأنهم استحقوه بشركهم وظلمهم، وإذا وقع عليهم العذاب فلا رادَّ لما قضى وحكم[1].

ثانياً/ وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾: جاء السمع بصيغة الإفراد، والأبصار بالجمع لما تقتضيه تمام الفصاحة، وليوافق ذلك النظم الصوتي[2]، وكذلك لأن المدرك بالسمع شيء واحد وهو الصوت، والمدرك بالبصر أشياء كثيرة، وقُدّم السمع على البصر لأن أول حاسة توجد في الإنسان حاسة السمع .

٢- قوله تعالى: ﴿مَنْ إِلَهٌ﴾ : " هنا استفهام مستعمل في التقرير يقصد منه إلجاء السامعين إلى النظر في جوابه فيوقنوا أنّه لا إله غير الله يأتيهم بذلك لأنّه الخالق للسمع والأبصار والعقول فإنّهم لا ينكرون أنّ الأصنام لا تخلق"[3].

٣- قوله تعالى: ﴿بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ والجهرة ضدّ الخفية وضدّ السرّ، وجاءت الجهرة هنا في مقابلة البغتة، وكان الظاهر أن تقابل البغتة بالنّظرة، أو أن تقابل الجهرة بالخفية، إلاّ أنّ البغتة ناسبت وقوعها هنا؛ لأنه لمّا كان وقوع الشيء من غير شعور به كان حصوله خفيًّاً، فحسن مقابلته بالجهرة، والعذاب الذي يجيء بغتة هو الذي لا تسبقه علامة ولا إعلام به، والذي يجيء جهرة هو الذي تسبقه علامة تؤذن بوقوعه[4].

ثالثاً/ المناسبة: الآيات متصلة بالآيات السابقة في موضوع إثبات القدرة الإلهية، وإقامة الدلائل والبراهين على وجود الله وتوحيده[5].

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف :

١- إن الله يسلب من الأمم الظالمة النعم كما تحدثنا في مطلب سابق اختباراً وابتلاءاً لهم وليكون رسالة معبرة قوية، وربنا يُهلك الظالمين ليكونوا عبرة لغيرهم، كما حدث لقوم عاد: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ﴾ [الفجر:٦-٧] فكانوا أصحاب شرف وقوة وبطش ولم يخلق

---

[1] – انظر : جامع البيان للطبري ١١/ ٣٦٥ ، ٣٦٨

[2] – انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ٧/ ٣٣٤.

[3] – المرجع السابق ٧/٢٣٤.

[4] – انظر : نفس المصدر ٧/٢٣٧.

[5] – انظر : التفسير المنير للزحيلي ٧/٢١٢.

مثلهم، وكان مصيرهم الإهلاك كما قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ**﴾ [الحاقَّة:٦-٨] فعذبهم الله وقضى على قوتهم وأهلكوا عن آخرهم، وقوم ثمود: ﴿**وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ**﴾ [الفجر:٩] ، وقال تعالى: ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ**﴾ [الحاقَّة:٥] الذين برعوا في العمران وكانوا ينحتون من الجبال البيوت فلما كذبوا وعاندوا أخذتهم الصيحة والرجفة فأهلكوا جميعاً[١].

٢- إن الأصنام عاجزة لا تقدر على شيء ولا تملك المنفعة والضرر لأحد؛ لذلك لا تستحق العبادة وقد خاب من عبدها؛ بل الله وحده هو الرب المعبود بيده الحياة والممات والرزق والسعادة وكل شيء في الكون بتقديره لا شريك له .

---

[١] - انظر : تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٢٣/١.

المبحث الثالث

مهمة النبي ﷺ، من الآية (٤٨ــ ٥٨)

ويحتوي على تسعة مطالب:

المطلب الأول: مهمة الأنبياء تبشير المؤمنين، وإنذار الكاذبين.

المطلب الثاني: الرسول ﷺ بشر يوحى إليه، ولا يعلم الغيب.

المطلب الثالث: إرشاد المؤمنين إلى سبيل النجاة.

المطلب الرابع: أمر الله ﷻ لنبيه ﷺ بملازمة المؤمنين ومجالستهم.

المطلب الخامس: تفصيل الآيات لتوضيح أمور الدين وطريق المجرمين.

المطلب السادس: تبرؤ النبي ﷺ من الشرك وأهله.

المطلب السابع: النبي ﷺ على بينة من ربه.

المطلب الثامن: استعجال المشركين للعذاب الذي هو بيد الله ﷻ.

المطلب التاسع: الحاكمية لله رب العالمين.

المبحث الثالث

مهمة النبي ﷺ

في هذا المبحث بيان لحقيقة الرسالة والرسل، ومهمتهم في تقرير توحيد الألوهية، وتبشير المؤمنين وإنذار الكافرين، والإرشاد إلى سبل السلام والنجاة، والأمر بالعلاقات الأخوية والمحبة والمودة بأن تسود بين من آمن بالله، ومن ناحية أخرى يأتي الحديث عن حلم الله على الناس، ولو كان أمر العذاب لغيره لانتهى أمر الكافرين والمكذبين، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول : مهمة المرسلين تبشير المؤمنين، وإنذار الكاذبين .

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آَمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام:٤٨-٤٩]

أولاً / التفسير الإجمالي: في الآيتين الكريمتين بيان لمهمة أساسية من أجلها أرسل الله تعالى رسله عليهم السلام، هذه المهمة هي البشارة لأهل الإيمان بصلاح الدارين، وإنذار المكذبين بالخسران المبين والعذاب المهين.

ثانياً / وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿نُرْسِلُ﴾ عُبر بنرسل ولم يُعبر بأرسلنا ليدل على تجدد إرسال الله لرسله إلى أقوامهم ليدعوهم إلى توحيد الله، حتى آخرهم محمد ﷺ الذي بُعث للعالمين[١].

٢- قوله تعالى: ﴿يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾: " إستعارة تصريحية؛ كأن العذاب كائن حي يفعل بهم ما يريد من الآلام" [٢].

ثالثاً / المناسبة: تواصل هذه الآيات إقامة الحجة بالدلائل على وجود الله وتوحيده، ونجد هنا بيان مهام الرسل ووظائفهم، مما يُبطل الشك وعبادة الأصنام[٣].

وعلاقة الفاصلة مع موضوع الآيتين: لما كان الحديث عن إرسال الرسل مبشرين من آمن وأصلح أنهم في مأمن من العذاب، ومنذرين الكافرين من العذاب الذي سيحل بهم بسبب فسقهم وتكذيبهم، فناسب أن تختم بها.

---

١ - انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٣٨/٧ .

٢ - إعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش ٧ /٣٥٠.

٣ - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٢١٢/٧ .

رابعاً / تحقيق المقصد والهدف:

١- لابد أن نُبَيّن الفرق بين الرسول والنبي، وقد اختلف العلماء في ذلك، والتعريف المختار هو: "أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله "[١].

٢- أرسل الله ﷻ الرسل للأقوام المشركة لقطع الحُجَّة على من يقول لو بعث إلي رسول لآمنت، يقول تعالى:﴿ **رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى**﴾ [طه:١٣٤]، ويقول الله تعالى: ﴿ **رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [النساء:١٦٥] حتى لا يتعذَّر المشركون بالله والضالُّون عن سبيله حين يُعذَّبوا بما استحقوا لجرائمهم أنهم ضلُّوا لعدم مجيء الرسل، فالحُجَّة قائمة عليهم بالرسل الذين دعوهم للتوحيد، وبيَّنوا لهم الشرائع وعلَّموهم الأحكام، وبشروهم إن أطاعوا بالجنة، وأنذروهم بالنار على كفرهم وعصيانهم [٢].

٣- بشَّر الأنبياء المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالحياة الطيبة في دنياهم لقوله تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل:٩٧] فمن آمن بالله وحده مخلصاً له، وأطاع الله وأوفى بعهده معه، وعده ﷻ بالسعادة، والحياة الحسنة الهانئة، والرزق الحلال الطيب، وإن كان في فاقة أو ميسرة تطيب حياته بالقناعة بما قسم الله له من رزق، والبشرى الأخرى لهم حين يجزيهم أجرهم بما عملوا من خير وإحسان إذا صاروا إليه في الآخرة[٣]، ويدخلهم الله مغفرة منه وجنات لإيمانهم وعمل الصالحات فيقول تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة:٢٥]، وقال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ [آل عمران:٥٧] ، ويقول: ﴿ **وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [المائدة:٩]، وغير ذلك من الآيات التي تثبت ما قلنا.

---

[١] - الإيمان بالرسل للصلابي ص ١٣.

[٢] - انظر : المحرر الوجيز لابن عطية ٢/ ١٣٧- ١٣٨، وروح المعاني للألوسي ٣١٦/٤، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٦ /٣٩.

[٣] - انظر : جامع البيان للطبري ٢٨٩/١٧ – ٢٩١.

ومن صور بشارة الله للمؤمنين أن ينصرهم على عدوهم بإيمانهم ونصرهم لربهم بالثبات وفعل الطاعات والقربات والابتعاد عن المعاصي والمنكرات، ألم يقل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧] ، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٩-١٠] فإن الله ﷻ بشَّر عباده بالملائكة تمُدُّهم تقاتل معم في غزوة بدر جزاءً لهم بما صبروا وهاجروا وناصروا وجاهدوا، وفي غزوة الخندق لأنهم آمنوا وثبتوا، أنعم الله عليهم وأيَّدهم بالجنود من الملائكة تزلزل الأحزاب، والريح تقلع وتُدَّمر خيامهم وقدورهم كما قال رب العالمين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب:٩] وفي غير ذلك من المواقع.

٤- ومن مهمة الرسل كذلك إنذار الكافرين بالعيش الضيق في حياتهم وخسرانهم يوم القيامة، كما يقول الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه:١٢٤-١٢٦] فإن الذي يُعرض عن الآيات، وعن ذكر ربه ويتولى عنه، ولم يستجب ويتعظ فينزجر عما هو مقيم فيه من مخالفة وعصيان ربه فله معيشة شديدة الضيق، وإن كان في سعة من الدنيا وأكل وشرب ولبس وسكن وتنعَّم بظاهره، إلا أن حياته ضنكاً لا طمأنينة فيها، ولا انشراح لصدره، وقلبه في قلق وحيرة وتردد وريبة؛ لأنه لم يؤمن ولم يُطع ويَخلص إلى اليقين[١]، هذا حاله في الدنيا، أما في الآخرة فيحُشر أعمى إلى النار التي جوزي بها بما كسب في دنياه، ويظهر ذلك أيضاً من الآية الكريمة: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء:٩٧-٩٨] ، يقول الصابوني في تفسيرها: "أي يُسحبون يوم القيامة على وجوههم تجرُّهم الزبانية من أرجلهم كما يُفعل بالدنيا بمن يُبالَغ في هوانه وتعذيبه، ويُحشرون حال كونهم عمياً وبكماً وصماً، يعني فاقدي الحواس لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون، ثم يرد إليهم أسماعهم وأبصارهم ونطقهم فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى عنهم، .... ومستقرهم ومأواهم في جهنم كلما سكن لهيبها وخمدت نارها

---

[١] - انظر : جامع البيان للطبري ٣٨٠/١٨ .

زدناهم ناراً ملتهبة وهجاً وجمراً، وهذا العذاب جزاء كفرهم بآيات الله وتكذيبهم بالبعث والنشور"[1]، ومصير الطَّاغين تصفه لنا سورة النبأ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا * لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وِفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النَّبأ:٢١ - ٣٠].

٥- لقد خصَّ الله تبارك وتعالى نبيَّه محمدًا ﷺ بأن جعله مرسلاً للعالمين رحمة لهم، في عصره وإلى يوم القيامة فيقول المولىﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، فكما أنه أُرسل لتبشير المؤمنين جاء رحمة للكفار والفجار ممَّا أصاب الأمم السابقة من الخسف والعذاب، وبُعث لبقية العوالم غير الإنس: عالم الملائكة، وعالم الجماد، وعالم الحيوان، وعالم النبات، وعالم الجن الذي آمن منهم نفر بالنبي ﷺ كما جاء في سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجنّ:١-٢] [2] .

٦- جاء الإنذار للمكذبين بالرسل بأنهم سيصيبهم العذاب وعذاب النار بسبب فسقهم وتكذيبهم، وعبر سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله: ﴿يَمَسُّهُم﴾ لأن الجلد موضع الإحساس بالألم.[3]

المطلب الثاني : الرسول ﷺ بشر يوحى إليه، ولا يعلم الغيب .

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠]

أولاً / التفسير الإجمالي: أي قل يا محمدﷺ للمقترحين عليك الآيات أو القائلين لك إنما تدعونا لنتخذك إلهاً مع الله: لا أدَّعي أن عندي مفاتيح رزق الله ورحمته، ولا أعلم الغيب، وإنما ذلك كله عند الله ﷻ، فهو الذي إن فتح للناس من رحمة فلا مُمسك لها، وإن أمسك فلا مُرسل لها من بَعده، وهو وحده عالم الغيب والشهادة، فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول، ولا أقول لكم إني مَلَك فأكون نافذ التصرف قويًا، فلست أدَّعي فوق منزلتي التي أنزلني بها الله ﷻ، فغاية أمر

---

[1] - صفوة التفاسير ١٦٣/٢ .

[2] - انظر : جامع البيان للطبري ٥٥٢/١٨، وانظر : تفسير الشعراوي ١٦/ ٩٦٧٥.

[3] - انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٢٥٠٧/٥.

النبيﷺ ومنتهاه اتباع والعمل بما يوحى إليه وتبليغه للخلق كلهم، أفلا يُفكّرون فيُنزلون الأشياء منازلها، ويختارون ما هو أولى بالاختيار والإيثار[١].

ثانياً/ وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**﴾ شبَّه الكافر بالأعمى الذي لا يعرف أين يقصد ويمشي، والمؤمن بالبصير الذي لا تختلط عليه الرؤية؛ وذلك لفساد وضع الكافرين وعُقم أقيستهم وفكرهم وعدم فقه الأدلة وتفكيك المعاني لديهم، في حين أن المؤمنين مهتدون مميزون للحقائق، وفي الآية استفهام إنكار لعدم تفكر أهل الكفر المعاندين[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿**الأَعْمَى وَالبَصِيرُ**﴾ بينهما طباق.

ثالثاً/ المناسبة: بعد أن انقضت المجادلة مع المشركين في إبطال شركهم ودحض إنكارهم للنبوة، وإبطال شُبههم في الآية السابقة ببيان أن المرسلين مبشرون ومنذرون، نقل الكلام إلى الإعلام بحقيقة الرسالة، وأن الرسول بشر جاء بالهدى ومأمور بتبليغ الناس، ليس هو مَلَكاً ولا يعلم الغيب ولا يملك لأحد نفعاً ولا ضرًا[٣].

وعلاقة الفاصلة مع موضوع الآية: بيَّنت الآية أن الله ﷻ وحده الذي يعلم الغيب، وليس لنبي أو مَلَك من الملائكة أن يعلمه، وإنما ما على النبي ﷺ إلا البلاغ واتباع ما أوحي إليه، فجاءت الفاصلة: ﴿**أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**﴾ لتقرر أن من اتبع الآيات الواضحة هو البصير، ومن أعرض فهو الأعمى الذي لا يعتبر[٤].

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- لقد اصطفى الله ﷻ نبيه ﷺ عن الخلق بالعصمة والرسالة، والأصل أنه من بني آدم، وُلد من أبوين، ويتزوج النساء، ويُنجب الأبناء، وله طبيعة كطبيعة البشر يفرح ويحزن، ويرضى ويغضب، ويجوع ويعطش، ويأكل ويشرب، ويمرض ويشفى، ويمشي في الشوارع والأسواق.

---

[١] – انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢٥٧/١ .

[٢] – انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٤٣/٧ .

[٣] – انظر : المرجع السابق٧ /٢٤٠ .

[٤] – انظر : نظم الدرر للبقاعي ٦٤١/٢.

ويقول ربنا تبارك وتعالى على لسان نبيه : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [فصِّلت:٦] " أي قل يا محمد لهؤلاء المعرضين عن آيات الله من قومك: أيها القوم، ما أنا إلا بشر من بني آدم مثلكم في الجنس والصورة والهيئة ولست بمَلَك"[١].

٢- إن الرسول لا يَتَّبع إلا وحي الله ويدعو له، ومهمته هي تبليغ دين الله ولا يعلم الغيب، ولا يملك خزائن الله وليس بملك بل هو بشرٌ رسولٌ من رب العالمين، فيقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصِّلت:٦] وفي ذلك بيان أن النبيﷺ بشر، ولكن مهمته إبلاغ الخلق بما أوحي إليه من الله الواحد، والدعوة إلى توحيد الله ﷻ وإخلاص العبادة له، وأن يستغفروا الله لذنوبهم بفعل الطاعات والدعاء، وتوعَّدهم بالويل والهلاك للمشركين؛ لأنهم لا يُزَكُّون أنفسهم ولا يُطهرونها من الشرك والرذائل، والمقصود بالزكاة في الآية التزكية والتطهير[٢].

٣- ولقد نزَّه الله ﷻ النُّبوة والرسالة عن صور النبوءات الزائفة من سحر وتنجيم وجنون، والتي كانت شائعة في الجاهلية، حيث يدَّعي المُتنبئون علم الغيب، وأنهم يستطيعون تسخير النواميس وأحوال الطبيعة عن طريق اتصالهم بالجن والأرواح، وبفعل الرُقى والتعاويذ، أو بغيرها من الوسائل والأساليب، وهي تتفق معاً في الوهم والضلال، وثبت بطلان ما يعتقد به الجاهليون[٣].

٤- لقد بعث الله الرسول من البشر لغايات جليلة منها:

أ- مراعاة العقل البشري ليسهل تبليغ أحكام وتعاليم الدين بشكل يناسب طبيعة الإنسان وعقله وظروف حياته وبيئته ونفسيته، فيتم فهمها واستيعابها بشكل كاف وصحيح، وليكون الحوار والمخاطبة بشكل مستأنس مألوف وفق حياة البشر .

ب- لمخاطبة العقل البشري وسهولة التعامل معه، وإيصال الدين وما فيه من غيبيات للبشر ليضبط عقولهم عن الشذوذ، فإن العقل الإنساني قادر على تلقي وإدراك مدلولات الوحي، ولا بد من تنشيطه لينضبط تفكيره في حدود الوحي ويتدبَّر ويتفكَّر ليتأمل في ملكوته ليصل إلى النور والهداية ويعرف الحقيقة، والعقل إذا استقل عن الوحي فإنه يضل وينحرف لسوء التقدير والرؤية ونقصها[٤].

---

[١] - جامع البيان للطبري ٢١/٤٣٠.

[٢] - انظر : تفسير القرآن العظيم ١٢/٢١٨-٢١٩.

[٣] - انظر : في ظلال القرآن ٢/ ١٠٩٤-١٠٩٥.

[٤] - انظر : المرجع السابق ٢/١٠٩٧، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩.

ت- إن مصلحة الخلق أن يتبع الرسول وحياً لا أن يبتدع من نفسه، لأنه إن نقل التعاليم والتكاليف بألفاظها وحقيقتها فستسير مع كل مكان وزمان وحين، أما إن كانت من أفكار البشر فقد تتغير وتتبدل حسب الظروف والمتغيرات، فلو ابتدع في إطار طبيعته لنزل بمستوى دعوته ورسالته[1].

ث- لو أرسل الله نبياً من غير البشر لكان للمكذبين ما يتعذَّرون به لتكذيبهم وإعراضهم، أمَّا إن كان المبعوث إنساناً مشابهاً للمُرسل إليهم في القدرات، ولا يقدر على أن يأتي بمعجزة أو بقدرته ومن تلقاء نفسه، فليس لهم حُجَّة إن جاءهم بمعجزة خارقة للعادات يعجزون عن الإتيان بمثلها[2].

المطلب الثالث : إرشاد المؤمنين إلى سبيل النجاة .

قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٥١] .

أولاً/ التفسير الإجمالي: هنا خطاب للنبي ﷺ بأن يُنذر بالقرآن المؤمنين الطائعين الذين يخشون ربهم ولقاءه، ويُصدّقون بوعده ووعيده، وليعلموا أنهم ليس لهم من عذاب الله مُنقذ أو نصير أو شفيع، ويُنذرهم لعلهم يتقوا الله بفعل الطاعات، والامتثال لأوامره طلباً في الأجر ورضا الله ﷻ، ويجتنبوا المعاصي والمنهيات حذراً من سخطه وخوفًا من عقابه وللنجاة من غضب الله ﷻ[3].

ثانياً/ المناسبة: ترتبط هذه الآية بالآية السابقة فتوضح حقيقة الرسالة، ووظيفة الرسل، ومنها أن عليهم إنذار الذين يخشون الآخرة؛ ليصلوا إلى مرتبة التقوى[4].

وعلاقة الفاصلة مع موضوع الآية: إن الإنذار من أهم أسباب تحقق تقوى الله ﷻ، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه وقاية من عذاب الله وطلباً للنجاة يوم الحشر.

---

[1] - انظر: تفسير الشعراوي ٣٦٤٢/٦.

[2] - انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٧ /٢٣٩.

[3] - انظر : جامع البيان للطبري ٣٧٣/١١.

[4] - انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ١٠٩٥/٦.

ثالثاً/ تحقيق المقصد والهدف:

إن سبيل نجاة المؤمنين من سخط الله وعقابه المُعد للظالمين والكافرين والمُتجبّرين والعصاة يوم الحشر يكون بالرجوع للقرآن الكريم لاستخلاص سبل السلام:

١- أمر الله ﷻ في القرآن الكريم بالإيمان والتوحيد الخالص فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء:١٣٦] ، وأمر تعالى بالإخلاص فقال: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ**﴾ [البيِّنة:٥] .

٢- جاءت آيات كثيرة تُحذر المؤمنين من الحشر وأهوال يوم القيامة، مثل قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**﴾ [الحج: ١-٢]، وجاءت آيات تبين أحوال الكفار والعصاة يوم القيامة كقوله ﷻ: ﴿**وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا * يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ المُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ* وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ**﴾ [المعارج:١٠-١٤] ، وقوله تعالى: ﴿**وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا**﴾ [مريم:٨٦]، وغيرها تدل على مصير الأتقياء كما في قوله: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ* ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ**﴾ [عبس:٣٨-٣٩] فهذا كله يدفع المسلمين ليصلحوا من أمورهم خوفاً من هذا اليوم الشديد.

٣- جاءت آيات كثيرة تحث على التقوى فيقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران:١٠٢] ، وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء:١] ، وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الحشر:١٨] ، وغير ذلك من الآيات، وتعريف التقوى هي: " أن يجعل العبد بينه وبين ربه وقاية من غضبه وسخطه وعذابه، وهي أن تعمل بطاعة الله ﷻ على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله ﷻ"[١]، وتقوى الله ﷻ تكون بفعل الطاعات على نور من الله تعالى، وفق شرعه دون إحداث في الدين

[١] - الإيمان بالقرآن والكتب السماوية للصلابي ص ٥٦ .

ما ليس فيه، بفعل الواجبات المأمور بها المسلم من دينه، والإكثار من المندوبات والقربات، والالتزام بأخلاق الإسلام، بهدف نيل الأجر من الله، وترك معصية الله ﷻ ومخالفة أمره، واجتناب ما نُهي المسلم عنه كالظلم والقتل وشرب الخمر وأكل الربا وغيرها من الجرائم والكبائر والمعاصي، مخافة سخط الله وغضبه، وبالتقوى تحصل السعادة الدائمة والفوز العظيم، وبإضاعتها الشقاء الأبدي والعذاب السرمدي، وبيَّن الله ثواب المتقين بقوله: ﴿**مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الكَافِرِينَ النَّارُ**﴾ [الرعد:٣٥] ، ويقول: ﴿**تِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا**﴾ [مريم:٦٣] ، ويقول تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آَمِنِينَ* وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾ [الحجر:٤٥-٤٧] ، وقال تعالى ليُعرّفنا أنها سبب تكفير الذنوب: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٣] ، وقال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا**﴾ [الطَّلاق:٥]، والتقوى سبب لقبول الأعمال فيقول ﷻ: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة:٢٧]، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**﴾ [الطَّلاق:٢] " أي: من جملة ثوابه أن يجعل له فرجًا ومخرجًا من كل شدة ومشقة، وكما أن من اتقى الله ﷻ جعل له فرجًا ومخرجًا، فمن لم يتق الله ﷻ، وقع في الشدائد والآصار والأغلال، التي لا يقدر على التخلص منها والخروج من تبعتها، واعتبر ذلك بالطلاق، فإن العبد إذا لم يتق الله فيه، بل أوقعه على الوجه المحرم، كالثلاث ونحوها، فإنه لا بد أن يندم ندامة لا يتمكن من استدراكها والخروج منها، ويسوق الله الرزق للمتقي، من وجه لا يحتسبه ولا يشعر به"[١].

٤- أمرنا الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز في عدة آيات بالامتثال لأوامر النبي ﷺ واجتناب نواهيه، ﴿**وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ**﴾ [الحشر:٧] وهذه قاعدة كليَّة وأصل عام، شامل لأصول وفروع الدين، وما جاء به النبي ﷺ يَتَّعين على العباد الأخذ به، وما أمر به عليهم فعله، ولا تحل مخالفته، وإن نهى عن شيء عليهم اجتنابه؛ فإنَّه لا يأتي إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر، وليس لأحد الاختيار في أوامره ونواهيه، أو أن يُقدّم قول أحد من البشر على قوله ﷺ، وطاعة النبي ﷺ في كل شيء تتحقَّق بها التقوى

[١] – تيسير الكريم الرحمن ٨٦٩/١ .

والوقاية من العذاب الشديد[1]، وعند اتباع المسلم لمنهج النبي ﷺ يفوز بمحبة الله ومغفرته ورحمته ورضوانه، لقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١]، " ومن يطع الله والرسول بالتسليم لأمرهما، وإخلاص الرضا بحكمهما، والانتهاء إلى أمرهما، والانزجار عمَّا نهيا عنه من معصية الله، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بهدايته والتوفيق لطاعته في الدنيا من أنبيائه، وفي الآخرة إذا دخل الجنة"[2]، فيقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩]، ولنعلم أن من فضَّل شيئاً من الدنيا وجذبه عن حب النبيﷺ وطاعة أمره، فعليه انتظار عقاب الله على عدم حبه واتباعه للمصطفى الذي جاء بالهدى والحق كما في الآية العظيمة: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤] .

المطلب الرابع: أمر الله لنبيه ﷺ بملازمة المؤمنين ومجالستهم .

قال تعالى : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ * وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ * وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:٥٢-٥٤]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي لا تطرد من مجلسك يا محمد هؤلاء المؤمنين الضعفاء الذين يعبدون الله دوماً في الصباح والمساء يلتمسون بذلك القُرب من الله ﷻ والدُنو من رضاه، وإنك لا تُؤاخذ بحسابهم و لا هم بحسابك، فإنك إن طردتهم تكون من الظالمين، وحاشاه من وقوع ذلك منه ﷺ، وقد جعل الخلق أممًا متباينة مختلفة منهم الأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء ليختبرهم – أي الأغنياء والأقوياء – هل يمنعهم الشرف والغنى عن الإيمان، واتباع الحق، وليعلموا أن الله عليم بالذي يُقر بالنعمة ويشكر فيعمل بها، أو يجحد بها فيعرض، وأمر الله ﷻ النبي ﷺ بإكرام المؤمنين

---

[1] – انظر : تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٨٥٠/١ .

[2] – جامع البيان للطبري ٥٣٠/٨ .

واحترامهم فخاطبه الله تعالى أنه إذا جاءه الذين صدَّقوا بآيات الله الشاهدة على صدقه وبالقرآن، ومخلصين التوبة من ذنوبهم السابقة، أن يكرمهم برد السلام عليهم، ويبشرهم برحمة الله الواسعة، فإنه جل وعلا قد كتب على نفسه الرحمة لعباده، ومن اقترف ذنباً بجهالة منه، ونال بسبب ذلك سخط الله، ثم تاب وأناب إلى الله وندم من بعد ذلك وأصلح، فإنه تعالى يغفر ذنبه فهو غفور لعباده التائبين رحيم بهم[١].

ثانياً/ وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿**مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾ في هاتين الجملتين نوع من المحسنات البديعية وهو رد الصدر عن العجز[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿**أَهَؤُلَاءِ**﴾ " استفهام مستعمل في التعجب والإنكار "[٣].

ثالثاً/ سبب النزول:

١-عن سعد ﷺ قال:" كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلاَلٌ وَرَجُلاَنِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ الله ﷺ مَا شَاءَ الله أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ الله ﷻ : ﴿**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام:٥٢][٤]، ويرى الباحث أن هذه الرواية مقدمة على غيرها لأنها وردت في صحيح مسلم.

٢-وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ في سبب نزول هذه الآية:﴿**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ قَالَ: " نَزَلَتْ فِي خَمْسٍ مِنْ قُرَيْشٍ، أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ فِيهِمْ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ

---

[١] – انظر : جامع البيان للطبري ١١ /٣٧٤، ص ٣٨٨ – ٣٨٩ ، وانظر: تيسير الكريم الرحمن ٢٥٨/١.

[٢] – انظر : التفسير المنير للزحيلي ٧ / ٢١٧ .

[٣] – التحرير والتنوير لابن عاشور ٧ /٢٥٤ .

[٤] – صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ، ج٧ /١٢٧، رقم ٦٣٩٤.

لِلنَّبِيِّﷺ: لَوْ طَرَدْتَ هَؤُلَاءِ عَنْكَ جَالَسْنَاكَ تُدْنِي هَؤُلَاءِ دُونَنَا، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣] "[1].

٣- وروي عن خباب ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال: (جَاءَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ[2]وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ[3]فَوَجَدَا رَسُولَ الله ﷺ مَعَ صُهَيْبٍ وَبِلَالٍ وَعَمَّارٍ وَخَبَّابٍ قَاعِدًا فِي نَاسٍ مِنْ الضُّعَفَاءِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺحَقَرُوهُمْ فَأَتَوْهُ فَخَلَوْا بِهِ وَقَالُوا: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا مِنْكَ مَجْلِسًا تَعْرِفُ لَنَا بِهِ الْعَرَبُ فَضْلَنَا، فَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ تَأْتِيكَ فَنَسْتَحْيِي أَنْ تَرَانَا الْعَرَبُ مَعَ هَذِهِ الْأَعْبُدِ، فَإِذَا نَحْنُ جِئْنَاكَ فَأَقِمْهُمْ عَنْكَ فَإِذَا نَحْنُ فَرَغْنَا فَاقْعُدْ مَعَهُمْ إِنْ شِئْتَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَاكْتُبْ لَنَا عَلَيْكَ كِتَابًا، قَالَ: فَدَعَا بِصَحِيفَةٍ وَدَعَا عَلِيًّا لِيَكْتُبَ وَنَحْنُ قُعُودٌ فِي نَاحِيَةٍ، فَنَزَلَ جِبْرَائِيلُ ﷺ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ فَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣] ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤] قَالَ: فَدَنَوْنَا مِنْهُ حَتَّى وَضَعْنَا رُكَبَنَا عَلَى رُكْبَتِهِ وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَجْلِسُ مَعَنَا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ قَامَ وَتَرَكَنَا، فَأَنْزَلَ الله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾ [الكهف:٢٨] وَلَا تُجَالِسْ الْأَشْرَافَ ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [الكهف:٢٨] يَعْنِي عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعَ، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨] قَالَ هَلَاكًا

---

[1] – المستدرك على الصحيحين للحاكم كتاب معرفة الصحابة، باب من أحب أن يقرأ القرآن غضاً فليقرأ على قراءة ابن أم عبد، ج٣/٣١٩، رقم٥٤٠٠، قال الحاكم: " هذا حديث صحيح على شرط الصحيحين، ولم يخرجاه "

[2] – هو الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارمي التميمي، صحابي، ومن سادات العرب في الجاهلية، قدم على رسول الله ﷺفي وفد من بني دارم (من تميم) فأسلموا، وشهد حنينا وفتح مكة والطائف، وسكن المدينة،.... وكان مع خالد بن الوليد في أكثر وقائعه حتى اليمامة، واستشهد بالجوزجان وهي كورة واسعة من كور بلخ بخراسان. الأعلام ٢/٥.

[3] – عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري، أسلم بعد الفتح، شهد غزوة حنين، وارتد في عهد خلافة أبي بكر الصديق ﷺ ومال إلى طليحة حين ادَّعى النبوة وبايعه ثم عاد للإسلام. انظر: الإصابة ٤/٧٦٧.

قَالَ أَمْرُ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الرَّجُلَيْنِ وَمَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، قَالَ خَبَّابٌ: فَكُنَّا نَقْعُدُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا بَلَغْنَا السَّاعَةَ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا قُمْنَا وَتَرَكْنَاهُ حَتَّى يَقُومَ)[1].

رابعاً/ المناسبة: في الآية السابقة كان الأمر للنبي ﷺ بإنذار المؤمنين الموقنين بالحشر والانتقال من دار الدنيا إلى دار القرار؛ لأنهم من ينتفع بهذا، وهنا مواصلة لتوجيه النبي ﷺ في كيفية معاملة المؤمنين، فعليه بمجالسة المستضعفين من المؤمنين وعدم طردهم من مجلسه، ومحبتهم وتقريبهم؛ لأنهم الصفوة من الخلق، والأعزاء بإيمانهم وإن كانوا فقراء[2].

خامساً/ تحقيق المقصد والهدف :

١- أمر الله تعالى النبي ﷺ بالتوجه للمسلمين وملازمتهم، وهذا أمر للمسلمين عامة، وبذلك نستنتج أن المسلم عليه أن يوالي إخوانه المسلمين ويتبرأ من الكافرين ولو كانوا ذوي قربى، وفيما يلي نتحدث عن الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين الذي هو من لوازم لا إله إلا الله :

أ- تعريف الولاء والبراء :

" الولاء هو محبة الله ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم، والبراء هو بُغض أعداء الله ومجاهدتهم"[3]، "وينشأ عنهما من القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصرة والأنس والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك"[4].

ب-الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين منصوص عليه في القرآن والسنة، وكذلك جاء في سير الصحابة ما يرسخ لهذه العقيدة، كما يأتي:

- الولاء للمؤمنين:

- ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٧١]

- ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥]

---

[1] - سنن ابن ماجه كتاب الزهد ، باب مجالسة الفقراء، ج٥/٥٦٧-٥٦٨، حديث رقم ٤١٢٧، قال عنه الألباني أنه صحيح / صحيح وضعيف ابن ماجه ١٢٧/٩.

[2] - انظر : تيسير الكريم الرحمن ٢٥٧/١.

[3] - الولاء والبراء للقحطاني ص٤٥ .

[4] - الولاء والبراء للقحطاني ص٤٢ .

- البراء من الكافرين :

- ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ المَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨]
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١].

ت-الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين في السُنة النبوية الشريفة:

- عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِى الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِى النَّارِ)[١].
- حديث البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإِيْمَان أَنْ تُحبَّ في الله وتُبْغَضَّ في الله)[٢].

ث-الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين من سير الصحابة :

- قال ابن عباس (رضي الله عنهما): (من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما ينال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا) [٣].
- موقف عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول[٤]ﷺ مع أبيه بعد سب المسلمين عقب غزوة بني المصطلق، وهو: " أنه أتى رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أُبَي فيما بلغك عنه فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني

---

[١] – صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ، ج١/١٢، رقم١٦.

[٢] – المعجم الكبير للطبراني باب عكرمة بن عباس، ج١١/٢١٥، رقم ١١٥٣٧، قال الألباني عنه حسن. السلسلة الصحيحة ج٢/٧٣٤، رقم ٩٩٨..

[٣] – جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٣٤.

[٤] - عبد الله بن عبد الله بن أبي الأنصاري الخزرجي، صحابي وكان أبوه رأس المنافقين، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد مع النبي ﷺ، واستشهد عبد الله باليمامة في قتال الردة سنة ١٢هـ. الإصابة في تمييز الصحابة ٤/١٥٥.

نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبَي يمشي في الناس فأقتله فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا"[١].

- وورد في كثير من كتب السيرة كثير من المواقف التي ترسخ الولاء للمؤمنين والبراء من أعداء الله، ففي غزوة بدر قتل عمر بن الخطاب ﷺ خاله، وفعل مصعب بن عمير ﷺ مع أخيه الأسير أبي عزيز بن عمير الذي خاض المعركة ضد المسلمين فعلاً يظهر فيه الإيمان الحقيقي، والولاء والبراء الصادق، فمرَّ به وأحد الأنصار يشدُّ يده، فقال مصعب للأنصاري: شُد يديك به، فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب ﷺ: أهذه وصاتك بي ؟ فقال مصعب: إنه – أي الأنصاري – أخي دونك[٢].

٢- مجالسة المسلمين وزيارتهم وصحبتهم من الأمور التي أُمر بها المسلمون: عن أبي هريرةﷺ عن النبي ﷺ: (أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ الله لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لاَ غَيْرَ أَنِّى أَحْبَبْتُهُ فِي الله ﷻ، قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكَ بِأَنَّ الله قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ) [٣]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي الله نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنْ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا)[٤].

والزيارة في الله فضلها عظيم، وأجرها كبير، وهي التي تكون عن محبة في الله ورجاء لثوابه لا لمصالح دنيوية.

٣- جعل الله للمسلم على أخيه المسلم حقوقًا، يلتزم كل فرد بها اتجاه الآخر، فيقول النبيﷺ الذي الحديث الذي يرويه أبو هريرة ﷺ: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ:إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ)[٥]، "والحديث دليل على أن هذه حقوق المسلم على المسلم، والمراد بالحق ما لا ينبغي تركه، ويكون فعله إما واجباً أو مندوباً ندباً مؤكداً

---

١ – السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٩٥ .

٢ – انظر : الرحيق المختوم للمباركفوري ص ٢٠٢، ٢٠٣ .

٣ – صحيح مسلم كتاب البر والصلة والاداب، باب في فضل الحب في الله، ج٨ /١٢، رقم ٦٧١٤ .

٤ – سنن الترمذي أبواب البر والصلة، باب ما جاء في زيارة الإخوان، ج٣/٥٣٨، حديث رقم ٢٠٠٨، قال عنه الترمذي: حسن غريب.

٥ – صحيح مسلم كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم، ج٣/٧، رقم ٥٧٧٨.

شبيهاً بالواجب الذي لا ينبغي تركه، ويكون استعماله في المعنيين من باب استعمال المشترك في معنييه فإن الحق يستعمل في معنى الواجب"[١].

وجاء في الحديث ستاً من الحقوق للمسلمين على بعضهم وهي:

الحق الأول: الأمر بإلقاء السلام ندباً يستوي فيه البر والفاجر، ويخص البر عن الفاجر بالبشاشة والمصافحة؛ لأنه إن لم يُسَلّم عليه فقد احتقره، واحتقاره من أعظم الجرائم، وإذا كان إلقاء السلام مندوباً وسُنة فإن ردَّه واجب، وإفشاء السلام سبب لزرع ونشر المحبة والود بين المسلمين، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَىْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ)[٢]، ولا ننسى القول أنه ليس لغير المسلم حق في السلام لما ذكر في الحديث.

والثاني: إذا دُعي المسلم إلى مأدبة فحق عليه الإجابة، ورأي الصنعاني أنها واجبة في حالة الوليمة، وفيما عداها فهي مستحبة[٣].

والثالث: إذا طلب المسلم من أخيه النصيحة فيجب عليه نصيحته لعدم غشه، وإن كان النصح من غير الطلب فهو مستحب مندوب[٤].

والرابع: إذا عطس فحمد الله أن يُشَمّته بقول : يرحمك الله، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لله، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ الله، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ الله، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ الله وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ)[٥]، واختلف العلماء في تشميت العاطس الحامد، فقال البعض إنه واجب، وقال البعض أنه مستحب، ويستحب أن يذكر بالحمد لمن عطس ولم يحمد[٦].

والخامس: هي أن يزوره إذا مرض، واختلف في وجوبها أو استحبابها أو فرضها على الكفاية[٧].

---

١ – سبل السلام للصنعاني ٢٠٥/٤ .

٢ – صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، ج١/ ٥٣، رقم ٢٠٣.

٣ – انظر: سبل السلام للصنعاني ٢٠٥/٤، وانظر: فيض القدير للمناوي١٧٥/٣، وانظر: عمدة القارئ للعيني ١٣/٨.

٤ – انظر : سبل السلام ٢٠٦/٤، وفيض القدير ١٧٥/٣.

٥ – صحيح البخاري كتاب الأدب، باب لا يشمت العاطس إذا لم يحمد الله، ج٨ /٥٠، رقم ٦٢٢٤.

٦ – انظر : سبل السلام /٢٠٦، وفيض القدير ٣ /١٧٥.

٧ – انظر : سبل السلام ٤/ ٢٠٧، وفيض القدير١٧٥/٣.

والسادس: من حق المسلم على المسلم أن يتبع جنازته معروفاً كان أو غير معروف حتى يُصلى عليه، والأولى والأفضل أن يصحبه إلى الدفن[1].

٤- يجب على المسلم أن يتواضع لإخوانه المسلمين، ويكون لين الجانب معهم، ولا يجعل في قلبه ولو مثقال ذرة من كبر، لأن التكبر هو من الأسباب القوية التي دفعت من تخلَّق وتطبَّع به عن الإيمان، ومنعته من الوصول للحق، فهذا إبليس كفر وتمرَّد وعتى بسبب تكبُّره على آدم عليه السلام كما جاء في الآيات التالية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[الأعراف:١١-١٣] ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٣] ، وكُفْر أهل مكة كان لتكبرهم على النبي ﷺ كما نقل القرآن قولهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزُّخرف:٣١] أي كنا نُؤمن ونُصدق لو نزل القرآن على رجل عظيم من القريتين وذو شرف وزخرف دنيوي، وجهلوا أن الذي يستحق الرسالة صاحب الخُلق العظيم، وكريم النفس، والمتحلي بالكمالات والفضائل القدسية دون التزخرف بالزخارف الدنيوية، وهذا حال كل المتكبرين فلا يؤمنون لأن ما تحلَّوا به يمنعهم من ذلك مثل فرعون كما في الآية: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزُّخرف:٥٢] " فيقوله تعالى مخبرًا عن قول فرعون لقومه بعد احتجاجه عليهم بملكه وسلطانه، وبيان لسانه وتمام خلقه، وفضل ما بينه وبين موسى عليه السلام بالصفات التي وصف بها نفسه وموسى عليه السلام : أنا خير أيها القوم، وصفتي هذه الصفة التي وصفت لكم، أم هذا الذي هو مهين، لا شيء له من الملك والأموال مع العلة التي في جسده، والآفة التي بلسانه، فلا يكاد من أجلها يبين كلامه؟"[2]، وقارون نموذج آخر، فكان يملك من المال والكنوز العظيمة التي يعجز عن حمل مفاتيحها العصبة من الرجال الأشداء، فتكبَّر على الهدى وعلى خلق الله، ولما نُهي عن الفرح والتكبر تبجَّح مدعياً أن ما معه من مال إنما كسبه من قوته وقدرته وعقله، وجحد النعمة التي أنعمها الله تعالى عليه : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ

---

[1] – انظر : سبل السلام ٤/ ٢٠٨، وفيض القدير ١٧٥/٣.

[2] – جامع البيان للطبري ٦١٧/٢١ .

فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمُونَ﴾ [القصص:٧٦-٧٨] .

المطلب الخامس : تفصيل الآيات لتوضيح أمور الدين وطريق المجرمين .

قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي كذلك يوضح ويُبيّن الله ﷻ الآيات، ويميز طريق الهدى والضلال؛ ليظهر طريق المجرمين الذين يصرون على الذنوب، لعل النبي ﷺ ومن معه يهتدون ويعرفون الطريق الموصلة إلى غضب وعذاب الله، فيجتنبوها ويبتعدون عنها بعد أن استبانت واتَّضحت لهم سبيل المجرمين[١].

ثانياً/ وجوه البلاغة: يقول ابن عاشور: " في الكلام إيجاز بالحذف، فالتقدير مثلاً : وكذلك التفصيل نفصّل الآيات لتعلم بتفصيلها كنهها، ولتستبين سبيل المجرمين."[٢]

ثالثاً/ المناسبة: تبين الآية أن ما جاء في الآيات بدءًا من قوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ .....﴾ [الأنعام:٥١] هو تفصيل الآيات ليظهر طريق المجرمين، ويُبين الله تعالى سبيل المجرمين ويوضحها حتى يأمن أهل الحكمة والصلاح من السير فيها، فيؤمن من يؤمن عن بينة، ويضل من يضل عن بينة، فيتضح الهدى جلياً فلا يقعوا في الجهالات العمياء.

وعلاقة الفاصلة مع موضوع الآية: جاء تفصيل الآيات كما سبق ليتضح سبيل المجرمين، ويهتدي أهل الحكمة والصلاح، فكان مناسباً أن تختم بهذه الفاصلة: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ﴾ .

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف :

١- لقد فصَّل الله الأدلة الدامغة القوية في كل حق ينكره أهل الشرك والباطل[٣].

٢- إن من أسباب الكفر اتباع الهوى، ومن يتبع هواه فإنه يقوده إلى الضلالة والانحراف عن الهدى والحق، ومن أمثال هؤلاء الذين يعبدون الأصنام خاضعين لأهوائهم، وبعض من أراد

---

١ - انظر : أوضح التفاسير لابن الخطيب ص ١٥٨، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٢٥٨.

٢ - التحرير والتنوير ٧ /٢٦٠.

٣ - انظر : جامع البيان للطبري ١١/ ٣٩٥ .

إضلال البشر الذين خرجوا بمذاهب ليست من الدين في شيء كالقاديانية[١] والبهائية[٢]، الذين يقدمون تنازلات تمس بالأخلاق؛ من أجل أن يرضوا أصحاب الهوي ويستوعبوا ويستميلوا من يسعى لتحقيق شهوته واستسلم لهواه[٣].

٣- علينا العلم أن حياة المجرمين كفر وسفور وإجرام، وقد وضح لنا بذلك منهجهم وعلاماتهم، أما حياة المؤمنين فهي الإيمان والخير والصلاح[٤].

٤- لقد بيَّن الله للمؤمنين سبيل المجرمين والكافرين والمعاندين وفق العدل الإلهي والتي تناسب أعمالهم، وهو العذاب من الله ﷻ، والفطنة السليمة ترشد إلى أن من بان له سبيل المجرمين يعرف أن سبيل المؤمنين مقابل له، وهو الرحمة والتكريم[٥].

٥- قد نجد أقواماً أسماؤهم وألقابهم إسلامية ظاهراً، وهيئاتهم هيئاتنا، وهم من سلالات المسلمين، فإن علمنا علامات ومنهج المجرمين انتبهنا لهم ولم ننخدع بهم، وبعد استبانة طريق المجرمين والضلال يجب ألا نهادن أهله، ولا يثنينا خوف أو تهديد، ولا نهتم للومة لائم أو صيحة صائح[٦].

٦- إن من المكذبين بالله واليوم الآخر من قد يكون خدم البشرية، وتطورت الحياة بصنائعهم، فهؤلاء يأخذون حظهم من مال وشهرة وجاه في الدنيا مقابل ما عملوا من خير لأجل البشرية، ولكن هذا لن ينجيهم عند الله، فسوف يلقون العذاب في يوم القيامة جزاء شركهم وتكذيبهم واتباعهم خطوات الشيطان، ولذلك يقول الحق سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ**﴾ [النور:٣٩] وفي هذا مثل يضرب لبيان بطلان أعمال الكفار النافعة في الدنيا وذهابها سدى، فإن أعمال الكافرين التي فيها بر وخير كصلة الرحم وإكرام الضيف وخدمة البشر، يحسبها

---

[١] – القاديانية: فرقة كافرة مضلة نشأت في الهند تنسب إلى أحمد بن مرتضى بن محمد القادياني المسمى مرزا غلام أحمد الذي ادعى أنه مجدد المائة ثم المهدي ثم النبوة، وهدفهم محاربة الإسلام وشق صفوف المسلمين وخدمة المستعمر الإنجليزي في الهند فحرموا الجهاد وأباحوا الخمور والمخدرات. انظر : الأعلام ٢٥٥/١-٢٥٦.

[٢] – البهائية: ديانة منحرفة نشأت في إيران، مؤسسها حسين علي ميرزا، ومن عقائدهم القول بتناسخ الأرواح، ولهم من التعاليم ما هو غريب كتحريم صلاة الجماعة إلا على ميت والصلاة ثلاث مرات بكيفية معينة ويبيحون زواج الشاذين وألغوا العقوبات وعندهم غير ذلك الكثير من غرائب في العقيدة والتشريع. انظر: الأعلام ٢٤٨/٢-٢٤٩.

[٣] – انظر : تفسير الشعراوي ٦ /٣٦٦٣.

[٤] – انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ١١٠٥/٢.

[٥] – انظر : تفسير الشعراوي ٣٦١١/٦.

[٦] – انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ١١٠٦/٢ ، ١١٠٧ .

الكافر تنفعه عند الله ﷻ، ولكنها كالسراب في الأرض الواسعة التي لا نبات فيها ولا شجر، يحسبه الظمآن الجاهل ماءً، وهي سراب لا حقيقة فيه ولا فائدة، وكذلك الكافر يُبعث يوم القيامة فلا يجد ما عمل في الدنيا ينفعه شيئا، ويجده ضائعاً، وهذا بسبب شركه الذي لا يغني معه أي شيء[١].

المطلب السادس : التبرؤ من الشرك وأهله .

يقول تعالى : ﴿ **قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾ [الأنعام:٥٦].

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي قل يا أيها الرسول لأولئك المشركين الذين يدعونك إلى موافقتهم على شركهم وعبادة غير الله ﷻ معهم: إني نهاني ربي أن أعبد ما تدعون من الأصنام والأوثان، وقل لهم: لا أتبع أهواءكم في عبادة غير الله ﷻ الموروثة لكم عن آبائكم، إني إن فعلت أكون قد ضللت، وما أكون أنا بذلك من المهتدين إلى سبيل الفوز والنجاح[٢].

ثانياً/ وجوه البلاغة: أُعيد الأمر بالقول ليفيد الإهتمام، ونفي جميع الضلالات من ضمنها عبادة الأصنام نفيًا شاملًا[٣].

ثالثاً/ المناسبة: الآية السابقة بيَّنت أن الله تعالى فصَّل الآيات ليظهر الحق وليُبين سبيل المجرمين، جاء في هذه الآية نهي عن سلوك سبيلهم[٤].

وعلاقة الفاصلة: ﴿ **قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾ مع موضوع الآية: لما نهى الله ﷻ نبيه ﷺ عن عبادة الأصنام واتباع أهواء من يعبدها، جاءت الفاصلة لتؤكد أنه سيقع في الضلال إن فعل ذلك، وأن عبدة الأصنام المعاندين المستكبرين لن يرجعوا عن ضلالهم؛ لعراقتهم فيه وتأصله في نفوسهم نتيجة اتباعهم أهواءهم[٥].

---

١ – انظر : وروح المعاني ٤٥٦/١٣.

٢ – انظر : الكشف والبيان للثعلبي ٤/ ١٥٢.

٣ – انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٦٢/٧.

٤ – انظر : التفسير المنير للزحيلي ٢٣٢/٧.

٥ – انظر : نظم الدرر للبقاعي ٦٤٥/٢.

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف :

١- على الخلق توحيد الله ﷻ وعدم عبادة غيره معه، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)[١]، ولأن الله مستحق العبادة، فهو الذي أرسل رسوله وثبَّت فؤاده وأخلصه، وجعله يفاصل قومه مفاصلة المستيقن أنه على الهدى وأنهم على الضلال، وهو الحليم على المكذبين، وعالم الغيب، والمهيمن على عباده، القادر على كل شيء، مصرف الكون وحياة البشر، وهو الذي يستجيب دعاء الملهوفين والمضطرين[٢].

٢- من أركان الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وهذه كلمة التوحيد أساس الإيمان، وإقرار بالانقياد لشرع الله ﷻ لقوله تعالى: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف:٣] ، وقوله تعالى : ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الرُّوم:٣٠] ، وفيها براء من الشرك وكل دين غير الإسلام لقول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران:٨٥] ، وتأمر أن نترك أي منهج أو فكر أو مذهب وضعي من صنع البشر، يعتقد من صنعه واتبعه أنه بديل للإسلام، أو أنه أكثر واقعية منه، وأن فيه من الحلول ما هو أصح وأحق مما في ديننا، كالشيوعية والعلمانية وغيرها؛ لأن ديننا كامل تام بدليل الآية العظيمة : ﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة:٣] ، وكلمة التوحيد فيها نفي لأربعة أمور، ومادام أنها تنفيها فعلى المسلم أن يتبرأ منها، وهذه الأمور الأربعة هي الآلهة، أي أن فيها نهي أن يُعبد غير الله ﷻ، وأن يُقصد غيره الله لجلب خير ومنفعة أو دفع ضر، وفيها نفي للطواغيت الذين عبدوا في الأرض أو رُشحوا للعبادة وهم راضون، مثل فرعون الذي قال : ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ [القصص:٣٨] ، وأما من عُبد وهو لا يرضى، وحارب من أجل ذلك فإنه بعيد كل البعد عن وصف الطاغوت، والحقيقة أن المسلم لا يُعظّم ولا يحب إلا الله ﷻ، وكلمة التوحيد تنفي الأنداد وهم من يجذبون

---

[١] – صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك مع الله غير الله، ج٨/٢٢٣، رقم ٧٦٦٦ .

[٢] – انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ٢ / ١١٠٩.

المسلم عن دينه من أهل أو مسكن أو عشيرة أو مال لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ لله جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ العَذَابِ﴾ [البقرة:١٦٥] ، والآية : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤] وهنا الخطاب من الله ﷻ للنبي ﷺ آمراً أمته بالتجرد لله تعالى من كل مغريات الدنيا، والانقطاع عن الدنيا وعدم التعلق بها، والبقاء في اتصال معه في الإيمان والعبادة والبذل، وألا يشغله عن أن ينتصر لله، وأن ينصر دينه ورسوله أي عزيز أو قريب أو متاع، وفي كلمة التوحيد أيضاً نفي للأرباب الذين يُفتون للناس بمخالفة الحق، فيقول المولى ﷻ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١] ، والمسلم لا يطيع إلا الله وحكمه، وعنوانه تقوى الله في كل عمل[١].

٣- البراء من المشركين هو جزء من عقيدتنا، كما فعل إبراهيم عليه السلام، والنبي محمد ﷺ، والصحابة (رضوان الله عليهم)، بعدم محبتهم، وعدم اتخاذهم أولياء، وتفضيلهم على المؤمنين؛ لأنهم حادُّوا الله ورسوله كما يقول ربنا: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢] .

المطلب السابع: النبي ﷺ على بينة من ربه .

قال تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾... [الأنعام:٥٧]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي: "على يقين مبين، بصحته، وبطلان ماعداه، وهذه شهادة من الرسول جازمة، لا تقبل التردد، وهو أعدل الشهود على الإطلاق، فصدَّق بها المؤمنون، وتبيَّن لهم من

[١] – انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٣٢٦٣/٦، انظر : الولاء والبراء للقحطاني ص ٢٦، ٢٧.

صحتها وصدقها، بحسب ما مَنَّ الله به عليهم، وهو لا يستحق هذا منكم، ولا يليق به إلا التصديق"[1].

ثانياً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- يؤيد الله ﷻ نبيه ﷺ ويأمره أن يقول للمشركين إنه على يقين من أمر ربه لا يتزعزع؛ ليبأس من يشكك في صدق نبوته، ومن يصفه بالسحر والجنون والشعر والكذب، وأمره أن يعلن عن المنهج الحق المبين، القائم على الحجج النيرات والآيات الباهرات، وهذا تأييد باليقين الواضح الراسخ، والدليل الداخلي البيّن، وأمره أن يجهر بالحق على البينة، وهذا الشعور وجده أيضاً الرسل الذين عبروا عنه، فقال نوح عليه السلام: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ**﴾ [هود:٢٨] ، وقال صالح عليه السلام: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ**﴾ [هود:٦٣] ، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ**﴾ [الأنعام:٨٠] [2].

٢- كل أمر يأتي به النبي ﷺ، وكل فعل يؤديه إنما هو حسب ما أمره الله ﷻ، ويتَّبع المؤمنون رسالته، ويقتدون به، فهو الأسوة الحسنة فيقول الله ﷻ : ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب:٢١] ، وما جاء به من هدي فإن فيه الخير للخلق، مثل تحريم الخمر، فإن الله تعالى حرَّم الخمر في القرآن الكريم، والمؤمنون لا يشربونه؛ لأن الحق نهى عن هذا الفعل، ونجد الأطباء في عصرنا الحديث بيَّنوا أضرار الخمر؛ وذلك لأنها تعتدي على أجهزة الإنسان الداخلية، فيضر الكبد والمخ والجهاز العصبي والهضمي، وبذلك نجد أننا باتباع شرعنا نصل السلامة[3].

---

[1] - تيسير الكريم الرحمن للسعدي ١/ ٢٥٨.

[2] - انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ٧ /٢٦٤، وانظر: في ظلال القرآن ٢ /١١١٠.

[3] - انظر : تفسير الشعراوي ٦ /٣٦٦٤.

المطلب الثامن: استعجال المشركين للعذاب الذي هو بيد الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لله يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ * قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٧ – ٥٨]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي ليس عند النبي ﷺ العذاب الذي يطلبه ويستعجله المشركون، والحكم لله والحكمة له فيما يحكم ويُقدّر، وهو يقص الحق، وهو خير الحاكمين، ويقول لهم النبي ﷺ لو أن العذاب بيده لأنزله وأوقعه بمن كذَّب بالحق وكفر بالله، ولكن العذاب من الله الحكيم وحده، لا لغيره، فيعلم متى يعذب ويعفو ويرحم[١].

ثانياً/ وجوه البلاغة: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ : كناية عن معنى أنه ليس إلهاً، ولكنه عبد يتبع ما يوحي به الله إليه[٢].

ثالثاً/ سبب النزول: قال الواحدي إن الآية ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لله يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام:٥٧] : " نزلت في النضر بن الحارث[٣] ورؤساء قريش كانوا يقولون: يا محمد ائتنا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاء منهم فنزلت هذه الآية"[٤].

رابعاً/ المناسبة: انتقل هنا من الكلام عن إبطال الشرك كما في الآية المتقدمة بدليل الوحي إلى إثبات صدق النبوة بالأدلة والبراهين ليأس المشككون بدين الله، وكذلك أمر الله ﷻ النبي ﷺ أن يقول لهم أنه علي يقين من أمر ربه، وإن الله تعالى الذي يعلم ما يناسب حالهم من تعجيل أو تأخير للعذاب [٥].

---

١ – انظر : أوضح التفاسير لابن الخطيب ١/ ١٥٨.

٢ – انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ٧/٢٦٩ .

٣ – النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف من بني عبد الدار، من شياطين قريش ووجوهها، آذى رسول الله ﷺ كثيرًا وكان صاحب لواء قريش يوم بدر، أسره المسلمون يومها وقتله علي بن أبي طالب ﷺ. انظر: الأعلام ٨/٣٣.

٤ – أسباب النزول للواحدي ١/١٤٧.

٥ – انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٧/ ٢٦٤– ٢٦٥.

وعلاقة الفاصلة ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ مع موضوع الآية: لمَّا كان الحديث في الآية أن النبي ﷺ ليس بيده تعذيبهم، ولكن الله ﷻ الذي يعذب من يشاء، وهو أعلم بحالهم ويمهلهم لحكمة يعلمها وحده، فجاءت الفاصلة مناسبة في ختام الآية.

خامساً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- "إنهم- أي المشركون - يردُّون أمر الله ويطلبون العذاب، وتلك قمة المكابرة، والتمادي في الكفر وذلك بطلبهم تعجيل العذاب"[١]، "وإنهم يقولون ذلك استهزاءً وسخريةً، ولا يعلمون أن العذاب آت حتماً ولا خلاص لهم منه؛ لأن الله صادق في وعده ووعيده، وسيأتيهم العذاب لأنهم استهزءوا وسخروا فلا مناص لهم عنه ولا مهرب لهم منه"[٢]، وقد كان المشركون يُكذّبون الوعيد، فقد ادعوا كفراً أنه لو صدق النبي ﷺ لعجَّل لهم العذاب، ولحلَّ بهم ما حلَّ بالأمم التي أهلكت من قبلهم[٣]، " وهكذا نرى تحدي الكفار لرسول الله ﷺ ليأتيهم بالعذاب، لكنه تحد مردود عليه بأن الحق هو الذي يُقرر ميلاد كل أمر ولسوف يأتيهم العذاب فجأة، وهو واقع لا محالة وإن جهنم ستحيط بهم، وسيغمرهم العذاب من أعلاهم ومن أسفلهم، ويسمعون صوت الملك الموكل بعذابهم : ذوقوا عذاباً أنكرتموه وهو جزاء أعمالكم "[٤].

٢- إن البشر لهم طاقة محدودة في الصبر والحلم، والإنسان يرى من الخلق ما يضيق به صدره، ولكن الله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء، فهو يسعهم في ملكه، ويطعمهم ويسقيهم وينعم عليهم من أبواب نعمه ورحمته، فالبشر يعصونه، ويُكذِّبون رسله، ولكن الله ﷻ حليم عليهم، يُمهلهم إلى وقت معلوم عنده، ولو كان أمر الكون بقدرة النبي ﷺ، وتعذيب المجرمين بإمكانه، لانتهى أمرهم، ولأهلكهم بعقاب عاجل ولأنزل عليهم عذابًا شديدًا؛ غضباً لله، وسخطاً عليهم بتكذيبهم الوحي والرسالة، ولكن الله تعالى بحكمته يعلم ما يستحقه الظالمون[٥].

٣- الله تعالى خير الفاصلين، يقضي بين الناس بالعدل، ويفصل بينهم بالحق، ومشيئة إنزال العذاب له وحده، فينزل العذاب في الدنيا فيهلك الأقوام ويُضيق عليهم دنياهم، ويسلب منهم ما

---

١ - تفسير الشعراوي ٣٦٦٦/٦.

٢ - المرجع السابق ٣٦٦٨/٦.

٣ - انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ٧ / ٢٦٥.

٤ - تفسير الشعراوي ٦ /٣٦٦٨.

٥ - انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ٢ /١١١١، وانظر: تفسير الشعراوي ٦/ ٣٦٦٧.

يشاء مما أعطاهم، ويؤخر العذاب للمجرمين إلى اليوم الآخر الذي لا يعلمه إلا هو، وليس لأحد غيره تصرف فيه[١].

المطلب التاسع: الحاكمية لله رب العالمين.

قال تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لله﴾ [الأنعام:٥٧]

إن الله ﷻ يحكم بالحكم الجزائي بين خلقه، فيقضي ويفصل ويُثيب ويعاقب بحسب ما تقتضيه حكمته، وكذلك هو الذي له الحكم والتشريع، فشَرَع وأمر ونهى، والاعتراض على حكمه تعالى مدفوع مطلقًا[٢].

أولًا/ تحقيق المقصد والهدف:

١- الحاكمية في الاصطلاح الشرعي: هي " أنه بيده القضاء في شئون عباده، وأنه صاحب الحكم فيهم، وله حق التشريع لهم، وهو مصدره، ولا يحق لأحد من البشر أن يشرع غير شرعه تعالى، و يأتمر هو بشرع غير شرع الله ﷻ"[٣].

ويجب على المسلمين الحكم بما أنزل الله تعالى، وإن تحكيم الشريعة الإسلامية ثابت بالقرآن والسنة والإجماع، والآيات الدالة على وجوب تحكيم شرع الله والتحاكم إليه، والمحذرة من التحاكم إلى غيره كثيرة في كتاب الله تعالى وكلام العلماء في تفسيرها معروف حتى أضحى ذلك علماً ضرورياً عند المسلمين، وقال الشيخ ابن باز (رحمه الله) :" إن العبد يجب عليه الانقياد التام لقول الله تعالى، وقول رسوله، وتقديمهما على قول كل أحد، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة "[٤].

والأدلة على وجوب تحكيم شرع الله كثيرة منها:

أ- القرآن الكريم:

- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:١٠٥] فإن الله تبارك وتعالى أنزل على عبده الكتاب بالحق محفوظاً من الشياطين ومن أن يأتيه الباطل، فأخباره صدق، وأحكامه عدل، ويأتي في شرعنا تفصيل لجميع أمور الدين

---

١ - انظر : التحرير والتنوير ٢٦٨/٧، وتفسير الشعراوي ٣٦٦٦/٦.

٢ - انظر : تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢٥٨/١ .

٣ - النظم الإسلامية للدكتور أحمد شويدح وآخرين ص٢١٩.

٤ - مجموعة فتاوى ابن باز ١ /٨٢.

وأصوله وفروعه، وحكم الدين يشمل الحكم بين الناس في الدماء والأموال والأعراض وسائر الحقوق، وجميع مسائل الأحكام، وحكم النبي ﷺ لا يكون بهواه، ولكن بما علمه الله ﷻ وألهمه، ومعلوم أن النبي ﷺ معصوم[1].

- ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠] " وفي هذه الآية إنكار وتوبيخ، والمعنى أيتولون عن حكمك ويبتغون غير حكم الله ﷻ، وهو حكم الجاهلية، ومن أعدل من الله تعالى في حكمه، وأصدق في بيانه، وأحكم في تشريعه لقوم يصدقون بالعلي الحكيم"[2].
- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦] " لم يكن لمؤمن بالله ورسوله، ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاءً أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، ويُخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما، ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا فقد ضل ضلالاً مبيناً، وقد جار عن قصد السبيل، وسلك غير سبيل الهدي والرشاد"[3].
- قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لله أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٤٠] خطاب من يوسف عليه السلام لصاحبي السجن "أي : ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآبآؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون "[4].
- وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠] " تعجيب من أمر من يدَّعي الإيمان ثم لا يرضى بحكم الله ﷻ، أي ألا تعجب من صنيع هؤلاء المنافقين الذين يزعمون الإيمان بما أنزل إليك وهو القرآن وما أنزل من قبلك وهو التوراة والإنجيل ويريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت"[5].

---

[1] – انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ١/ ١٩٨ – ١٩٩.

[2] – صفوة التفاسير للصابوني ١/٣٢٠.

[3] – جامع البيان للطبري ٢٠ /٢٧١.

[4] – أوضح التفاسير لابن الخطيب ١/٣٩٨.

[5] – صفوة التفاسير للصابوني ج١ ص ٢٦٢.

- ويقول تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣] فأنزل الله مع النبيين الكتب السماوية لهداية البشر، وتنظيم أمورهم، وأظهر دينه وحكمه الحق بالحجج الواضحة، والدلائل القاطعة، ومن نعمة الله على المؤمنين أن هداهم للحق، وأمرهم أن يحتكموا لشرع ربهم .

ب- السنة النبوية المطهرة :

لقد دلَّت الأحاديث النبوية المطهرة بالنص الصريح والقاطع على وجوب الحكم بما أنزل الله تبارك وتعالى واتباع شرع الله ﷻ في كل مسألة من المسائل أو قضية من القضايا التي تواجه الأمة في أي مجال من مجالات الحياة، نذكر من هذه الأحاديث ما يلي:

- عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)[١]، فالحديث يدل على أن الله ﷻ حرَّم الجنة على من عصى أمر النبي ﷺ وحكمه.
- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ)[٢]، على المسلمين الامتثال لأمر الله ﷻ وتطبيق ما جاء به إلا لعذر ورخصة، ولا يختلف مع أحكام الدين أو يناقش فيها، وعليه أن ينتهي عن فعل المنهيات.

ت- الإجماع :

أجمع علماء الأمة على أنه لا شرع إلا ما شرعه الله ﷻ، ولا حلال إلا ما أحله الله ﷻ، ولا حرام إلا ما حرمه الله ﷻ، وأن تشريع الأحكام هو حق لله ﷻ وحده، فمن أعطى غيره هذا الحق أو أعرض عن شرع الله ولم يرض به فهو كافر بإجماع المسلمين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " ومعلوم باتفاق المسلمين أنه يجب تحكيم الرسول في كل ما شجر بين الناس في أمر دينهم ودنياهم في أصول دينهم وفروعه، وعليهم كلهم إذا حكم بشيء ألا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما حكم ويسلموا تسليماً"[٣]، والرسول ﷺ يحكم بحكم الله ﷻ، ويقول شيخ الإسلام: "ذمَّ الله ﷻ المُدَّعين الإيمان بالكتب كلها، وهم يتركون التحاكم إلى الكتاب والسنة،

---

١ - صحيح البخاري كتاب الإعتصام باب الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، ج٩/٩٢، رقم ٧٢٨٠ .

٢ - صحيح مسلم كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر، ج٤/١٠٢، رقم ٣٣٢١.

٣ - مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٧/٧ – ٣٨.

ويتحاكمون إلى بعض الطواغيت المُعظَّمة من دون الله، كما يصيب ذلك كثيراً ممن يدعي الإسلام وينتحله في تحاكمهم إلى مقالات الصابئة الفلاسفة أو غيرهم، أو إلى سياسة بعض الملوك الخارجين عن شريعة الإسلام من ملوك الترك وغيرهم"[1].

٢- إن كلمة لا إله إلا الله التي لا يكون إسلام لإنسان بدونها تُقرّر أن الحاكمية لله ﷻ، وكلمة الإله تُطلق على كل ما يُعبد، فالصنم الذي بعبده السفهاء والجهلاء هو إله مزعوم باطل، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آَلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٧٤] ، والإنسان إذا سيطر عليه هواه، وصار عمله وسلوكه تبعاً له، يتحكَّم فيه وفي تصرفاته، فإنه يتخذه إلهاً كما في الآية: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣]، وقد نجد من البشر من يدَّعي أنه إله، ويُصاب بالغرور والكبر بتجبُّره واستعباده للناس كحال فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص:٣٨] ،وكلمة التوحيد تنفي أن يكون إله غير الله، وتُثبت أنه لا معبود بحق سوى الله، فالله تعالى هو الخالق والرازق وحده سبحانه وتعالى[2].

٣- البلد الذي يحكم بشريعة الله تعالى ووفق ما أنزل، فإنه يتقدَّم ويتطور ويزدهر ويرتقي، وستتوحد الغايات والأهداف بين أبنائه، وسيزول شبح الحروب والتنازع من أجل المصالح، ولن يُستعبد أحد من العباد .

٤- لقد وصف الله ﷻ من يحكم بغير ما أنزل الله بثلاثة أوصاف:

قال تعالى: ﴿.... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، وقال تعالى: ﴿.... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥] ، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧] ، واختلف أهل العلم فيها، فمنهم من قال إنها أوصاف واحدة لموصوف واحد، ومنهم من قال إنها أوصاف متعددة لموصوفين متعددين، وهذا ما يرجحه ابن عثيمين وهو إما أن يكون كافراُ أو ظالماً أو فاسقاً والتفصيل في ذلك كما يأتي[3]: فيكون من حكم بغير ما أنزل الله كافراً في ثلاث حالات:

---

[1] – المرجع السابق ٣٣٩/١٢ – ٣٤٠.

[2] – انظر : النظم الإسلامية لأحمد شويدح ص ٢٢٢ .

[3] – انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين ٢/ ١٥٩ – ١٦٠ .

أ- إذا اعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله، بدليل الإجماع القطعي على أنه لا يجوز الحكم بغير ما أنزل الله، وما أحلَّه الله تعالى لا يجوز لأحد تحريمه، وما حرَّمه لا يحل لأحد إباحته، وذلك كمن اعتقد أن الزنا والربا والخمر حلال، أو أن الخبز أو اللبن حرام.

ب- إذا اعتقد أن حكم غير الله مثل حكمه.

ت-إذا اعتقد أن حكم غير الله أحسن من حكمه، كمن اعتقد بالشيوعية والعلمانية وظن أن فيها من الحسن والكمال مالا يوجد في دين الله ﷻ، ومثل من وضع قوانين وتشريعات مع علمه بحكم الله ومخالفتها له، وهذا الواضع بدَّل شريعة الله تعالى بقوانين وضعها بنفسه ومن عقلها القاصر.

ويكون الحاكم بغير ما أنزل الله ظالماً: إذا اعتقد أن الحكم بغير ما أنزل أحسن الأحكام وفيها النفع كله، ويجب تطبيقه، ولكن ما حمله على ما حكم به بغض أو حسد أو حقد.

ويكون فاسقاً: إذا كان حكمه بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه، مع اعتقاده بوجوب حكم الله، وأن فيه الحق والعدل، ولكنه حكم بما حكم به ليس كراهية لحكم الله، ولكن محبة لما حكم به من نفسه، مثل أن يحكم لشخص برشوة رُشي بها، وإن كان هذا ظالماً إلا أن الفسق أولى في وصفه.

أما من كان قد حكم بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أنه لا يُخالف الإسلام وأحكامه، فإنه لا يُكفَّر.

"وقد يحكم الحاكم بغير ما أنزل الله لأنه يكون عاجزاً عن تطبيق الشريعة، فهذا لا يكفر، لأن الأوامر الشرعية مقرونة بالاستطاعة، كما في قوله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [التغابن:١٦]، وقد ضرب العلماء أمثلة لذلك، أوضحها النجاشي رحمه الله، فقد كان ملكاً على قومه، فأسلم دونهم، وما قدر على تعلم الدين فضلاً عن تطبيقها، ومع ذلك فإن لا أحد يشك في صحة إسلامه رحمه الله "[1]، والنجاشي[2] مات مسلماً بشهادة النبي ﷺ له، وصلاته عليه، فعن أبي هريرة ﷺ قال: (نَعَى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّجَاشِيَّ صَاحِبَ الْحَبَشَةِ يَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَالَ

---

[1] – التكفير بين خطورته وشرعيته وأسبابه وضوابطه للدكتور جابر السميري ص ٢٠ .

[2] – هو أصحمة بن أبحر النجاشي ملك الحبشة – أثيوبيا اليوم –، واسمه بالعربية عطية، والنجاشي لقب له، أسلم على عهد النبي ﷺ ولم يهاجر إليه، وكان ردءا للمسلمين نافعاً وقصته مشهورة في المغازي في إحسانه إلى المسلمين الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام، وأخرج أصحاب الصحيح قصة صلاته ﷺ صلاة الغائب عليه، (الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢٠٥/١) .

اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ)[1]، وعن جابرﷺ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى عَلَى أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيِّ فَكَبَّرَ أَرْبَعًا)[2].

٥- يقول ابن كثير في سبب نزول الآية ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء:٦٥] : "هو أن رجلين اختصما إلى النبيﷺ، فقضى للمحق على المبطل، فقال المقضي عليه لا أرضى ؟ فقال صاحبه: فما تريد؟ قال: أن تذهب إلى أبي بكر الصديق فذهبا إليه، فقال الذي قضى له: قد اختصمنا إلى النبي ﷺ، فقضى لي، فقال أبو بكر: أنتما على ما قضى به رسول الله ﷺ، فأبى صاحبه أن يرضى، فقال: نأتي عمر بن الخطاب، فقال المقضي له: قد اختصمنا إلى النبي ﷺ فقضى لي عليه فأبى أن يرضى، فسأله عمر بن الخطاب، فقال كذلك فدخل عمر منزله وخرج والسيف في يده قد سلَّه فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى، فقتله فأنزل الله الآية"[3]، ويُستنبط من هذه القصة أن عقوبة من لم يرض بحكم الله تعالى القتل؛ لأن حكم النبي ﷺ ليس بهواه أو مراده، ولكنه وحي وإلهام من الله ﷻ[4].

---

[1] – صحيح البخاري كتاب الجنائز، باب الصلاة على الجنازة في المسجد، ج٢/٨٨، رقم ١٣٢٧ .

[2] – صحيح البخاري كتاب الجنائز، باب التكبير على الجنازة أربعاً، ج٢/٨٩، رقم ١٣٣٤.

[3] – تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٥٢٥ .

[4] – انظر : النظم الإسلامية لأحمد شويدح ص ٢٢٨ .

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنعام من الآية (٥٩ ــ ٧٣)

ويتضمن مبحثين :

المبحث الأول : مفاتح الغيب والعلم الدقيق .

المبحث الثاني : وعيد وتهديد .

المبحث الأول

مفاتح الغيب والعلم الدقيق، من الآية (٥٩ـــ ٦٤)

ويحتوي على خمسة مطالب :

المطلب الأول : استئثار الله تعالى بالغيب.

المطلب الثاني: آيات الله تعالى في الليل، والنهار، والموت، والبعث والجزاء.

المطلب الثالث : خضوع كل شيء للواحد القهار.

المطلب الرابع : رجوع الخلق لربهم يوم القيامة ومحاسبتهم.

المطلب الخامس : نعمة الله تبارك وتعالى على العباد بانجائهم من الشدائد.

المبحث الأول
مفاتح الغيب والعلم الدقيق

في هذا المبحث تناوُل لحقيقة التوحيد التي تتجلَّى في علم الله وحده بالغيب في كل ما يقع في الوجود، وتتجلَّى في فطرة المكذبين أنفسهم حين يواجهون الأهوال، فلا يدعون إلا الله ﷻ، وينسون ما دونه، ونعمة الله عليهم بنجاتهم، وتتجلَّى في هيمنة الله تعالى على الناس، وقهره للعباد في كل حالة من حالاتهم، في النوم والصحو، والموت والحياة، وفي الدنيا والآخرة [1]، وهذا المبحث فيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : استئثار الله تعالى بالغيب .

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]

أولاً/ التفسير الإجمالي: " هذه الآية العظيمة من أعظم الآيات تفصيلاً لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها، التي يُطلع منها ما شاء من خلقه، وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، فضلاً عن غيرهم من العالمين، وأنه يعلم ما في البراري والقفار، من الحيوانات، والأشجار، والرمال والحصى، والتراب، وما في البحار من حيواناتها، ومعادنها، وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها "[2]، و" ويعلم الله ما في البر والبحر من الحيوانات جملةً وتفصيلاً، وفي كل عوالم وعجائب وسعها علمه وقدرته، ولا تسقط من ورقة من الشجر إلا يعلم سقوطها والأرض التي تسقط عليها مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات، ولا حبة صغيرة في باطن الأرض إلا يعلم مكانها، وهل تنبت أو لا، وكم تنبت ومن يأكلها، ولا شيء فيه رطوبة أو جفاف إلا وهو معلوم عند الله وهو مسجَّل في اللوح المحفوظ"[3].

ثانياً/ وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ﴾ : هنا استعارة تخييلية، فشبهت الأمور الغيبية بالمتاع النفيس المُدَّخر في المخازن المقفل بأقفال شديدة الإحكام، ولا يعلم ما فيها إلا من يملك

---

[1] - انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ١١٠٨/٢ .

[2] - تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢٥٩/١ .

[3] - صفوة التفاسير ١ /٣٦٦.

مفاتحها، وأُثبت لها المفاتح على سبيل التخييلية، وقد نقول فيها استعارة تصريحية، فالمشبه هو العلم بالغيب، شُبه إحاطته وحجبه للغيبيات بالمخازن، وهنا تشبيه معقول بمحسوس .[١]

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ : (من) حرف جر زائد كما يسميه النحاة، ولكن زيادته ليست زيادة في نظم الكلام، فجاء ذكره ليفيد العموم .[٢]

٣- قوله تعالى: ﴿البَرِّ وَالبَحْرِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ طباق بين البر والبحر، وبين رطب ويابس .

ثالثاً/ المناسبة: هذه الآية استكمال لما في الآية السابقة من إثبات علم الغيب لله وحده، وفي الآية السابقة إخبار بأن الله ﷻ عليم بحال الظالمين كما تقدم في فاصلتها، فإن الله يعلم حال الظالمين رغم غيابها عن الناس، وهنا انتقال لبيان اختصاصه تعالى بعلم الغيب، وسعة علمه وقدرته .[٣]

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- الغيب ما غاب عن علمك، وهو ثلاثة أنواع[٤]:

أ- أمر غائب عنك ومعلوم لغيرك: مثل أن يسرق منك السارق شيئاً، واللص الذي سرق منك يعرف مكان ما سرق منك، ولكنك لا تعرف ما سُرق منك .

ب- ما يغيب عنك وعن غيرك: وقد يصل إليه الإنسان بمشيئة الله ﷻ، وهذا الغيب له أسرار قد يصل له الإنسان إن تعرَّف وألمَّ بهذه المقدمات والدلائل والأسرار، وهذا النوع يكون كالذي يُكتشف من اكتشافات علمية، مثل كروية الأرض، وبيضاويتها، وجاذبيتها.

ت- الغيب المطلق: وهو الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه، ويحتفظ به لنفسه، وليس لأحد العلم به لأنه ليس له ما يدل عليه من محسوسات مشاهدة، أو مدركات أو مقدمات قد يصل بها إلى علم هذا الغيب المطلق، مثل ميعاد اليوم الآخر.

٢- الله جلَّت قدرته يعلم كل أمر كائن في العالم، وعلمه شامل محيط لكل زمان ومكان، وما في الأرض والسماء، فيعلم كل ما في البر من جمادات ونباتات وأشجار وحيوانات وبشر وبلاد وطرق، وما يخفى في عالم البحر، ويدل على كمال إحاطة علمه، الورقة التي تسقط من الشجرة، ولخفة وزنها فإن الريح يحركها ويهبط بها إلى مكان ما، والله ﷻ وحده يعلم أوقات

---

[١] - انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ٧ / ٢٧ ، ٢٧١ .

[٢] - انظر : المرجع السابق ٧ /٢٧٢ .

[٣] - انظر : نفس المصدر ٧ /٢٧٠ .

[٤] - انظر : تفسير الشعراوي ٦ /٣٦٦٩ .

وأماكن تحركات كل ورقة من أية شجرة، ومادام المولى ﷻ يعلم أحوال ورقة الشجرة الساقطة، فلا يغيب عنه أفعال العباد وأحوالهم ومحاسبتهم عليها[١].

٣- "إن الغيب في هذا الوجود يحيط بالإنسان من كل جانب، غيب في الماضي، وغيب في الحاضر، وغيب في المستقبل، غيب في نفسه وفي كيانه، وغيب في الكون كله من حوله، غيب في نشأة هذا الكون وخط سيره، وغيب في طبيعته وحركته، وغيب في نشأة الحياة وخط سيرها، وغيب في طبيعتها وحركتها، وغيب فيما يجهله الإنسان، وغيب فيما يعرفه كذلك"[٢].

٤- "إن الله عنده خزائن الغيب، وهي الأمور المغيَّبة المخفية لا يعلمها ولا يحيط بها إلا هو"[٣]، وعن ابن مسعود ﷺ، قال: (كل شيء قد أوتي نبيكم غير مفاتح الغيب الخمس)[٤]، وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: (مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ وَلَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ) [٥]، وإن الله تعالى يعلم متى تقوم الساعة، وليس لغير الله العلم بموعدها، وسبحانه يُنزل الغيث والمطر من السماء، ولا أحد غير الله يقدر أن ينزل المطر، وعلماء الفلك والأرصاد الجوية يستطيعون بواسطة ما وصلوا له من العلم توقع هبوب الريح، ووقت نزول المطر، ولكن في مرات كثيرة يتوقع هؤلاء الخبراء والعلماء برودة أو حر الجو، أو يتوقعون نزول المطر أو حدوث رياح، ويخيّب الله ظنهم وتخمينهم، والله سبحانه يعلم ما تغيض أرحام النساء، ذكراً أو أنثى، حياً أو ميتاً، سعيداً أو شقياً قبل أن تُخلق، وما تدري النفس ماذا تعمل يوم غد من خير أو شر، وليس لها علم ذلك، وما تعلم نفس حي أين ومتى تموت؟، فقد يسافر مسافر إلى بلد معين، وهو في ذروة قوته ووافر صحته فتعاجله المنية، وقد يسافر ليبرأ من علته فيأتيه الموت، ولكن الله وحده يحيط بعلم ذلك[٦].

٥- يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة:٣] وهنا صفة من صفات المتقين، "هم الذين يؤمنون بما غاب عنهم من الجنة والنار، والثَّواب والعقاب

---

١ - انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ٢ /١١١٢، وانظر: تفسير الشعراوي ٣٦٧٠/٦.

٢ - في ظلال القرآن ١١١٤/٢ -١١١٥ .

٣ - صفوة التفاسير للصابوني ١ /٣٦٦ .

٤ - جامع البيان للطبري ٢٠ /١٦٢ .

٥ - صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام)، ج٧٩/٦، رقم ٧٣٧٩.

٦ - انظر : جامع البيان للطبري ١٥٩/٢٠.

والبعث، والتصديقِ بالله ومَلائكته وكُتُبه ورسله، وجميع ما كانت العرب لا تدينُ به في جاهليِّتها، مما أوجب الله جل ثناؤه على عِبَاده الدَّيْنُونة به – دون غيرهم"[١].

٦– إن الله ﷻ وسع علمه كل كائن في هذا العالم سواء في الرطب أو اليابس، وسبحانه قدر أمورها، وله تعالى مُلك السموات والأرض، ومن حقه وحده أن يُعبَد، ولا تتكبر الملائكة عن عبادته والخضوع ولا يملون والعبد الذي لا يساوي شيئاً في ملك الله يكون في بعض الأمور مقهوراً وله في بعض الأمور اختيار، وهو سبحانه عالم بما سيختار قبل أن يختار[٢].

المطلب الثاني: آيات الله تعالى في الليل والنهار والموت والبعث والجزاء.

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٦٠] .

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي هو سبحانه يقبض أرواحكم بالليل بما يشبه قبضها عند الموت، ويعلم ما اكتسبتم في النهار من الأعمال، ثم يعيد أرواحكم إلى أجسامكم باليقظة من النوم، ثم تُقضى آجالكم المحددة في الدنيا، ثم إلى الله معادكم بعد بعثكم من قبوركم أحياءً، ثم يخبركم بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا ويجازيكم بأعمالكم[٣].

ثانياً/ وجوه البلاغة: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ استعارة حيث استعار توفي الموت للنوم، وذلك لما بينهما من تشابه في عدم الإدراك والتمييز، وزوال الإحساس[٤]، والليل والنهار بينهما طباق.

ثالثاً/ المناسبة: انتقل الكلام في هذه الآية من بيان سعة علم الله إلى عظيم قدرته، وتستكمل ذكر الدلائل الإلهية من الآفاق على الوحدانية.[٥]

وعلاقة الفاصلة مع موضوع الآية: ذكرت الآية دلائل على الوحدانية، وبيَّنت أن نظام النوم ثم اليقظة من صنع الله وبمشيئته، وأن الله تعالى يعلم ما يكسبون ويفعلون من أعمال، فجاءت

---

١ – جامع البيان للطبري ١ /٢٣٨ .

٢ – انظر : تفسير الشعراوي ٦ /٣٦٧١ .

٣ – انظر : الكشف والبيان للثعلبي ٥٤/٤ .

٤ – انظر : التفسير المنير للزحيلي ٧ /٢٣٧ .

٥ – انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٧٥/٧ .

الفاصلة: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لتقرر أن الله الذي يتوفى النفس حين نومها ثم يوقظها قادر على بعثهم، والله الذي يعلم بأحوالهم سينبئهم ويحاسبهم عليها يوم الحشر.

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- النوم آية تقرر قدرة الله وعلمه وحكمته، فهو سبحانه الذي يقبض روح الإنسان بدون إرادة منه مادام نائماً وحال انقطاع إدراك كما أنه يقبض روح الميت والتي تسبح في ملكوت ربها، والفرق بين الميت والنائم أن الأول تنفصل عنه الروح ولا تعود إلى جسده بمشيئة الله وإرادته، والثاني تبقى روحه متصلة به ملازمة له لا تنفك عنه أو تنفصل ويعيدها الله ﷻ حين يستيقظ، والإنسان ليس له إرادة في كل ذلك، فمهما فعل لن يستطيع أن ينام بمشيئته، وحين يقبض الله ﷻ روحه وينيمه فلن يقدر أبداً أن يعيدها لنفسه مرة أخرى مهما فعل أو وصل من العلم والقدرة، إنما هو فضل ورحمة من الله ﷻ، وهنا دليل واضح جلي على أن ربنا قادر على أن يبعث الناس يوم القيامة، فالذي يقبض الروح ثم يعيده للنائم قادر على أن يرسلها له مرة أخرى حين يشاء ويحاسبه على ما صنع وصدر منه، فهو يحصي عليه عمله[١].

٢- الإنسان إذا نام يغيب عن الدنيا، وينتقل إلى قانون مجهول له، ولا يحس بالزمن، وتكون عيناه مغمضتين، وإذا رأى مناماً فإنه يمشي ويجري دون أن يتحرك أو يحرك قدميه من منامه، ويتكلم ويسمع دون أن يحرك لسانه حين يتحدث مع أناس، وقد يكونون أمواتًا منذ سنين، وبعد أن يستيقظ لا يستطيع أن يعرف عدد الساعات التي قضاها في نومه إلا إذا نظر في ساعته ليعرف كم من الساعات نام[٢].

٣- الله تبارك وتعالى يجعل في النوم راحة للإنسان، للبدن والعقل من المجهود والتعب الذي يبذله طوال النهار في سعيه في الأرض، ويأتي الليل ليسكن الإنسان وينام، ويهدأ الجسد بعد يوم شاق، فيقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النَّبأ:٩] يقول الطبري: " وجعلنا نومكم لكم راحة ودَعة، تهدءون به وتسكنون، كأنكم أموات لا تشعرون، وأنتم أحياء لم تفارقكم الأرواح"[٣].

٤- "والنهار هو الزمان الذي يكون فيه ضوء الشمس منتشراً على جزء كبير من الكرة الأرضية، وفيه عبرة بدقة الصنع وإحكامه، إذ جُعل نظامان مختلفان منشؤهما سطوع نور الشمس واحتجابه فوق الأرض، وهما نعمتان للبشر مختلفتان في الأسباب والآثار؛ فنعمة الليل راجعة

---

[١] – انظر : البحر المحيط لأبي حيان١٥٠/٤، وانظر: أيسر التفاسير للجزائري ٧٠/٢، وانظر: أوضح التفاسير ١٥٩/١.

[٢] – الأدلة المادية على وجود الله للشعراوي ص٣٦.

[٣] – جامع البيان للطبري ١٥١/٢٤.

إلى الراحة والهدوء، ونعمة النهار راجعة إلى العمل والسعي، لأن النهار يعقب الليل فيكون الإنسان قد استجدَّ راحته واستعاد نشاطه ويتمكن من مختلف الأعمال بسبب إبصار الشخوص والطرق"[١]، ويُبعث الإنسان من نومه ويُوقظ بمشيئة الله تعالى وقدرته لليعيش حياته في النهار، ليقوم من نومه بعد أن أخذ ما يحتاجه من الراحة، فيبدأ يوماً جديداً يعمل ويجتهد فيه ويواصل حياته اليومية ويحيى ويرتزق كما قدر له الله ﷻ[٢]، وقد جعل الله تعالى النهار للعيش والسعي والكسب كما يقول رب العالمين: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النَّبأ:١١] " أي وجعلنا النهار لكم ضياءً لتنتشروا فيه لمعاشكم، وتتصرّفوا فيه لمصالح دنياكم، وابتغاء فضل الله فيه، وجعل جلّ ثناؤه النهار إذ كان سبباً لتصرّف عباده لطلب المعاش فيه"[٣].

٥- إن الله تعالى يعلم جميع أعمال الإنسان، وعلمه بها مطلق، ويعلم ﷻ ما يصدر من جوارحه وأركانه، لسانه ويده ورجله وسائر أعضائه، ويعلم ما يُسرُّ في قلبه، سواءً كانت الأعمال طاعات أو معاصي، حسنة أو قبيحة، نافعة أو ضارة، علنية أو خفية[٤].

٦- ترجع الروح إلى الله تعالى بالموت، وبالموت تصير الأرواح في قبضة الله ﷻ، وتنقطع حياة الإنسان وتنعدم الإرادة والتصرف[٥].

٧- الله الواحد هو الذي يميت الأنفس، وليس لأحد مع الله شراكة في أمر قبض الأرواح والموت، ويقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران:١٤٥] ، وكل إنسان لابد أن يموت كما يقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:٥٧] ، والموت لا يعرف حدوداً، لا يعرف عمراً ولا زماناً ولا مكاناً، فكم من أطفال وشباب أصحاء باغتهم الموت من دون إنذار، وكم من شيوخ ومرضى أمدَّ الله في أعمارهم، وكم من ميت في بلاد غريبة عنه، وإن المرء إن بلغ أعلى الدرجات وحاز العلم والقوة فإنه يعجز أن يمنع عن نفسه الموت أو يؤجله ولو لحظة، أو يختار أين وبين من يموت، وعلينا أن نتجهَّز لهذا اليوم الذي قد يعاجلنا فجأة من دون مقدمات، والعاصي إذا مات وبلغت روحه الحلقوم فلن يستطيع التوبة أو أن يؤخّر أو يقدَّم ما ينفعه لقول ربنا سبحانه: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا

---

١ - التحرير والتنوير لابن عاشور ٢١/٣٠.

٢ - انظر : فتح القدير للشوكاني ١٨٠/٢.

٣ - جامع البيان للطبري ١٥٢/٢٤.

٤ - انظر : روح المعاني للألوسي ٧ /١٩٢.

٥ - انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ٧ /٢٧٧.

أَلِيمًا﴾[النساء:١٨] ، والآية الكريمة :﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠] ، وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ الله تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ)[١].

المطلب الثالث: خضوع كل شيء للواحد القهار.

يقول تعالى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١]

أولاً/ التفسير الإجمالي: في هذه الآية تقرير سلطان الله العظيم الموجب والمستحق العبادة، والله هو القاهر، وله السلطان الكامل على خلقه أجمعين، ويرسل على الناس ملائكة حفظة يكتبون أعمال الناس، ويرسل ملك الموت وأعوانه لتتوفَّى الناس، وهم لا يفرطون ولا يضيعون ولا يقصرون[٢].

ثانياً/ وجوه البلاغة: " ومعنى (على) في قوله (يرسل عليكم) الاستعلاء المجازي، أي إرسال قهر وإلزام، كقوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ [الإسراء:٥] ؛ لأنَّ سياق الكلام خطاب للمشركين كما علمتَ، ومثله قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار:٩-١٠]"[٣].

ثالثاً/ المناسبة: استئناف لما قبلها، وفي الآية السابقة تفسير لما في هذه الآية، والمناسبة هنا أن النوم والموت خلقهما الله ﷻ، وهما يغلبان شدة الإنسان ويقهرانه[٤].

رابعاً/ تحقيق الهدف والمقصد:

١- القاهر هو المتحكم بقدرة فائقة محيطة مستوعبة، والقاهر هو المتحكم بقدرة شاملة على المقهور، والقهر صفة قدرة واستعلاء لا تكون إلا لله وحده، فهو ذات ليست ككل الذوات، وصفاته ليست ككل الصفات، وكذلك فعله سبحانه وتعالى، وعلى سبيل المثال نجد خلق الله يحتاجون إلى زمن ويحتاجون إلى علاج، وكل جزئية من الفعل تحتاج إلى جزئية من الزمن،

---

[١] - سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، ج٥/٥٠٧، رقم٣٥٣٧، قال عنه الترمذي حسن غريب.

[٢] - انظر : أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ٢/٧١.

[٣] - التحرير والتنوير لابن عاشور ٧ /٢٧٥.

[٤] - انظر : المرجع السابق ٧ /٢٧٧.

لكنه سبحانه إذا فعل لا يحتاج لزمن؛ لأنه لا يفعل بعلاج، ولا يجلس ليباشر العملية، إنما يفعل سبحانه ب (كن)، فإنه يخضع كل الكون لقهره[١].

٢- "كل شيء في الوجود مقهور لله حتى الروح التي جعلها الله مصدر الحس والحركة للإنسان يقهرها سبحانه، فإذا جاء إنسان وقتل إنساناً آخر بأن ضربه على المكان الذي لا توجد عند عدمه وفقده حياة بأن أذهب صلاحيته للبقاء تنسحب الروح، وهذا يوضح لنا أن الروح في الجسم هي المسيطرة، لكن من ينقض البنية التي تسكنها الروح يُذْهبُ الروح ويخرجها من الجسم، ومرة يقهر المادة بالروح، فيأخذ الروح من غير آفة ومن غير أية إصابة، ويتحول الجسم إلى رمَّة، إذن فسبحانه يقهر الروح، ويقهر المادة"[٢].

٣- العباد مقهورون لله فيما لا اختيار لهم فيه، والإنسان مقهور في بعض الأمور ولا تصرف له فيها: لا تصرف له في نَفَسه، ولا في نبضات قلبه، ولا في حركة معدته، ولا في حركة الأمعاء، ولا في حركة الحالبين، ولا في حركة الكلْيَة، وكلها مسائل تشمل عامة الخلق المؤمن والكافر، والكل مقهور فيها، وإن من رحمة الله أننا مقهورون فيها، ولا عمل أو دخل لنا فيها، ولو كان لنا رأي في مثل هذه الأمور لكان لنا أن نسأل: كيف ننظم عملية تنفسنا في أثناء النوم؟، إذن فمن رحمة الله أن منع عنا الاختيار في بعض الأمور التي تمس حياتنا، ومن رحمة الله أن كلاً منا مقهور فيها، فمن يستطيع أن يقول لمعدته: اهضمي الطعام، ومن يستطيع أن يأمر الكلى بالعمل، وقد يقول قائل ويسأل سائل: مادام الله قاهرًا متحكمًا بعباده فكيف يعصي العاصي؟، فنجيب أن العباد مأمورون أن يكونوا منقادين لحكم الله فيما ليس لهم فيه اختيار، ومكلَّفين فيما جعل لهم فيه اختيار، وقد يعصي العاصي فيما جعل الله له فيه اختيار، ولكن البشر عامة لا يستطيعون التمرُّد على القهريات التي تدل على أن الله فعَّال لما يريد، فلا يقدرون أن يتمردوا على ما يجريه عليهم من مرض أو موت، أو فقر أو غنى، أو مصائب تحدث لهم لا يقدرون على دفعها، أما المؤمنون فهم تنازلوا عن اختيارهم في الفعل، وقبلوا أن يكونوا مأمورين ومطيعين لله فيما كلفَّ به[٣].

٤- يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢] ، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢] ، وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ

---

١ - انظر : تفسير الشعراوي ٦ /٣٦٧٥ ، ٣٦٧٨.

٢ - المرجع السابق ٦/٣٦٧٨.

٣ - انظر : نفس المصدر ٦/٣٦٧٩.

﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٧-١٨] ، لقد وُكل بالعباد حفظةٌ من الملائكة، يحفظون العباد مدة حياتهم، حتى إذا انتهت مدة أحدهم وجاء أسباب الموت أرسل الله المفوض بقبض الروح فتقبض أرواحهم[١]، ويحفظون ويسجلون الأعمال الصغيرة والكبير، والأقوال والأفعال، ويكتبون أعمال القلب الباطنة[٢]؛ ويدل على ذلك: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٢] الذي يشعر أن الملائكة أُعطيت القدرة على العلم بما في قلب العبد ولا يخفى عليهم شيء من أعماله[٣]، وللعبد ملائكة يتعاقبون عليه: "اثنان عن اليمين والشمال، يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه، وواحد من أمامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل، بدلاً، حافظان وكاتبان"[٤].

٥- قال الزمخشري: "الله غني بعلمه عن كتب الملائكة فما فائدتها ؟، قلت: فيها لطف للعباد؛ لأنهم إذا علموا أن الله رقيب عليهم، والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم، يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في مواقف القيامة، كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد من السوء[٥].

٦- الموت سُنة من سنن الله سبحانه الكونية، يقهر بها المتجبرين والمتكبرين.

٧- إننا كمسلمين نؤمن بملك الموت، الموكل بقبض أرواح العالمين، وقد يرى بعض الناس تعارضاً بين الآية الكريمة: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:١١] والآيتين: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١] ، ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزُّمر:٤٢] فنقول لهم إنه لا يوجد أي تعارض بينها؛ لأن ملك الموت يتولى قبض الروح واستخراجها، ثم يأخذها بإذن الله وحكمه منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، ويتولونها بعده، وبذلك يصح إضافة التوفي إلى كل بحسبه[٦].

---

١ - روح المعاني للألوسي ٧ /١٧٦.

٢ - انظر : الإيمان بالملائكة للصلابي ص ٦٩.

٣ - انظر : جامع الأحكام للقرطبي ١٩/ ٢٤٨.

٤ - شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص١٨٣.

٥ - الكشاف ٢ /٣٥٦.

٦ - انظر : شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ١٨٥.

المطلب الرابع : رجوع الخلق لربهم يوم القيامة ومحاسبتهم .

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢].

أولاً/ التفسير الإجمالي: يخبر الله تعالى عن الأمر العظيم، وهو الوقوف بين يديه تبارك وتعالى الذي يجب أن يُعبد دون سواه، وقد كفر أكثر الناس وعصوه وفسقوا عن أمره وانغمسوا في معصيته، وأدهى من ذلك عبدوا غيره من مخلوقاته، فكيف يكون حسابهم والحكم عليهم[١] .

ثانياً/ وجوه البلاغة: قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ تذييل ابتدئ بأداة الاستفتاح للتنبيه على أهمية الخبر، والعرب يجعلون التذييلات تشتمل على اهتمام أو عموم أو كلام جامع .[٢]

ثالثاً/ المناسبة: الآية تواصل الحديث عن هيمنة الله وقهره لعباده، ففي الآية السابقة تحدَّث عن الموت والنوم والصحو والحياة والدنيا، وفي هذه الآية الحديث يتناول اليوم الآخر، وأن قدرته تشمل رد الخلق يوم القيامة وحسابهم، كما شملت الإماتة والإحياء وبعث الناس من نومهم .[٣]

وعلاقة الفاصلة ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ﴾ مع موضوع الآية: تواصل الآية بيان سلطان الله ﷻ المطلق على عباده وقهره لهم بالبعث بعد الموت، وجاءت هذه الفاصلة لتقرر وتؤكد هذه الهيمنة والسيطرة، فإن الله ﷻ منفرد وحده بالحكم والحساب، ويحاسبهم في أسرع من اللمح، ولا يحتاج لفكر أو روية.[٤]

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- إن الله ﷻ يجمع الناس ويحشرهم جميعاً يوم القيامة، يردهم إليه يوم تقوم الساعة الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ وحده، ولا علم لغيره به كائناً من كان، بدليل آيات الكتاب العزيز، فيقول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧] ، ويقول: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل:٢١] ، ويقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النَّازعات:٤٢-٤٦] ، وروى الإمام

---

[١] – انظر : أيسر التفاسير للجزائري ٢/٧١.

[٢] – انظر : التحرير والتنوير ٧ /٢٧٩.

[٣] – انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/ ١١٠.

[٤] – انظر : نظم الدرر للبقاعي ٢/٦٤٩.

مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: (كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ، قَالَ يَا رَسُولَ الله مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّىَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ لاَ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِى الْبُنْيَانِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِى خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللهُ، ثُمَّ تَلاَ ﷺ : ﴿**إِنَّ اللهَّ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾، قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: رُدُّوا عَلَىَّ الرَّجُلَ، فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ) [1].

ومع أن الله ﷻ منع علم وقوع يوم القيامة فإنه جعل لها أشراطاً، فعن حذيفة بن أسيد الغفاري[2] ﷺ قال: (اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: مَا تَذَاكَرُونَ؟، قَالُوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلاَثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ)[3]، وإن يوم القيامة لا تقوم حتى تكون علامات، ذكر بعضها في هذا الحديث، وهناك غيرها كما في أخبار أخرى، والأشراط والعلامات التي اقتصر عليها الحديث هي: الدُخَان يملأ ما بين المشرق والمغرب، والمسيح الدجَّال الذي يسيح في نواحي الأرض في زمن قليل، والدَّابة التي تجلو وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالعصي، وطلوع الشمس من المغرب وغروبها من المشرق عكس السُنن والحقائق الكونية الثابتة، والخسوف الثلاثة في مكة والمدينة واليمامة واليمن على رأي، فتخسف هذه الأماكن وتذهب وتغيب في الأرض، ونزول عيسى ﷺ من

---

[1] – صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، ج١/٣٠، رقم ١٠٦ .

[2] - حذيفة بن أسيد ويقال أمية بن أسيد الغفاري مشهور بكنيته أبو سريحة، شهد الحديبية وذكر فيمن بايع تحت الشجرة ، نزل الكوفة وروي عنه أحاديث عند مسلم وأصحاب السنن مات سنة ٤٢هـ وصلى عليه الصحابي زيد بن أرقم . انظر الإصابة ٢ /٤٣.

[3] –صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ج٨/١٧٨–١٧٩، رقم ٧٤٦٧.

السماء إلى الأرض ليحكم بالعدل ويظهر حقيقة التوحيد والدين الحق، وفتح سد يأجوج ومأجوج، والنار التي تخرج من اليمن من قعر عدن من أسفلها وأساسها تسوق الناس إلى المحشر محل الحساب وهو الشام، والله أعلم[١]، ونقل المناوي عن ابن حجر قوله: " ويترجح من مجموع الأخبار أن أول الآيات المؤذنة بتغيير أحوال العالم الأرضي الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم خروج يأجوج ومأجوج وكلها سابقة على طلوع الشمس، وأولها المؤذن بغير أحوال العالم العلوي طلوع الشمس وخروج الدابة في يومه أو يقرب منه، وأول أشراط الساعة نار تخرج من المشرق"[٢].

وكذلك من أشراط الساعة ظهور المهدي، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: (يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا)[٣].

٢- جعل الله عز وجل أهوالاً ليوم القيامة لا يعلمها ويعلم كيفية حدوثها إلا الله تعالى، وهي شديدة على الناس وتذهلهم، وتشخص أبصارهم، وتزلزل القلوب، وتنسي المرء أي قرابة أو نسب، ومن هذه الأهوال التي عرفناها من آيات الله تعالى، والأحاديث النبوية، لا يعلم دقائقها إلا المولى عز وجل، ومنها دنو الشمس من رؤوس الخلائق كما روي عن عقبة بن عامر الجهني[٤] رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ: (تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ فَيَعْرَقُ النَّاسُ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبْلُغُ عَرَقُهُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْعَجُزَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْخَاصِرَةَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ مَنْكِبَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ عُنُقَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ وَسَطَ فِيهِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ فَأَلْجَمَهَا فَاهُ، رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺهَكَذَا وَمِنْهُمْ مَنْ يُغَطِّيهِ عَرَقُهُ وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِشَارَةً فَأَمَرَّ يَدَهُ فَوْقَ رَأْسِهِ مَنْ غَيْرِ أَنْ يُصِيبَ الرَّأْسَ دُوَّرَ رَاحَتَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا)[٥]، وذكر الصلابي: من أهوال القيامة دك الأرض كما قال تعالى: ﴿**كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا**﴾ [الفجر:٢١] ، والجبال تصبح كالصوف المنفوش كما قال سبحانه:﴿**وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالعِهْنِ المَنْفُوشِ**﴾

---

[١] – انظر : فيض القدير للمناوي ٢ /٤٣٦.

[٢] – المرجع السابق ٢ / ٤٣٦.

[٣] – المستدرك على الصحيحين للحاكم كتاب الفتن والملاحم باب المهدي يعيش سبعاً أو ثمانية ، ج٤/٥٥٧-٥٥٨، رقم ٨٨٢٣، قال عنه الحاكم: صحيح ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج٢/٣٣٦، رقم ٧١١.

[٤] – عقبة بن عامر بن عبس الجهني الصحابي المشهو، كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعراً كاتباً، وهو أحد من جمع القرآن وشهد الفتوح وكان هو البريد إلى عمر بفتح دمشق. انظر: الإصابة ٤/٥٢٠.

[٥] – المستدرك على الصحيحين للحاكم كتاب الأهوال، باب تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس يوم القيامة، ج٤/٥٧١، رقم ٨٨٥٥، قال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

[القارعة:٥]، وتسيرَّ الجبال حتى تصبح لا ارتفاع فيها ولا انخفاض كما في الآية: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٧] ، ومن الأهوال طي السماء كما في قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤] ، والبحار يُفجَّر بعضها في بعض فتمتلئ ثم تُسجَّر فتصبح ناراً ثم يذهب الماء، وتبدل الأرض يوم القيامة وتتغير صفاتها كما في الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لله الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨]، وعن سهل بن سعد[١] ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ[٢] كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ[٣] لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لأَحَدٍ) [٤].[٥]

٣- الله تعالى يعلم ما عمل الخلق وكسبوا في دنياهم من أعمال خير أو شر، وأحصاها لهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢] ، ويوم الحساب يحاسبهم عليها ويجازيهم بها، ولا يترك شيءٌ مما عملوا ولو كان دقيقاً أو في منتهى الصغر، وقد ينساه المرء ولا يلقي له بالاً، ولكن يحاسب عليه، فيقول تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] ، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزَّلزلة:٧-٨] ، ومثال ذلك: عن أبي هريرة ﷺ سمع رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ) [٦].

ونحن المسلمون نعتقد أن الله سبحانه يحكم يوم القيامة بين جميع الخلائق بداية من آدمعليه السلام أول الخلق إلى أن تنتهي الدنيا وإن تشابكت مسائل الناس، فذلك ليس على الله بعزيز،

---

[١] - سهل بن سعد بن مالك الأنصاري الساعدي من مشاهير الصحابة يقال كان اسمه حزناً فغيره النبي ﷺ حكاه مات النبي ﷺ وهو بن خمس عشرة سنة، وقال الزهري أنه هو آخر من مات بالمدينة من الصحابة مات سنة إحدى وتسعين وقيل قبل ذلك وقيل أنه عاش مائة سنة . انظر: الإصابة ٣ /٢٠٠.

[٢] – عفراء : خالصة البياض، وأرض عفراء أي لم توطأ / لسان العرب ٤ / ٣٠٠٩.

[٣] – النقي : الخبز . لسان العرب ٦ /٢٥٣٣.

[٤] – صحيح مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، ج١٢٧/٨، رقم ٧٢٣٣.

[٥] – انظر : الإيمان باليوم الآخر للصلابي ص٩٨ – ١٠١.

[٦] – صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ج١٠٠/٨-١٠١، رقم ٦٤٧٧.

وإن شكك حاقد أو جاهل في قدرة الله تعالى على حساب الناس جميعاً في وقت واحد نقول له أيها الجاهل عديم العقل والفكر، كما يرزق الناس جميعاً في وقت واحد يحاسبهم في وقت واحد، وهذه مسألة سهلة ليس فيها أدنى صعوبة.[١]

٤- إن الله تعالى أعدَّ للمؤمنين النعيم والجنان جزاءً بما عملوا من الصالحات، والله وحده يعلم النعيم المُعد لهم، فمهما فكَّر الإنسان فلن يقدر أن يتخيل ما أعدَّ للمؤمن ولن يخطر على باله، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : قال الله ﷻ: (أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ [السجدة:١٧])[٢].

٥- والكفرة والمشركون والجاحدون عصوا الله في الدنيا ولم يعلموا ما أُعد لهم من جزاء يوافق ما قدَّموا، فقد كذَّبوا بالبعث والجزاء، فيقال لهم: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ**﴾ [السجدة:٢٠] .

المطلب الخامس: نعمة الله تبارك وتعالى على العباد بإنجائهم من الشدائد .

يقول تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام: ٦٣-٦٤]

أولاً/ التفسير الإجمالي: يُبين تعالى أنه إذا ضلَّ أحدكم طريقه في الصحراء ودخل عليه ظلام الليل، أو ركب البحر فغشيته ظلمة السحاب ولجة الليل والبحر والرياح العاصفة، واضطربت نفسه من الخوف، فإنه يدعو الله وحده، لعلمه أنه لا ينجيه إلا هو، يدعوه ويتضرع إليه جهراً وسراً قائلاً: وعزتك لئن أنجيتنا من هذه المهلكة التي حاقت بنا لنكونن من الشاكرين، ثم إذا نجَّاكم استجابة لدعائكم وأمنتم المخاوف، عدتم إلى الشرك به بدعاء غيره وعبادته[٣].

ثانياً/ وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ**﴾ استفهام تقريري موجه للكافرين في أن لجوءهم هو لله وحده وقت الشدائد[٤].

---

١ - انظر : تفسير الشعراوي ٦ /٣٦٨٧.

٢ - صحيح البخاري كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ج٤/ ١١٨، رقم ٣٢٤٤.

٣ - انظر : تفسير القرآن العظيم ٢ /١٣٩.

٤ - انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ج٧ ص ٢٨٠.

٢- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ] أطلقت (الظلمات) مجازاً على المخاوف التي تحصل في البر من عدو أو وحوش أو آفات[١]، أو في البحر من غرق أو عدو، وعبَّر بالظلمة عن الشدة لمشاركتهما في الهول وإبطال البصر[٢].

٣- قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَنْجَانَا ﴾ حذف القول لدلالة قرينة الكلام[٣].

٤- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ (من) ليست زيادة، ولكنها توافق النظم والفصاحة وهي تفيد التعميم[٤].

ثالثاً/ المناسبة: بعد أن بيَّن سبحانه وتعالى إحاطة علمه بكل شيء وشمول قدرته، وقهره لعباده، وأنه يحفظ عليهم أعمالهم، وهذه أدلة على ألوهيته، وبيَّن في هذه الآية نوعاً من دلائل إثبات كمال القدرة الإلهية، وكمال الرحمة والفضل على خلقه[٥].

وعلاقة الفاصلة مع موضوع الآيتين: فيها بيان أن المنجي الوحيد من الكروب والشدائد هو الله وحده، وهذا باعتراف المشركين وإقرارهم، فجاءت الفاصلة للتعجب من فعلهم رغم اعترافهم، وعدم وفائهم بالعهد بالشكر والعودة إلى الله بعدما لجئوا إليه وأنجاهم[٦].

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- الله ﷻ هو القادر على منح النفع والخير والفرج، ودفع الأضرار والكروب، وتهوين وإزالة الشدائد، والمولى ﷻ الذي ينجي من الهلاك والنوازل العظيمة، والمخاوف الشديدة، ومهما لجأ الجهلة لغير الله لطلب العون والنصرة، فلن ينفعوهم أو يغيثوهم؛ لأن الله تبارك وتعالى مالك الكون والمتصرف فيه، ومشيئته هي الغالبة في أمور الكون وحياة الخلق، وما يدعون من دون الله ويلجأون لهم لا يملكون لهم نفعاً ولا ضراً [٧].

٢- المكذب بالله ﷻ إذا ألمَّت به شدة، وتعرض لمشقة، وتعسَّر أمره، فإنه يدعو ربه متضرعاً خاضعاً خاشعاً، يلهج لسانه بدعاء الله أن يُفرج ويكشف عنه السوء مادام في محنة وعسر، وفي هذا إثبات منه لتوحيد الربوبية رغم ما أنكر من توحيد الألوهية، والأولى به حين أثبت

---

١ - انظر : التحرير والتنوير ٧ /٢٨٠.

٢ - انظر : تفسير البيضاوي ١/٤١٧.

٣ - انظر : التحرير والتنوير ٧ /٢٨١.

٤ - انظر : المرجع السابق ٧ /٢٨٢.

٥ - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٧ /٢٤٧.

٦ - انظر: نظم الدرر للبقاعي ٢ /٦٥٠.

٧ - انظر : جامع البيان للطبري ١١ /٤١٥.

توحيد الربوبية واعترف وأقر بذلك أن يوحد الله تعالى ويعبده وحده لا شريك له، وأي برهان أوضح من هذا على بطلان شركهم[١].

ومعنى توحيد الربوبية : " الإيمان بأنه تعالى رب كل شيء ومليكه، وأنه على كل شيء قدير، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق كل شيء، هكذا نفسر توحيد الربوبية، وهذا يتضمن الإيمان بالقدر، وهو أن كل شيء جارٍ بقدر الله وبمشيئة الله ﷻ على وفق علمه وتقديره السابق"[٢].

أما توحيد الألوهية فهو: "الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحق، ولا إله غيره وإفراده سبحانه بالعبادة، وبيان أنه الإله المألوه، أي المعبود"[٣].

وتوحيد الألوهية مبني على إخلاص العبادة بجميع أنواعها وأشكالها لله وحده، وإخلاص المحبة والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والطاعة والتذلل والخضوع، ومن أجله خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب، فيقول تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦] ، ويقول تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:٢٥] [٤].

" وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً، قال تعالى: ﴿**أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾[الأعراف:١٩١]، وقال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل:١٧]"[٥]، وتوحيد الربوبية لا يكفي وحده بدون توحيد الألوهية ليكون المرء مسلماً، بل لابد من الإقرار بتوحيد الألوهية مع الربوبية، ومن الكفار من اعترف بأن الله ربهم وخالقهم، ولكن عبدوا من دون الله ما عبدوا ليجعلوهم وسائط وشفعاء، ومع ذلك لم ينفعهم اعترافهم بربوبية الله مع شركهم لأن الله لا يقبل الشرك[٦]، كما قال تعالى واصفاً إياهم: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ**

---

١ – انظر : تيسير الكريم الرحمن للسعدي ١/ ٢٦٠.

٢ – شرح العقيدة الطحاوية للبراك ١ / ١٨٥.

٣ – الإيمان لمحمد نعيم ياسين ص ١١.

٤ – انظر : الإيمان لمحمد نعيم ياسين ص ١٢ – ١٣.

٥ – شرح العقيدة الطحاوية لأبي أبي العز ص ٥٣.

٦ – انظر : الإيمان بالله للصلابي ص٤٧ – ٤٨.

﴿كَفَّارٌ﴾ [الزُّمر:٣] ، حتى إبليس المتمرد العاتي عندما خاطب الله قال: (رب)، كما في الآية الكريمة : ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٣٦-٣٩] فهل ينفعه ذلك؟، لا لن ينفعه ذلك لأنه لُعن وخرج من رحمة الله بتمرده وكفره وعصيانه لأمر ربه، وغوايته وأعوانه لعباد الله ووسوستهم.

٣- الإنسان إذا ما حلَّت عليه الكروب، فإنه يدعو ربه ويتضرع إليه، ويقولون لئن نجَّانا وكشف عنا الضر فسنشكر ربنا ونكون مؤمنين، والحق يُنجيهم من الشدائد والنوازل ويعلم بعلمه الأزلي أنهم بعد أن يُنجيهم سيعودون لما نُهوا عنه، والكافر الذي لا يسير على نهج الله إذا ما أنجاه الله ﷻ مما كان فيه ينسى فضل ربه عليه، ويعود إلى غيه، وإلى الشرك بالله، ويدَّعي أن النجاة التي حصلت له بأسباب امتلكها هو، ولننظر أيضاً إلى هذا الإنسان الكافر الذي إذا رأى نفسه صاحب ثراء، أنعم به عليه الله تبارك وتعالى، وأنقذه من الفقر والحاجة، فإنه يتجاوز حدوده ويسبح في بحر الغرور والتكبر، أما المؤمن بالله الثري أو الصحيح أو الهانئ والسعيد بحياته فهو يؤمن ويعرف أن ما هو فيه من ثراء أو صحة أو سعادة إنما هي من الله ﷻ وحده فيحمد[١].

ونرى في أوقات الحروب، وعندما ينتشر الخوف والرعب أن الناس يُقبلون على طاعة ربهم في شتى أنواع العبادات، ويتوافدون على بيوت الله ويملؤونها وتكتظ بهم، وإذا زال الخوف والرعب فإنه ينتهي السبب الذي جعلهم يلجئون إلى الله ﷻ فيعودون إلى ما هم عليه من نسيان لدينهم، وتضييعهم لحقوق الله ﷻ عليهم.

---

[١] – انظر : تفسير الشعراوي ٦ / ٣٦٩٦.

المبحث الثاني
وعيد وتهديد، من الآية (٦٥ ـ ٧٣)

ويحتوي على أربعة مطالب :

المطلب الأول : التحذير من ألوان مختلفة من العذاب .

المطلب الثاني : الإعراض عن مجالسة المستهزئين لئلا يحاسبوا بما يقولون.

المطلب الثالث : الأمر بالإخلاص، وإقامة الصلاة للنجاة من سخط الله ﷻ.

المطلب الرابع : خالق الكون قادر على البعث والجزاء .

المبحث الثاني

وعيد وتهديد

" أَمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يفاصل الكافرين فيُعلن إليهم أنه ليس عليهم بوكيل، وأنه يتركهم لمصيرهم الذي لا بد آت، وأمر أن يُعرض عنهم فلا يجالسهم متى رآهم يخوضون في الدين، ويتخذونه لعباً ولهواً، ولا يوقرونه التوقير الواجب للدين، وأمر مع ذلك أن يذكرهم ويحذرهم ويبلغهم وينذرهم، ولكن على أنه وإياهم – وهم قومه – فريقان مختلفان، وأمتان متميزتان، فلا قوم ولا جنس ولا عشيرة ولا أهل في الإسلام، إنما هو الدين الذي يربط ما بين الناس أو يفصم[1]"، وحذَّرهم وتوعدهم وهدَّدَهم النبي ﷺ، وبيَّن لهم مصير من كذَّب وعادى دينه وأنبياءه من الأقوام السابقة، وأن عليهم أن يتقوا سخط الله باتباع ما أمر به.

المطلب الأول : التحذير من ألوان مختلفة من العذاب .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ * وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام:٦٥ – ٦٧]

أولاً/ التفسير الإجمالي: يقول الله ﷻ للكافرين الظالمين إنه القادر أن يُعذبهم، وتوعدهم بسبب كفرهم وادعائهم مع الله إلهاً آخر، وكفران النعمة، أن يبعث عليهم العذاب من فوقهم، أو من تحت أرجلهم، أو يُلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض، وكذَّب الكافرون بذلك وبما يقول محمد ﷺ، والحق الذي لا شك فيه أنه واقع إنْ هم لم يتوبوا وينيبوا مما هم عليه إلى طاعة الله والإيمان به، فقل لهم يا محمد ﷺ إنك لست عليهم بحفيظ ولا رقيب، إنما رسول تبلغهم ما أرسلت به إليهم، ولكل خبر قرار يستقر عنده وينتهي إليه من غير تقديم ولا تأخير، وسوف يعلم المكذبون الحق وما أخبروا به عند حلول العذاب بهم[2].

---

[1] – في ظلال القرآن لسيد قطب ٢ /١١٢٦ .

[2] – انظر : جامع البيان للطبري ١١ /٤١٦، ٤٣٤.

ثانياً/ وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ فيها استعارة، حيث وصف حالهم حين نشوب القتال والفتنة بينهم كأنهم يلبس بعضهم بعضاً [١].

٢- قوله تعالى: ﴿شِيَعًا﴾ استعملت للإشارة إلى الاختلاف والتفرق، ولم يستعمل (أشياعاً) لأنها تشير إلى الاتفاق والتجمع.

٣- قوله تعالى: ﴿وَيُذِيقَ﴾ " التفات فائدته نسبة ذلك إلى الله على سبيل العظمة والقدرة الإلهية"[٢].

٤- قوله تعالى: ﴿فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فوقكم وتحت بينهما طباق.

ثانياً/ سبب النزول: عن زيد بن أسلم[٣] ﷺ قال: (لمَّا نزلت: ﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام:٦٥] قال رسول الله ﷺ: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، قالوا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبداً أن يقتل بعضنا بعضاً ونحن مسلمون، فنزلت: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ* وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٦٥-٦٧])[٤].

ثالثاً/ المناسبة: فيما تقدَّم من الآيات بيَّن الله ﷻ للكافرين أنه الذي ينجيهم من كل كرب، وهنا يقول لهم إنه القادر على أن يبعث عليهم عذاباً من السماء فوقهم، أو من الأرض تحتهم، أو يخلط عليهم أمرهم فيتنازعوا فيختلفوا فيصبحوا شيعاً وطوائف وفرقاً متعددة يقتل بعضهم بعضاً، فيُذيق بعضهم بأس بعض، ووضح لهم تبارك وتعالى ذلك لعلهم يهتدون إلى الحق فيؤمنون بالله وحده [٥].

وعلاقة الفاصلة ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مع موضوع آيتها: تحدثت الآية أن لكل مكذب جاحد عذاب موعود به في وقت وقرار يستقر عنده، فجاءت الفاصلة لتؤكد صحة الوعيد، وأنهم سيعلمونه

---

١ - انظر : البحر المحيط لأبي حيان ١٥٥/٤.

٢ - البحر المحيط لأبي حيان ١٥٦/٤.

٣ - زيد بن أسلم: صحابي جليل، اسمه زيد بن أسلم بن ثعلبة العجلاني البلوي الأنصاري، حليف لبني عمرو بن عوف شهد بدراً وأحداً. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٥٣٦/٢.

٤ - لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص١٠٠ .

٥ - انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦٥٠/٢.

وقت وقوعه حين يشاء الله، وجاءت مؤكدة للآيتين السابقتين، فهم سيرون العذاب حين يحل بهم حقيقة، وقد رآه كفار قريش يوم قتلهم الله بأيدي أوليائه المؤمنين[١].

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- إن الله وحده الذي يُعذب المكذبين، وهذا الأمر لا يكون لغيره، والله له تمام التمكن والقدرة، فقد يُملي للظالمين، ولكن هذا لا يطعن في قدرته ﷻ؛ لأن الله يمد لهم ما يشاء وبعد ذلك يأخذهم بغتة فلا يجدون منقذاً أو ناصراً [٢] ، والله يُطمئن المؤمنين الواثقين بالحق أنه مهما تبجَّح المكذبون وطال ظلمهم فإن مصيرهم الأخذ الوبيل في الأجل المرسوم والوقت المناسب[٣].

٢- الله القادر على إنزال مختلف أنواع العذاب بمن يريد عقاباً لهم، فيأتي عذابه من فوق كالرجم بالحجارة وإرسال الطير الأبابيل والطوفان والإغراق والصيحة والريح والتيه، كما فعل بعاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح وجيش فرعون وأبرهة والكافرين من بني إسرائيل، ومن تحت كالزلزال والبركان والخسف والرجفة كما حلَّ بقارون وأهل مدين، وقد يُعذبهم بأن يُلبسهم شيعاً، ويُفرّق صفوفهم، ويوقع الفتن والحروب بينهم[٤]، ومن أشد الفتن على الأرض وأكبرها حين يدَّعي عبد مخلوق لنفسه الألوهية، وهذه الفتنة تجعل الناس شيَعاً متفرقة، ففي الظاهر يبدون أمة واحدة متجمعين متحدين، ولكن حقيقتهم أنهم متفرقين قلوبهم شتى، فمن بيده السلطة ظالم يبطش ويعربد، والآخرون يحقدون ويتربصون[٥].

وتعذيب الله للظالمين والكافرين الذين يتمادون في كفرهم ومعاصيهم ليس مقروناً بزمان دون آخر، فإنه كما عذَّب الأقوام قبلنا، فإنه كذلك أنزل عذابه بأقوام في عصرنا الحديث، ولنا مثال بما حلَّ في جنوب شرق آسيا قبل أعوام، حيث عُذّبوا قبل أعوام بالطوفان والحمم فأُهلكوا وغرقوا ودُمرت بلادهم، وهذا حلَّ بهم جزاء تماديهم في الفواحش وتجارة البغاء، ومحاربة الله بمعصيته، وكذلك ما يحصل لمن عصى الله من بث الفتنة واستيلاء العدو على الديار والأنفس والأموال.

---

[١] – انظر : جامع البيان للطبري ٤٣٤/١١.

[٢] – انطر : تفسير الشعراوي ٣٦٩٧/٦ .

[٣] – انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ١١٢٧/٢.

[٤] – انظر : التفسير المنير للزحيلي ٧ /٢٥٥.

[٥] – انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ١١٢٥/٢.

٣- العذاب الغامر من فوق أو النابع من تحت هو أقرب وقوعاً وأشد تأثيراً في النفوس من أن يأتي من اليمين أو الشمال[١].

٤- الوعيد من الله بالعذاب للكافرين لأنهم أشركوا به وكذَّبوا بالبعث والرسالة، ولا يفرحنَّ المسلمون بهذا الوعيد؛ فإنهم قد يقع بهم العذاب، فيستحقونه بسبب تخليهم عن القرآن الكريم وبعدهم عن دينهم، وبذلك يشملهم الوعيد والإنذار.

ونرى حال المسلمين المحزن، وتحقق العذاب بهم لأنهم تركوا دينهم وأصبحوا تبعاً لأعدائه، فذلك جعل الكافرين من اليهود وغيرهم يتحكمون ببلاد المسلمين وخيراتها، ومن ناحية أخرى ففي بلاد مسلمة عدة أصبح بأس أهلها بينهم شديداً، واستولت الفتنة عليهم بقتل بعضهم بعضًا، واستباحة بعضهم أموال بعض، وجسَّدوا الفرقة والخلاف طلباً للدنيا وملذاتها، ولن يرتاح المسلمون إلا إذا عادوا إلى منهج الله تبارك وتعالى[٢].

المطلب الثاني: الإعراض عن مجالسة المستهزئين لئلا يحاسبوا بما يقولون.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ* وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام:٦٨-٧٠]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أمر الله تعالى النبي ﷺ، وهذا الأمر كذلك موجهٌ للمؤمنين، أن ينصرفوا ويُعرضوا ويصدوا عن الذين يستهزئون بالآيات القرآنية، ويسخرون مما دلَّت عليه من التوحيد والبعث والعذاب للكافرين، وإن أنساهم الشيطان ما نُهوا عنه فجلسوا ثم ذكروا، فيقوموا ولا يقعدوا معهم ويعرضوا عن القوم الظالمين، وليس على المؤمنين المتقين من مسئولية ولا حساب على استهزاء الكافرين بدين الله ﷻ وخوضهم في الباطل، إذا قاموا من مجلسهم، وأنكروا عليهم، ليكون ذلك ذكرى لعلهم يكفون عن الخوض في آيات الله تعالى، وعلى النبي ﷺ ترك الفجرة الذين اتخذوا الدين العظيم لعبًا ولهوًا، وخدعتهم الدنيا الفانية حتى زعموا أن لا حياة بعدها أبدًا، وذكّر بالقرآن الناس مخافة أن تُسلم نفس للهلاك بسبب أعمالها القبيحة ومعتقدها الشنيع، فلا تجد ناصرًا من

---

[١] - انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ١١٢٤/٢.

[٢] - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٢٥٦/٧.

دون الله ﷻ مهما افتدت، والضالون المستهزئون الخائضون لهم شراب من ماء مغلي يجرجر في بطونهم وتتقطع به أمعاؤهم، ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم المستمر، فلهم مع الشراب الحميم العذاب الأليم والهوان المقيم[1].

ثانياً/ وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ وضع الظاهر موضع المضمر ليُبين عظم الصنيع، وشناعة ما ارتكبوا من تكذيب واستهزاء، وهم قد ظلموا بوضع التكذيب موضع التصديق والاستعظام[2].

٢- قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا**﴾ إستعارة مكنية، استعير عن الأخذ والشروع فيه على وجه العبث واللهو بالخوض الذي يطلق في اللغة على الخوض والعبور فيه [3].

ثالثاً/ سبب النزول: روى الطبري في سبب نزول الآية: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام:٦٨] ، قال:"كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبي ﷺ والقرآن فسبوه واستهزءوا به، فأمرهم الله أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره"[4].

رابعاً/ المناسبة: بعد أن بيَّن الله تبارك وتعالى في الآيات السابقة أن الرسول ﷺ ليس عليهم حفيظاً ولا رقيباً، إنما هو منذر من ربه ويبلغ رسالته، ومبين لهم أن عاقبة المكذبين ستكون وخيمة وعظيمة، وهنا في الآيات نهى النبي ﷺ عن مجالسة المكذبين والمستهزئين الطاعنين بدين الله وبنبيه ﷺ وكتابه، حتى لا يُعذَّب المؤمنون عندما يُجالسونهم بقولهم واستهزائهم [5].

وعلاقة الفاصلة ﴿**لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ**﴾ مع موضوع الآيات: لما جاء النهي عن مخالطة المشركين والإعراض عنهم وعدم الاهتمام بهم، وأمرت بألَّا يصد استهزاؤهم وسوء استجابتهم عن إعادة تبليغهم ومواصلة إنذارهم وتخويفهم، جاءت الفاصلة تُبيّن مصيرهم، فإن لهم من العذاب الماء الحار الذي يغلي في بطونهم، ويزيدهم حرارة وعذاباً، وهذا عذاب أليم بسبب كفرهم وخوضهم واستهزائهم.

---

[1] – انظر : أيسر التفاسير للجزائري ٢ ص٧٥ – ٧٦.

[2] – انظر : تفسير البيضاوي ٤١٩/١.

[3] – انظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه ٧ /٣٩١.

[4] – جامع البيان للطبري ٤٣٧/١١.

[5] – انظر : التفسير المنير للزحيلي ٧ /٢٥٩.

خامساً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- إن المؤمن إذا كان في مجلس وخاض خائض في دين الله واستهزأ بما أنزل من الهدى، عليه أن يقوم ولا يجلس معهم، ولا يوادهم ولا يسمع منهم؛ حتى لا يناله شيء من وزرهم، وبذلك يلتفتوا إلى ما دفعه ليقوم من مجلسهم يرجع لسبب ذي أهمية بالغة، وهو الامتثال والاحترام لأمر الله ونهيه، إلى أن ما عنده من يقين إيماني أعز عنده من مجالسته، ومجرد هذا الفعل فيه تذكرة ليتفكروا في منطق الحق، وهذا النهي عن مجالستهم لا يكون مستمراً طوال الوقت، وإنما أثناء خوضهم في ديننا، وتكذيبهم لآيات الله ﷻ، أما في غير ذلك من الأوقات فهم في حاجة لأن يسمعوا الحق ويُذكَّروا بالقرآن، ويُبلَّغوا رسالة النور والهدى[١].

٢- الأمر بالإعراض عن الخائضين في دين الله ﷻ هو للرسولﷺ، وينضم إلى حدوده من وراءه من المسلمين، ففي مكة كانت الدعوة في بدايتها، وأهل الحق في مرحلة استضعاف، ولم يكن النبي ﷺ مأموراً بالقتال لحكمة يريدها الله ﷻ في هذه الفترة، ولعدم الاصطدام بالمشركين ما أمكن، فكان الأمر بعدم الجلوس معهم رغم أنهم يخوضون في دين الله العظيم ولا يوقرونه، وبعد أن كانت للإسلام دولة، وأصبحت له قوة في المدينة، صار الجهاد والقتال أمراً على المسلمين؛ حتى لا يتجرأ أحد على الخوض في هذا الدين والإساءة له والاستهزاء به، وهذا ما حصل من قتل لمن آذى النبي ﷺ كقتل عبد الله بن أنيس ﷺ لليهودي أبي رافع سلام بن أبي الحقيق[٢]، وغيره من الأحداث المشابهة، وهذا الكلام ينطبق على المسلمين بعد النبي ﷺ وفي أي وقت وكل مكان، فيتعاملون مع المشركين وفق هدي النبي ﷺ في مكة أو المدينة[٣].

٣- قد ينسى المسلم أمر الله ﷻ، والنسيان يكون من الشيطان؛ لأن الحق لا يغيب عن بال المؤمن إلا بعمل من الشيطان الذي يشغله عنه، ولكن إذا أدرك ما غفل عنه يجب عليه أن يمتثل لما أمر الله تبارك وتعالى، وهذا الأمر كما هو في شأن الإعراض عن الخائضين فإنه ينطبق على بقية الأمور الشرعية، فالإنسان إذا وقع في خطأ أو نسيان في أي أمر، وتذكر أنه عصى الله وخالف أوامره ونواهيه، فعليه أن يُعالج النسيان بالرجوع عن الخطأ، والإياب إلى الحق[٤].

---

١ - انظر : تفسير الشعراوي ٦ / ٣٧٠٨.

٢ - هو سلام بن أبي الحقيق وكنيته أبو رافع من أكابر مجرمي اليهود الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين وأعانهم بالمؤن والأموال الكثيرة، وكان يؤذي رسول الله ﷺ، فلما فرغ المسلمون من أمر قريظة استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتله وقتلوه . الرحيق المختوم ص ٢٩٣.

٣ - انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/١١٢٧-١١٢٨.

٤ - انظر : تفسير الشعراوي ٦/٣٧١١.

٤- إن سلاح المقاطعة يستخدمه المؤمنون مع العصاة والتاركين لتعاليم الشريعة ممن كان على الإسلام أو ادَّعى ذلك، فالذي لا يوقر دينه ويستهزئ بأمور الدين كالزكاة والصلاة والحج والحجاب والعفة، والذين ينكرون حاكمية الله ﷻ المطلقة في حياة الناس الواقعية، في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتشريع، فيجب على المسلم مقاطعتهم ومفاصلتهم [١].

٥- المشركون غرَّتهم الحياة الدنيا وخدعهم زخرفها، ولم يؤمنوا بالله، وأنكروا البعث وعذاب المجرمين يوم الحساب، لذلك كذَّبوا وتمادوا في طغيانهم، فخاضوا واستهزؤوا، وظن الكافرون أن التنعم بملذات الدنيا هو الفوز الحقيقي، وهذا فوز سطحي لا ينفع المرء عند ربه؛ لأن الحقيقة تأتي من قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[آل عمران:١٨٥] ، والآية تعني أن الفوز الحقيقي هو الزحزحة عن النار ودخول الجنة، وهذا يكون بالإيمان والإخلاص والتقوى والعبادة.

٦- وحالياً ومع انتشار وسائل الإعلام والثقافة والتي تموج بسيل جارف من الفساد والإفساد، ومنها القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت النصرانية والصهيونية والإلحادية والعلمانية والتي تنشر الشرك والأكاذيب والتضليل والتشكيك، وتخوض في دين الله ﷻ، وتشكك بغبائهم وجهلهم في ديننا الحنيف، فهؤلاء نعاملهم بالإعراض والترك ولا نشاهدهم أبداً، وعلينا تذكير المسلمين بخطرها، وتحذيرهم منها وتوضيح أن مشاهدتها ومتابعتها معصية ومخالفة لديننا.

المطلب الثالث: الأمر بالإخلاص، وإقامة الصلاة للنجاة من سخط الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿**قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ [الأنعام:٧١-٧٢]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي قل يا محمد ﷺ أنعبد ما لا ينفعنا إن دعوناه ولا يضرنا إن تركناه؟ والمراد به الأصنام، ونرجع إلى الضلالة بعد الهدى، بعد أن هدانا الله للإسلام، فيكون مثلنا كمثل الذي اختطفته الشياطين وأضلته وأدَّت به إلى المهالك، فألقته في هوة سحيقة متحيراً لا يدري ما يفعل، وله أصحاب يدعونه إلى الطريق الواضح، فلا يقبل منهم، ولا يستجيب لهم، لكن قل لهؤلاء الكفار إنما نحن عليه هو الإسلام وهو الهدى، وما عداه هو الضلال، وأُمرنا بأن نستسلم للهﷻ ونخلص له العبادة في جميع أمورنا وأحوالنا، وهذا تمثيل لمن ضل عن الهدى، وهو يُدعى إلى

[١] - انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ٢ /١١٢٩.

الإسلام فلا يجيب، وأُمرنا بإقامة الصلاة وبتقوى الله في جميع الأحوال، لأنكم ستجمعون إليه يوم القيامة فيُجازى كل عامل بعمله[١].

ثانياً/ وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ﴾ فيها استفهام إنكاري[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ عبر بالرد على الأعقاب عن الشرك، وهذا يُبيّن شناعة وقُبْح ما فعلوه من شرك بالله، وعبادة من دونه ولا يستحق العبادة[٣].

٣- ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ﴾ تشبيه تمثيلي، " المشبه هو أنه لا ينبغي لنا ولا يمكن أن نعبد غير الله بعد أن هدانا، لأنا لو فعلنا ذلك لكنا مثل من حيَّرته الشياطين، فهو تشبيه جملة بجملة"[٤].

ثالثاً/ سبب النزول: ذكر الطبري في الجامع :" قال المشركون للمؤمنين: اتبعوا سبيلنا، واتركوا دين محمد ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام:٧١]."[٥]

رابعاً/ المناسبة: هذه الآية: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيها رد على عبادة الأصنام، وهي مؤكدة للآية: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام:٥٦] [٦].

وعلاقة الفاصلة بموضوع الآيتين: لما كان الحديث عن أن عبادة الله الحق وحده هي الحق، وعبادة غيره بطلانًا وزورًا، ودين الإسلام هو الهدى وما سواه ضلال، ويجب أن نستسلم وننقاد لله ﷻ في جميع الأحوال، فالاستسلام لله وتقواه وإقامة الصلاة هي المنجية، جاءت الفاصلة:

---

١ – انظر : جامع البيان للطبري ١١/ ٤٥٠، وانظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ١١٣١/٢.

٢ – انظر : التفسير المنير للزحيلي ٢٦٦/٧.

٣ – انظر : المرجع السابق ٧ /٢٦٦.

٤ – إعراب القرآن الكريم وبيانه ٧ /٣٩٥.

٥ – جامع البيان للطبري ٤٥٢/١١.

٦ – انظر : التفسير المنير للزحيلي ٢٦٧/٧.

﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ لإثبات الحشر والرد على منكريه، وأن هذه المنافع المنجية تظهر يوم القيامة[1].

خامساً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- إن الله وحده الذي يستحق العبادة؛ لأنه بيده النفع ودفع الضرر، ومهما عبد المشركون غير الله تبارك وتعالى من أصنام وغيرها فلن يسمعوا أو يستجيبوا لمرادهم، ولذلك أمر الله تعالى عباده بعبادته لا شريك له، والإخلاص في العبادة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾ [البيِّنة:٥] ، فالله سبحانه وحده الذي يستحق العبادة، لنعمه الكثيرة وحفظه للإنسان.

٢- علمنا أن الله أمر بالإخلاص، والإخلاص هو: " أن يقصد العبد بعمله رضا ربه وثوابه، لا غرضًا آخر من رئاسة أو جاه أو شيء من حطام الدنيا"[2]، وكذلك نهى عن الرياء وهو: "طلب منزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير، إلا أن الجاه والمنزلة تُطلب في القلب بأعمال سوى العبادات، وتُطلب بالعبادات. واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات وإظهارها "[3].

٣- عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)[4]، فيظهر لنا من هذا الحديث أن أساس قبول الأعمال وردها عند الله هو النية، فإن كانت خالصة لله، فبمشيئته تعالى يقبل العمل، وإن كان قاصداً غير الله، أو أشرك معه غيره، فإن العمل يكون مردوداً والله أعلم ، ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِى غَيْرِى تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)[5].

---

[1] – انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ١١٣٢/٢.

[2] – حصول المأمول لابن صالح الفوزان ص٤٣ .

[3] – تهذيب إحياء علوم الدين للغزالي ص٣٧٨.

[4] – صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ج٦/١، رقم ١.

[5] – صحيح مسلم ج٢٢٣/٨، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله ﷻ، رقم ٧٦٦٦.

٤- المرء قد يعمل عملاً قاصداً فيه وجه الله ﷻ، ولكن لا يوفق في إتمامه وإكماله، فإنه مع ذلك يأخذ أجره كما لو كان أتم هذا العمل، بدليل الحديث الشريف عن معن بن يزيد[١] ﷺ قال: (بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَا وَأَبِي وَجَدِّي وَخَطَبَ عَلَيَّ فَأَنْكَحَنِي وَخَاصَمْتُ إِلَيْهِ كَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ وَاللهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ)[٢]، وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدَنَا من المدينة فقال: (إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ قَالَ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ)[٣]، وكذلك قد يعمل المرء عملاً ظاهره طاعة وعبادة، ولكن في باطنه لا يقصد به الله ﷻ، بل نيته تكون غير رضا الله، ولكن إرضاء الناس، فهذا عمله مردود عليه ولا يأخذ عليه أي أجر، كما في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ فَمَا: عَمِلْتَ فِيهَا، قَالَ، قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِىءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا، قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا، قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِىَ فِى النَّارِ)[٤]، فهؤلاء الثلاثة أصناف عملوا أعمالاً صالحة عظيمة، ولكن حقيقتهم القلبية أن مرادهم غير طاعة الله والتقرب إليه.

ومثل آخر في الذي يُنفق ماله رئاء وبطراً في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ**

---

[١] – معن بن يزيد بن الأخنس السلمي، بايع هو وأبوه وجده النبيَ ﷺ وشهدوا بدراً، وكان له مكان عند عمر بن الخطاب ﷺ، سكن في حياته دمشق، ويزيد المذكور في الحديث والده . انظر: الإصابة ٦ /١٩٢.

[٢] – صحيح البخاري كتاب الزكاة، باب إذا تصدق على ابنه وهو لايشعر، ج١١١/٢، رقم ١٤٢٢.

[٣] – المرجع السابق ج٨/٦، كتاب المغازي باب، رقم ٤٤٢٣.

[٤] – صحيح مسلم كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، ج٦ /٤٧، رقم ٥٠٣٢.

الكَافِرِينَ﴾[البقرة:٢٦٤] ، فهو كالحجر الأملس الذي عليه تراب، يظنه الناظر أرضاً منبتة، فإذا أصابه وابل من المطر انكشف عنه التراب وظهرت حقيقته في أنه حجر أملس لا فائدة منه، وهكذا المرائي الذي ينفق ويطيع بأي طاعة ظاهرًا، ويبطن محبة رؤيته، وذكر الناس يوم القيامة إذا انكشف سره وظهر كذبه وزوره[١].

٥- وردت آيات عده وأحاديث نبوية كثيرة تأمرنا بإقامة الصلاة، وذلك يعني أن يُؤتى بها مقومة كاملة في أركانها وشروطها وسننها ومعانيها، وتُؤدَّى بخشوع وخضوع وتذلل تام لله ﷻ كما أمر، وبذلك تتحقق الآية الكريمة: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾** [العنكبوت:٤٥] [٢].

٦- إن الصلاة لها فضل عظيم، وذُكر ذلك في آيات وأحاديث عدة، وهي تجب على كل مسلم بالغ عاقل.

٧- حكم تارك الصلاة: من وجبت عليه الصلاة وتركها جحوداً وإنكاراً، فقد أجمع المسلمون أنه كافر مرتد؛ لأنه تركها مع ثبوت فرضيتها بالقرآن والسنة والإجماع، ولكن من ترك أداءها تهاوناً وكسلاً وهو لا ينكرها فهو فاسق عاص، إلا إذا كان قريب عهد بالإسلام، أو لم يُخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة، وتارك الصلاة لم يجعل لنفسه وقاية من العذاب، واستحق بذلك العذاب الأخروي، فيقول تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾** [مريم:٥٩] ، ويقول سبحانه: ﴿**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾** [المدَّثر:٤٢-٤٣] [٣].

٨- إن الإيمان بالله، والإخلاص له في العبادة، وترك الشرك، وإقامة الصلاة على أتم وجه يحقق التقوى، ويتقي بها المسلم سخط الله بفعله للواجبات وتركه المنهيات[٤].

---

[١] – انظر : المحرر الوجيز لابن عطية ٣٥٧/١ .

[٢] – انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٢٥٥٦/٥.

[٣] – انظر : الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي ٦٥٨،٦٥٩/١.

[٤] – انظر : التفسير المنير للزحيلي ٢٧١/٧.

المطلب الرابع: خالق الكون يستحق العبادة وحده، وإليه المعاد.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الحَقُّ وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام:٧٣]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي أن الله رب العالمين خالق السماوات والأرض؛ ليذَّكر الخلق ويعبدوه ويشكروه، وبذلك لم يخلقهما عبثاً، والله تعالى خالق الكون إذا أراد إيجاد أمر أو إعدامه إنما يقول له كن فيكون، فلا يُعجزه سبحانه شيء، والله يعلم ما غاب عن خلقه من أمور الغيب، وما حضر من علم الشهادة، والله حكيم في تصرفاته وأفعاله وتدابيره لأمور مخلوقاته، ويوم ينفخ في الصور نفخة الفناء لا يبقى إلا الواحد القهار، وبهذا كان المعبود الحق الذي لا يجوز أن يعبد سواه بأي عبادة من العبادات التي شرعها سبحانه وتعالى ليُعْبَد بها[١].

ثانياً/ وجوه البلاغة: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ بينهما طباق.

رابعاً/ المناسبة: تحقق الآية حقيقة أخرى، فالله تعالى الذي يأمر العباد بالإيمان والاستسلام له، هو الذي خلق السماوات والأرض، وهو الذي يملك الكون، ويحكم ويتصرف ويقضي فيما خلق، فهو بذلك يستحق الإيمان والإخلاص والعبادة[٢].

وعلاقة الفاصلة بموضوع الآية: لما كان الحديث عن أن الله ﷻ خالق السماوات والأرض، وله القدرة المطلقة وإذا أراد شيئا إنما يقول كن فيكون، ووصف تعالى ذاته الكريمة بما يدل على علمه الواسع، فيعلم الغيب والشهادة، والسر والعلن، وهو تبارك وتعالى يجازي الناس على أعمالهم بمقتضى حكمته وعلمه، كان مناسباً أن تختم الآية بقوله تعالى:﴿وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾، فهو الحكيم المتقن لصنعه، الخبير بدقائق الأمور[٣].

خامساً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- ﴿عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام:٧٣] بيان أن الله سبحانه ما دام عالماً للغيب ودقائق الأمور الخفية، فمن باب أولى أنه يعلم المشهود والمحسوس، وهذا تعبير دقيق باثبات العلم الشامل الدقيق للغيب والشهادة[٤].

---

١ - انظر : أيسر التفاسير للجزائري ٢/٧٨-٧٩.

٢ - انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/١١٣٤.

٣ - انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٥/٢٥٥٨.

٤ - انظر : تفسير الشعراوي ٦/٣٧٣٠.

٢- الله تعالى وحده النافع والضار، والخالق الموجد للكون بنظم وقوانين ثابتة، والرازق، له الملك المطلق في كل تصرف في شئون الخلق والكائنات، وهو عالم الغيب والشهادة بأدق أحوالها وأعظمها خفاء، وكل ذلك يدل على أنه لا معبود بحق إلا الله ﷻ وحده[١].

٣- إن الله تعالى له سرعة الخلق والتكوين، ولا يعجزه شئء في الكون، فإنما إن أراد شيئاً وقضاه فيقول له كن فيكون كما في الآية الكريمة: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧] ، وخلق الكون وتكوينه بهذا النظام الدقيق يُبين أن بعث الخلق يوم الحساب ليس عسيراً أو غريباً، بل يكون بكلمة، كما يُظهر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الحَقُّ وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام:٧٣] ، فيجمعون ويبعثون من القبور، ويخرجون أشتاتاً مهما كانوا وأينما يكونون، ثم يجزيهم بما أعلنوا وأسروا، فإن كان خيراً فخير، وإن شراً فتجازى بما كسبت، فلا يغيب عن علمه شيء وقد أحصى عليهم أعمالهم[٢].

٤- الصور هو القرن وهو البوق، قال مجاهد[٣]: "كهيئة البوق"[٤]، والذي ينفخ في الصور هو إسرافيل، وهو مَلَك كريم من ملائكة الرحمن موكل بالنفخ في الصور، وينتظر أمر ربه لينفخ فيه، عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: (قَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الصُّورُ؟ قَالَ: قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ)[٥]، وعن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّﷺ فَقَالَ لَهُمْ قُولُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى الله تَوَكَّلْنَا)[٦]، والنفخ في الصور يكون في يوم جمعة،

---

١ - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٢٧١/٧.

٢ - انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٢٥٥٧/٥، ٢٥٥٨.

٣ - مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ولد فترة خلافة الفاروق، تابعي وشيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، ، واستقر في الكوفة، ويقال: إنه مات وهو ساجد واختلف في وفاته ، فقيل سنة ٢٠٢أو ٢٠٣أو ٢٠٤ أو ٢٠٨ للهجرة. انظر الأعلام ٢٧٨/٥وسير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦.

٤ - جامع البيان للطبري ٥٠٢/١٩.

٥ - مسند أحمد مسند عبدالله بن عمرو بن العاص، ج٥٣/١١، رقم ٦٥٠٧، قال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح، ورجاله ثقات".

٦ - سنن الترمذي كتاب صفة القيامة والرقاق والورع، باب ما جاء في الصور، ج٢٢٦/٤، رقم٢٤٣١، قال الترمذي: "هذا حديث حسن"، وقال عنه الألباني أنه صحيح. السلسلة الصحيحة ٣ /٦٦، رقم ١٠٧٩.

عن أوس بن أوس[1] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمُ الْجُمُعَةَ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ نَفْخَةُ الصُّورِ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ " قَالُوا: وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ ؟ فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ)[2].

وقد اختلف في عدد النفخات في الصور على رأيين:[3]

أ- من العلماء من قال إنهما نفختان نفخة الفزع و نفخة الصعق مستدلين بالحديث عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَالَ أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ شَهْرًا قَالَ أَبَيْتُ وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ)[4].

ب- ومنهم من قال إنهن ثلاث نفخات: نفخة الفزع ثم نفخة الصعق ثم نفخة البعث وهذا هو الأرجح؛ لأن جميع الآيات القرآنية فرقت بين النفخات الثلاث فيقول تعالى : ﴿**وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ**﴾ [النمل:٨٧] ، ويقول سبحانه: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**﴾ [الزُّمر:٦٨] ، وقال تبارك وتعالى: ﴿**ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [البقرة:٥٦] .

٥- كيف يُعيد الله خلق الموتى مرة أخرى، وقد بليت الأجساد وتحلَّلت وتفتَّت العظم، فالجواب من النبي ﷺ الذي يقول في الحديث الذي ذكرته آنفاً عن أبي هريرة ﷺ، وحديث آخر عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: (كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ

---

[1] – أوس بن أوس الثقفي، صحابي جليل، عاش في الشام، وروى له أصحاب السنن الأربعة أحاديث صحيحة. انظر: الإصابة لابن حجر ١٤٣/١، رقم ٣١٥.

[2] – المستدرك على الصيحين للحاكم كتاب الأهوال، باب أن أفضل أيامكم الجمعة، ج٥٦٠/٤، رقم ٨٨٣١، قال عنه الحاكم: " هذا حديث صحيح عل شرط الصحيحين، ولم يخرجاه".

[3] – انظر : اليوم الآخر للدكتور أحمد العمصي ص١٤٧-١٤٨.

[4] – متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب قوله: "ونفخ في الصور"، ج١٢٦/٦، رقم ٤٨١٤، واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب الفتن، باب ما بين النفختين ج ٢١٠/٨، رقم ٧٦٠٣.

يُرَكَّبُ)[1]، وعنه ﷺ عن النبي ﷺ: (إِنَّ فِى الإِنْسَانِ عَظْمًا لاَ تَأْكُلُهُ الأَرْضُ أَبَدًا فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالُوا: أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: عَجْبُ الذَّنَبِ)[2].

وعجب الذنب هو "العظم اللطيف الذى فى أسفل الصلب، وهو رأس العصعص"[3]، وهي عظمة دقيقة صغيرة توجد في آخر السلسلة الفقرية أسفل ظهر كل إنسان، وهي لا تبلى أبداً؛ لأنها صلبة جداً، وهي كما أخبر النبي ﷺ منها ينبت جسم الإنسان ويُركَّب وينشأ مرة أخرى، بعد أن عدم سائر جسده وصار تراباً، ويُعيد الله تركيبه وإن تفرَّق جسده في البر والبحار، أو ذهب في بطون السباع، أو نهشته الطيور في حواصلها، فبعلمه ﷻ بكل شيء في الوجود يأتي بهذه العظمة الصغيرة ويُكمل جسم الإنسان[4].

---

[1] – صحيح مسلم كتاب الفتن، باب ما بين النفختين ج ٨/٢١٠، رقم ٧٦٠٤.

[2] – المرجع السابق كتاب الفتن، باب ما بين النفختين ج ٨/٢١٠، رقم ٧٦٠٥.

[3] – شرح النووي على مسلم ج١٨ ص٩٢.

[4] – انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ج١٧ ص٢٥٦، وانظر: عمدة القاري للعيني ج١٩ ص١٤٦.

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنعام من الآية (٧٤ ـــ ٩٤)

ويتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : قصة إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثاني :ذكر الرسل والأنبياء من أبناء إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثالث : الرد على منكري الوحي .

المبحث الأول

قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، من الآية (٧٤ ـ ٨٣)

ويحتوي على ستة مطالب :

المطلب الأول : دين إبراهيم عليه السلام الصافي الخالص .

المطلب الثاني : استدراج إبراهيم عليه السلام لقومه في إقامة الحجة على بطلان عبادة الأوثان .

المطلب الثالث : إعلان إبراهيم عليه السلام عن إيمانه وتوحيده لله عز وجل.

المطلب الرابع : مجادلة إبراهيم عليه السلام لقومه .

المطلب الخامس : أثر الإيمان الخالص في جلب الأمن والاستقرار .

المطلب السادس : فضل إبراهيم عليه السلام .

المبحث الأول

قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه

هذا المبحث يعرض مرحلة من مراحل الصراع مع الكفر لإثبات التوحيد ونشر دين الإسلام، والاصطدام بانحرافات الجاهلية وتصوراتها الباطلة، ويتناول بناء العقيدة الصحيحة مشتملة حقيقة الألوهية، والعبودية، وأدلتها وبراهينها، بأسلوب القصص القرآني والتعقيب عليه، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول : دين إبراهيم عليه السلام الصافي الخالص.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آَلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٧٤]

أولاً/ التفسير الإجمالي: في الآية ثناءٌ على إبراهيم عليه السلام وتعظيمٌ له في حال دعوته لتوحيد الله ونهيه عن الشرك، وإنكاره على أبيه ضلاله بعبادة أصناماً من دون الله، وهي لا تملك من الأمر شيئاً، وتركه وقومه عبادة خالقهم ورازقهم ومدبر أمورهم[١].

ثانياً/ وجوه البلاغة: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ﴾ " حكاية حال ماضية، أي أريناه"[٢].

ثالثاً/ المناسبة: تتناول هذه السورة موضوعاً متصل الفقرات، وترتبط هذه الآية بالآيات السابقة وبموضوع السورة الأساس، حيث إن السورة تعالج بناء العقيدة على قاعدة من التعريف الشامل بحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية[٣].

وعلاقة الفاصلة بموضوع الآية: لما كان الحديث في الآية عن إبراهيم عليه السلام وإنكاره على أبيه وقومه شركهم وما هم عليه من ضلال وانحراف، كان مناسباً أن تختم الآية بقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- وقف العلماء وتساءل بعضهم عن آزر، هل هو أبو إبراهيم عليه السلام الحقيقي، وما هي علاقة قرابته معه، وهل آزر أبوه أم تارح؟، والتفصيل في ذلك كما يلي:[٤]

---

١ - انظر : تيسير الكريم الرحمن ص٢٦٢.

٢ - التفسير المنير للزحيلي ج٧ ص ٢٧٣.

٣ - انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ١١٣٧/٢.

٤ - انظر : تفسير الشعراوي ٣٧٣٢/٦.

أ- كلمة الأب قد تطلق على الأب والجد والأجداد والعم، وقد استعملها القرآن الكريم في عدة معاني، فيقول تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣] فجاء لفظ آباء وهو جمع أب، وأقل الجمع يكون ثلاثة، وأبناء يعقوب يقصدون أبيه الحقيقي إسحق وعمه إسماعيل وجده إبراهيم (عليهم السلام)، وكذلك يستدل من قوله ﷺ عن عمه العباس رضي الله عنه يوم فتح مكة: (رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي، رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي، فَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَفْعَلَ بِهِ قُرَيْشٌ مَا فَعَلَتْ ثَقِيفٌ بِعُرْوَةِ بْنِ مَسْعُودٍ[١]) [٢].

ب- وقد يتجه القول إلى أن الآية الكريمة ذكرت اسم آزر مع لفظة أبيه؛ وذلك ليُميزه ويصرف إلى أنه غير والده الحقيقي، ولو كان المراد أنه الأب الحقيقي لاكتفى بذكره بلفظ الأبوة فقط.

ونقول أن في ذلك رأي لا نستطيع أن نتجاهله أو نغفل عنه.

٢- أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يذكر إبراهيم عليه السلام وما قاله لأبيه لأنه أراد أن يُدخل في قلوب قريش الحنان وليستعطفهم بذكر قصة إبراهيم عليه السلام؛ لمكانته العظيمة في قلوبهم، لأنهم كانت لهم به صلة عقدية، فقد كانوا يحجون ويطوفون بالبيت، ويعظمون الكعبة، ويذبحون الذبائح كما افتدى إبراهيم ابنه (عليهما السلام)، وليوضح لقريش أن السيادة والعز الذي ينعمون به بسبب الكعبة والبيت، ولولاه لما كان لهم مهابة ولا جاه، ولتعرضت تجاراتهم وما بها من أموال في الشمال والجنوب للسلب والنهب، وكذلك جاء ذكر إبراهيم عليه السلام للتشابه الذي كان بين قومه وقريش من ناحية أن المواجهة العقائدية معهم كانت لعبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، ودعوة الناس لتركها وعبادة الله وحده [٣].

٣- يواجه الله ﷻ الكافرين واليهود والنصارى بإبطال ادعائهم زوراً نسبته إليهم ونسبتهم إليه، وإظهار أن إبراهيم عليه السلام مسلمٌ موحدٌ بالله، فيقول تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧] ، ويقول البغوي: " والحنيف: المائل عن الأديان كلها إلى الدين المستقيم، أو: الذي يوحِّد ويحج ويضحي ويختن ويستقبل الكعبة، وهو أسهل

---

[١] - عروة بن ممسعود الثقفي من الطائف، عم والد الصحابي المغيرة بن شعبة، أسلم عام ٩هـ وعاد لقومه ودعاهم فعصوه وآذوه ثم قتله رجل منهم بسهم في وقت سحر. انظر: الإصابة ٤٩٢/٤-٤٩٣، رقم ٥٥٣٠.

[٢] - مصنف بن أبي شيبة كتاب المغازي، باب ٣٤، ج٢٠ /٤٦٥، لم يحكم عليه الألباني.

[٣] - انظر : تفسير الشعراوي ٣٧٣٢/٦-٣٧٣٤.

الأديان وأحبها إلى الله ﷻ"[1]، إذن إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً وبريئاً من أي دين غير الإسلام، وبهذا فإن أولى الناس بإبراهيم هو النبي ﷺ ومن اتبعه من المسلمين، فيقول تعالى:﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨] .

٤- إن إبراهيم عليه السلام أواه حليم رضي خلوق سمح لين، ولكنه واجه أبيه بالبراءة من كفره، ولم يُهادن أو يضعف أو يتهاون؛ لأنها العقيدة التي رابطتها أقوى وأوثق من روابط الدم والنسب وغيرها، وفي ذلك أسوة للمؤمنين[2].

٥- على أصحاب الدعوة أن يبدءوا بدعوة الأقربين، خاصة عندما تأخذ المواجهة مع الكفر طابع العلنية، وذلك ليجد التأييد والحماية، لذلك النبي ﷺ عندما انتقل إلى المرحلة الجهرية توجه لدعوة أقاربه من بني عبد المطلب وبني هاشم[3].

المطلب الثاني: استدراج إبراهيم لقومه في إقامة الحجة على بطلان عبادة غير الله ﷻ.

يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الآَفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٥-٧٨]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي كذلك نرى إبراهيم الملك العظيم لله في خلقه، والأدلة على أنه المعبود لا سواه؛ لكي يكون من الراسخين في اليقين، ففرجت له السماوات حتى مصيره إلى العرش والأرض ونظر إليهن، فلما ستر الليل وغشاه الظلام رأى كوكباً قال: هذا ربي، فلما غاب الكوكب قال: لا أحب الآفلين، ولما طلع القمر قال: هذا ربي لأنه أكبر، فغاب القمر، ولما رأى الشمس بازغة قال: هذا أكبر، فهي أشد إضاءة وحرارة فأفلت، فتبرأ منها جميعاً وممن يعبدها ويشرك مع الله غيره في العبادة، وكان هذا الحوار أمام قومه، وقصد توجيه الحوار لهم؛ لتوبيخهم واستدراجهم والإنكار

---

[1] – معالم التنزيل للبغوي ٥١/٢.

[2] – انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ١١٣٩/٢.

[3] – انظر : المنهج الحركي للسيرة النبوية ٤١/١.

عليهم، وليُعرفهم جهلهم وخطأهم في عبادتها، وأراد أن يعرفهم أن النظر الصحيح يؤدي إلى ألا يكون شيء منها إلهاً، وإنما وراءها محدثاً أحدثها، ومدبراً دبَّر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها.[1]

ثانياً/ وجوه البلاغة: قوله تعالى: ﴿**لَأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ**﴾: " فيه تعريض بضلال قومه".[2]

ثالثاً/ المناسبة: بعد أن أنكر إبراهيم عليه السلام على أبيه وقومه عبادتهم للأصنام التي لا تستحق العبادة، أتى بما يستدل به على ربه من ملكوت السماوات والأرض وعلى إفراد الله بالعبودية، فهو لا يشبه المخلوقين.[3]

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- كان إبراهيم عليه السلام بارعاً في مقام حواره مع قومه وإقامة الحجة، واستخدم الحجج العقلية ليثبت بطلان عبادة الكواكب والقمر والشمس؛ لأنها لا تدبر أمورها وهي تظهر وتختفي، ولا بد من مدبر يُدبّر أمورها ويُصرّف شئونها، وجميع المخلوقات تدل على وجود الصانع وقدرته؛ لأنها محدثة وكل محدث يحتاج إلى الصانع[4]، وكان عليه السلام يستعمل عقله خلال سيره في طريق إثبات حججه الحقة، كما فعل عندما حطم أصنامهم وترك كبيرهم، وعندما سألوه: ﴿**قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ**﴾ [الأنبياء:٦٢] رد عليهم مخاطباً عقولهم: ﴿**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ**﴾ [الأنبياء: ٦٣-٦٦] ، وهذا الأسلوب مناسب مع من لا يؤمن بالله ويُكذب الآيات، فمهما تقدم له من أدلة ونصوص نقلية، وتذكر له الآيات القرآنية التي تدعوه إلى التوحيد وتحذره من أن يكفر ويعصي، فلن يؤمن أبداً، لأنهم كما قلنا لا يؤمنون بالله وأنبيائه وكتبه أصلاً.

٢- قال إبراهيم عليه السلام عن الكوكب والقمر والشمس: هذا ربي، ولكن هذا لا يُجري الشرك عليه، ولا يعني أنه كان من أهله؛ فقد قال ما قاله ليلفت قومه الذين يعبدونها إلى فساد عقيدتهم، وبطلان ما يدعون، فلو أنه خاطبهم: يا كذابون يا ضالون، وواجههم بغلظة وشدة، لانصرفوا وأعرضوا

---

[1] – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/١٥٠-١٥١، وانظر: البحر المحيط لأبي حيان ٤/١٧١.

[2] – التفسير المنير للزحيلي ٧/٢٧٣.

[3] – انظر : البحر المحيط لأبي حيان ٤/١٧٠.

[4] – انظر : التفسير المنير للزحيلي ٧/٢٧٩.

عنه، وما اهتموا به أو استمعوا له، بل أراد أن يستميل قلوبهم ويأخذ أسماعهم وآذانهم، فيعلموا أنه غير متحامل عليهم ويأخذ بأيديهم[١].

٣- أشرك قوم إبراهيم بالله وعبدوا الأصنام تقليداً لآبائهم وكذا العرب، وعبدوا الكواكب لتأثيرها السببي على الأرض، وهدى الله ﷻ نبيه إبراهيم عليه السلام إلى ينظر ألى حقيقة الأصنام، فهي لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع، فآمن ونفى الألوهية عما كان يعبد قومه من دون الله تعالى، ورَفَضَ مظاهرها وأعمالها، ولا يسع المؤمن إلا أن يرفض ويحارب كل مظاهر الوثنية وأشكالها وطقوسها، فلا يتبرَّك بقبر وميت، ولا يتطير ولا يتبع منجماً أو ساحراً، بل يخص عبادته لله فاطر السماوات والأرض دون غيره من الوسائل[٢].

٤- على المسلم أن يسأل الله ﷻ الهداية وإن كان مهتدياً؛ ليطلب الثبات على الهداية ولا يزيغ قلبه وتزل قدمه إلى الضلال[٣].

٥- بعد أن رأى إبراهيم عناد قومه، وإصرارهم على الكفر، تبرأ منهم ومما يعبدون من دون الله، وأعلن إيمانه بربه الواحد القهار، ويقول سبحانه: ﴿**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**﴾ [مريم:٤٨] .

٦- على المؤمن التفكر في السماوات والأرض وما خلق الله، والنظر في الآفاق؛ ليتحصل على الإيمان واليقين الثابت، والتفكر هو دراسة الأشياء وتحليلها، ومن ثم ربطها بالحقائق الموضوعية، بما يتناسب والعقل والمنطق الصحيحين، وبالتالي يتوافق ويتطابق مع العلوم الصحيحة على اختلافها، وهو عبادة يتقرب بها المسلم لربه سبحانه وتعالى، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ)[٤].

ويقول تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١] ، فالله تعالى دعا المومنين إلى التفكر والتأمل في مخلوقاته، وحثهم على المواظبة عليه، وفي هاتين الآيتين أمر من الله سبحانه للناس بالتدبر والتفكر في السماوات والأرض التي فيها الحياة والعيش، وفي تعاقب الليل والنهار حيث يتصرَّف فيها الناس لمعاشهم ويسكنون؛ ليتوصل الإنسان إلى أن الله ﷻ المدبر المصرف

---

١ - انظر : تفسير الشعراوي ٣٧٤٩/٦.

٢ - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٢٨٢/٧.

٣ - انظر : المرجع السابق ٢٨٠/٧.

٤ - حلية الأولياء لأبي نعيم ٢٠٩/١.

لشئون الكون والمسخر لما أراد، والمؤمن الذي يتحصَّل بالتفكر على قوة الإيمان وثباته في القلب[1].

٧- ذكر الرازي أحكاماً مستنبطة من قوله: ﴿ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ منها ما يلي:[2]

أ- الله ليس محلاً للصفات المحدثة، بل هو الخالق مدبر الكون.

ب- الدين وقضاياه والمسائل الشرعية يجب أن تكون مبنية على الدليل.

ت-معرفة الأنبياء بربهم قائمة على الاستدلال.

المطلب الثالث: إعلان إبراهيم عن إيمانه وتوحيده لله ﷻ.

قال الله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٧٩]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي اتجهت لله خالق السماوات والأرض بالعبادة والتوحيد، تاركاً عبادة غيره واتباع أي دين غير الإسلام إلى العبادة الصحيحة والدين الصحيح القويم، وأعلن البراءة من الشرك وأهله.[3]

ثانياً/ وجوه البلاغة: قوله تعالى: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ : جناس اشتقاق.

ثالثاً/ المناسبة: هذه الآية تقرير لمضمون الآيات السابقة ومؤكدة لها[4]، وهي تبين الحقيقة الدامغة التي أراد أن يدعو قومه لها، وهي أن الله مستحق للعبادة وحده، وأعلن لهم إيمانه وتوحيده الخالص لله والبراءة من المشركين وما يعبدون.

وعلاقة الفاصلة بموضوع الآية: لما كان الحديث في الآية عن إخلاص إبراهيم عليه السلام التوحيد والعبادة لله؛ لأنه تعالى وحده مستحق العبادة ولا تنبغي لغيره وليس له شريك، كان مناسباً أن تختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، والفاصلة كذلك مؤكدة للآيات الأربع السابقة، لما فيها من تحقيق بطلان ما كان عليه قوم إبراهيم عليه السلام من عبادة للأجرام السماوية وللأوثان.

---

[1] - انظر : جامع البيان للطبري ٤٧٣/٧-٤٧٤.

[2] - انظر : مفاتح الغيب للرازي ٥٥/١٣-٥٦.

[3] - انظر : أوضح التفاسير لابن الخطيب ١٦٢/١ .

[4] - انظر : اللباب في علوم الكتاب ٨ /٢٥١.

تحقيق المقصد والهدف:

١- إن سيدنا إبراهيم عليه السلام يرفض الفساد، وفرض على نفسه الميل عنه والاستقامة لربه على ما يحبُّ من التوحيد،[١] والاستقامة هي " أن يثبت الإنسان على شريعة الله سبحانه وتعالى كما أمر الله ويتقدمها الإخلاص"[٢]، والمسلم مأمور بالاستقامة على دينه، يقول تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [هود:١١٢] وعن سفيان بن عبد الله الثقفي[٣] رضي الله عنه قال:(قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِالله، ثُمَّ اسْتَقِمْ)[٤]، والخطاب هنا موجه للنبي ﷺ ولأمته بالاستقامة لأنها شرط من شروط الأعمال الصالحة، ومن شروط صحة العبادة، والمسلم بعد أن يؤمن يجب عليه الاستقامة على دين الله، وعدم الحيد عنه أو التقصير أو الزيادة، والاستقامة على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والالتزام بالعبادات وجميع الشرائع،[٥] ويقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصِّلت:٣٠] فيُخبر الله تعالى في هذه الآية أن الذين آمنوا بربهم ثم استقاموا على توحيده، وانتهوا إلى طاعته في أمره ونهيه، تهبط عليهم الملائكة عند الموت؛ لتطمئنهم لئلا يخافوا مما يقدمون عليه من أمر الآخرة، ولا يحزنوا على ما خلَّفوا وراءهم من الدنيا، والملائكة تبشرهم أن الله سيخلفهم خيراً مما تركوا، وتبشرهم بالجنة جزاء إيمانهم واستقامتهم ليسروا ويسعدوا،[٦] ويقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأحقاف:١٣-١٤] : أي أنهم بإيمانهم واستقامتهم على صالح الأعمال ملازمون للجنة لا يرضون لها بديلاً ولا يبغون عنها حولاً، وهم آمنون من العذاب سعداء بنعيم الله تبارك وتعالى[٧].

---

١ - انظر : جامع البيان للطبري ٤٨٧/١١.

٢ - شرح رياض الصالحين ٩٨/١.

٣ - سفيان بن عبد الله الثقفي الطائفي أسلم عام الوفود، واستعمله عمر رضي الله عنه على صدقات الطائف، ووقع في رواية مرسلة لابن أبي شيبة أن النبي ﷺ استعمله على الطائف، شهد حنيناً وقتل فيها أخاه عثمان . انظر: الإصابة ١٢٤/٣، رقم ٣٣١٧.

٤ - صحيح مسلم كتاب الإيمان باب جامع أوصاف الإسلام ج٤٧/١، رقم ١٦٨.

٥ - انظر : شرح رياض الصالحين ٩٨/١.

٦ - انظر : جامع البيان للطبري ٤٦٠/٢١ ، ٤٦٧.

٧ - انظر : تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٧٨٠/١.

٢- يعلن النبي إبراهيم عليه السلام توجهه إلى الله تبارك وتعالى بالعبادة والطاعة والخضوع التام، وعبَّر بالوجه لأنه مظهر الخضوع والطاعة وبه يكون السجود،[١]وعلى المسلم أن يطيع الله في جميع أموره ويخضع نفسه لطاعته، فإن ربنا تبارك وتعالى أمر المسلمين بالدخول في جميع جوانب دين الإسلام، والعمل بتعاليمه وأحكامه، ولا يتركون منها شيئاً، ولا يتبعون أهواءهم، ولكن الواجب أن يكون الهوى تبعاً للدين والشريعة،[٢] فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة:٢٠٨] ، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] فحياة المسلم وعباداته وذبائحه وإنفاقه ومماته خالصة لله تعالى وفق شرعه.

٣- إذا كان الأمر يتعلق بالدين والعقيدة، فإن على المسلم أن يواجه أعداء الله بحزم وثبات دون تردد أو تهاون، وكذلك يجب أن يكون موقف العلماء وأهل العلم والدعوة ورموزها، فموقفهم المفاصلة التامة بين الحق والباطل، وعدم التردد في الحق قيد أُنملة، أو حتى التفكير في الردة والرجوع عن الحق مهما كانت التحديات والتهديدات والمحن والفتن والصعاب والمتاعب؛ لأنهم قدوة، وعامة الناس من المسلمين تنظر إليهم وتأخذ منهم، فإذا خرج منهم موقف فإنه لا يختص بهم وحدهم، ولكن ذلك سيؤثر على عامة المسلمين، مثل ما حدث مع الإمام أحمد بن حنبل في مواجهته للمأمون[٣]والمعتصم[٤]والواثق[٥] رافضاً ومنكراً ما قالوا به من بدعة خلق القرآن[٦] القرآن[٦] رغم السجن والتعذيب، أما ما حدث مع عمار بن ياسر رضي الله عنه عندما ذكر آلهة المشركين

---

١ – انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٥/ ٢٥٦٣.

٢ – انظر : تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٩٤/١.

٣ – المأمون: هو الخليفة العباسي السابع عبد الله بن هارون الرشيد، تولى الخلافة من سنة ١٩٨هـ –٢١٨ هـ بعد أن قتل أخاه الخليفة الأمين بعد صراع عنيف. انظر: موجز التاريخ الإسلامي للعسيري ص١٩٠.

٤ – المعتصم: هو محمد بن هارون الرشيد، تولى الخلافة بعد وفاة أخيه المأمون من سنة ٢١٨هـ – ٢٢٧ هـ ، وكان من أعماله استمرار تعذيب الإمام أحمد بن حنبل. انظر: موجز التاريخ الإسلامي للعسيري ص١٩١.

٥ – الواثق: هارون بن محمد المعتصم، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه من سنة ٢٢٧هـ – ٢٣٢هـ، جاء بعده أخوه الخليفة جعفر المتوكل الذي منع القول بخلق القرآن وأكرم الإمام أحمد بن حنبل. انظر: موجز التاريخ الإسلامي ص١٩٣.

٦ – فتنة خلق القرآن: "حدثت في عهد المأمون في عام ٢١٨ هـ/٨٣٣ م، وهي القول بأن القرآن مخلوق وليس منزلًا، وآمن المأمون بهذا الاعتقاد وهو رأي المعتزلة، وقد تعرض عدد من العلماء للتعذيب في ذلك، منهم الإمام أحمد بن حنبل". موجز التاريخ الإسلامي للعسيري ص١٩١.

المشركين بخير وسبَّ النبي ﷺ مكرهاً، فلم يكن عالماً أو نبياً يتبع بل كان كل الاتباع وقتها للنبي ﷺ، الذي لم يتنازل أو يفاوض في أي مسألة من مسائل الدين رغم التهديد والترغيب.

المطلب الرابع: مجادلة إبراهيم عليه السلام لقومه .

قال تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ*وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٨٠-٨١]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي جادلوه وناظروه في شأن التوحيد وشأن آلهتهم، وخوفوه بآلهتهم، فأجابهم منكراً عليهم: أتجادلونني في وجود الله ﷻ ووحدانيته وقد هداني إلى الحق وأنار بصيرتي؟!، ولا أخاف هذه الآلهة المزعومة التي تعبدونها من دون الله تبارك وتعالى، فهي لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، فهي لا تقدر على شيء مما تزعمون إلا إذا أراد ربي أن يصيبني شيء من المكروه، فعلمه أحاط بكل شيء، أفلا تعتبرون وتتعظون؟، ألا تعتبروا بالدلائل الساطعة على وحدانيته سبحانه، وأنكر عليهم فقال لهم: أي الطائفتين أحق بالأمن من العذاب، التي تعبد الله الخالق القادر القهار، أم التي تعبد من لا ينفع ولا يضر ولا يعقل ما حوله، فعليهم أن يحذروا عذاب الله سبحانه يوم القيامة [١].

ثانياً/ وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾: "الاستفهام إنكاري لإنكار الواقعِ، وإنكار الواقع توبيخ، فهو يوبخهم ويؤيسهم من نتيجة المحاجة فيقول: (وَقَدْ هَدانِ)، أي: أنه لا مطمع لكم في أن أعود إلى عبادة الأصنام وقد هداني الله تعالى ووفقني لأن أدرك أنه وحده المعبود بحق، ولا معبود سواه"[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ : "الاستفهام هنا للتعجب من المفارقة التي كانت منهم، وهي مفارقة عجيبة يخوفون إبراهيم من أن تصيبه آلهتهم بسوء، ومع ذلك لَا يخافون هم من إشراكهم بالله ما لم ينزل به سلطانًا"[٣].

---

١ - انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٢/٢.

٢ - زهرة التفاسير لأبي زهرة ٢٥٦٦/٥

٣ - المرجع السابق ٢٥٦٩/٥.

المناسبة: الآية استمرار في حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه ومناظرته لهم، وهي هنا تخبر عن الجدال بينه وبين قومه فيما ذهب إليه من التوحيد ونفي الشرك، وعندما أفحمهم ظلوا متمسكين بجهلهم وعنادهم بتقليدهم البغيض، واستنكروا توحيد إبراهيم عليه السلام ربه عز وجل، وخوفه البلهاء بالآفات والبليَّات لطعنه بأصنامهم وما يعبدون من دون الله تعالى.[١]

وعلاقة الفاصلة ﴿فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بموضوع الآية: لما كان الحديث في الآية عن جواب إبراهيم عليه السلام على قومه وإنكاره عليهم، فهم يخوفونه بآلهتهم التي لا تملك نفعاً أو ضراً، ولا يخافون الله الخالق القادر النافع، فكان مناسباً أن تختم الآية بهذه الفاصلة، تأكيداً للإنكار عليهم، ودليلاً على جهلهم وأنهم لا يعلمون.[٢]

ثانياً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- الكفار يتوهمون أن الأنبياء يستحقون العقاب وإنزال العذاب؛ لأنهم يدعون لإثبات التوحيد وإبطال الشرك، وهذه خرافات. أما ما قد يُصاب به الإنسان من المصائب فهو يكون بسبب ذنب يُعاقب عليه، أو يكون ابتلاءاً واختباراً ليميز الخبيث من الطيب والصادق من الكاذب، ويظهر الصابر المتمسك بإيمانه وقت الشدائد، وقد يكون تسليطاً لبعض الظلمة على غيرهم لإهلاكهم بظلمهم.[٣]

٢- الجدال محمود إذا كان بقصد تقرير الدين الحق والانتصار له، وإبطال الباطل وإدعاءات الكفر، ويكون مذموماً إذا كان لتقرير الدين الباطل ومحاربة الدين الحق ونفيه[٤]، وأما المراء الذي يكون في أمور الدنيا وإن كان محقاً، أو جدال لحظ في النفس والنيل من الخصوم فهو منهي عنه، وتاركه موعود بنعيم الله[٥]، عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ)[٦].

---

[١] – انظر : التفسير المنير للزحيلي ٧/٢٨٤.

[٢] – انظر : جامع البيان للطبري ١١/٤٩٠.

[٣] – انظر : التفسير المنير للزحيلي ٧/٢٨٨.

[٤] – انظر : المرجع السابق ٧/٢٨٨.

[٥] – انظر : الحديث الموضوعي ص٢٦٠.

[٦] – سنن أبي داود ج٤/٤٠٠، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، قال عنه الألباني: يرتقي إلى درجة الحسن. السلسلة الصحيحة ج١/٤٩١، رقم ٢٧٣.

٣- من أجل تقرير الحق وإثبات ألوهية الله وحده كان لإبراهيم أربع مناظرات، ظهرت فيها قوة حجته وبرهانه القاطع، وحضور البديهة لإفحام الخصوم[١]:

المناظرة الأولى: مع أبيه، حيث دعا أباه لعبادة الله ﷻ وترك عبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئاً، ونهاه عن اتباع الشيطان، فإنه أوتي من العلم من الله ما لم يؤتَ، فرد عليه متبجحاً بآلهته مهدداً له إن لم ينته عن شتم آلهته ليرجمنه ويقتله بالحجارة، فقال له إبراهيم: إنه سيسلم هو من لسانه مما يكره، ويدعو الله له ليغفر له ويهديه لدينه، إنه رحيم رءوف بحال نبيه، ولم يزل يستغفر له رجاء أن يهتدي، فلما تبين له أنه عدو لله ترك الاستغفار له وتبرأ منه[٢].

المناظرة الثانية: مع ملك زمانه، ومواجهة أعتى قوى الكفر التي يُظهرها الله تعالى في كتابه العزيز، فيقول تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة:٢٥٨] فقد أنكر نمرود بن كنعان ملك بابل الذي ملك مشارق الدنيا ومغاربها، وطلب من إبراهيم عليه السلام دليلاً على وجود الله ﷻ، فاستدلَّ بأن الله يحيى ويميت، فقال الطاغوت: أنا أُحيي وأميت، فجاء برجلين وأمر بقتل أحدهما وعفا عن الآخر، فردَّ عليه إبراهيم عليه السلام إن كان يدَّعي بذلك أنه يُحيي ويميت فهذه الشمس تطلع من المشرق فليأت بها من المغرب، فعجز وانقطعت قدرته على المكابرة، وبهت في هذا المقام[٣].

المناظرة الثالثة: مع قومه، كما حدَّثت الآيات السابقة من إقامة الحجج والبراهين والدلائل على أن الله ﷻ محدث الكون، وخالق آلهتهم المزعومة ومحدثها، ورغم ذلك كذَّبوا وهددوه.

المناظرة الرابعة: مع الكفار بالفعل، وترويها الآيات الكريمات، فيقول تعالى: ﴿**وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ**

---

١ - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٢٧٩/٧.

٢ - انظر : تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٤٩٤/١.

٣ - انظر : مختصر تفسير ابن كثير ٢٣٣/١.

دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء:٥٧-٦٩]

٤- إن إبراهيم عليه السلام كان حريصاً في إجابته على المجادلين من قومه المكذبين الذين هددوه بعقاب آلهتهم الباطلة، فقال لهم كما عبَّرت الآية: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، حتى لو أصابه قدر من الله لا يتوهمون أن ذلك من سر آلهتهم، ففوَّض أموره كلها لله، ورضي بما قدَّر له، وأنكر أن تكون أصنامهم تستطيع فعل شيء، بل أخبرهم أن الذي يصيب بالضرر ويُنزل الخير هو الله عز وجل[١]، وإن نبي الله إبراهيم أسوة يقتدي به المسلمون، ويتعلمون من أفعاله مع الكافرين فيعتبرون، إذن المسلم عندما يحاور الكافرين وأعداء الدين عليه أن ينتبه إلى ما يخرج من لسانه من كلام، حتى لا يستغلوا بعض مواضع من حديثه ويؤولونها حسب مرادهم.

المطلب الخامس: أثر الإيمان الخالص في جلب الأمن والاستقرار.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] .

أولاً/ التفسير الإجمالي: هذا فصل القضاء من الله تبارك وتعالى بين إبراهيم عليه السلام وبين من حاجَّه من قومه المشركين، فيقضي ويقرر أن الذين صدقوا مع ربهم وأخلصوا ولم يشركوا ولم يخلطوا عبادتهم بشرك أحق بالأمن من عقابه، والذين يشركون بربهم فهم الخائفون من عقابه، ففي عاجل الدنيا وجلون من حلول سخط الله، وعذاب الآخرة يقين الوقوع عليهم [٢].

ثانياً/ المناسبة: بعد أن كانت المجادلة بين إبراهيم عليه السلام وقومه، وهددوه بعقاب آلهتهم، رد عليهم منكراً تبجحهم أن الأمن لمن آمن، والخوف والعذاب لمن أشرك، فكان الفصل الحق أن المشركين لهم الخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة [٣].

وعلاقة الفاصلة بموضوع الآية: لما كان الحديث بأن الذين آمنوا بالله إيماناً خالصاً دون مخالطته بأي شائبة شرك نالوا بذلك الهداية إلى طريق الحق الذي يضمن لهم الأمن من عذاب الاستئصال وسخط الله عز وجل، فكان مناسباً أن تختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ .

---

١ - انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ١٥٦٧/٥.

٢ - انظر : جامع البيان للطبري ٤٩٢/١١.

٣ - انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٢٥٦٩/٥.

ثالثاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- الشرك بالله ﷻ هو مصدر الخوف وانعدام الأمن والطمأنينة، لذلك يغيش المشركون دائماً في قلق واضطراب، وخوف مما يأتي من غيبيات المستقبل، أما المؤمنون المخلصون فلهم الأمن المطلق إذا طبقوا الإيمان أولاً، ثم عدم خلط الإيمان بظلم، والظلم يقصد به هنا الشرك، بدليل قوله تعالى: ﴿**يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان:١٣] ، والأمن يستلزم أن يكون الإيمان نابعاً من القلب، ويترجم إلى أعمال صالحة؛ للنجاة من النار كما قال تعالى: ﴿**وَالعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ [سورة العصر])[١].

٢- المؤمنون يأمنون من عذاب الله في الحياة الدنيا بتوحيدهم لله تعالى، أما المشركون والكافرون فلا أمن لهم من العذاب في حياتهم، والأقوام التي عذبت بكفرها وصدها عن سبيل الله كثيرة، كما ظهر من الآيات القرآنية.

٣- المؤمنون المخلصون لهم الأمن من عذاب ربهم يوم القيامة، أما الكافرون فمصيرهم الخوف ولا أمن لهم من العذاب، يقول المولى ﷻ: ﴿**يَا بَنِي آَدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [الأعراف:٣٥-٣٦] : أي يذكر الله تعالى لبني آدم أنه يرسل إليهم الرسل بالآيات البينات والأدلة الصادقة يدعونهم إلى الإيمان وطاعة الله ﷻ، فمن آمن واتقى وعمل بما أُمر به وانتهى عما نهي عنه وأصلحوا بفعل الطاعات، فلهم الأمن يوم القيامة ولا خوف عليهم، ولا يحزنون على ما فات من الدنيا وما تركوا فيها، أما الذين كذبوا بما جاء به الرسل وجحدوا التوحيد واستكبروا رغم الحجج الدامغة والبراهين الباهرة، فهم لا أمن لهم من العذاب يوم القيامة، ومأواهم النار يمكثون فيها لا يخرجون أبداً [٢].

٤- من مقتضيات الإيمان أن يتذكر الإنسان حين يُقبل على أي أمر أن الله سخَّره له، وهذا ليس بقدرته ولا بعلمه بل ينسبه لله، ومن يغفل عن ذلك فقد لَبَس وخلط إيمانه بظلم، ونُذكّر في هذا الموضع بقارون الذي قال: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمُونَ**﴾ [القصص:٧٨] فذهب عنه الأمن وكان مصيره: ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ**

---

[١] - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٢٨٩/٧.

[٢] - انظر : جامع البيان للطبري ٤٠٥/١٢-٤٠٧.

﴿الْمُنْتَصِرِينَ﴾ [القصص:٨١] ، وبما أن المؤمن ينسب كل ما يحدث في الكون لربه الواحد، فعليه أن يشكره لنعمه ويحمده لصفاته العليا، وعليه ذكر اسم الله حين يبدأ أي عمل.

وقد يسأل سائل: كيف يأمن الكافرون في حياتهم الدنيا وهم لا يؤمنون يكفرون بالله ﷻ، ولا يؤمنون أنه ﷻ سخَّر لهم كل أمر من أمور حياتهم، ولا يذكرون اسم الله تعالى على شيء أو يحمدوه، ومع ذلك هم آمنون يسعدون بنعم الله تبارك وتعالى؟!، فنقول: هناك فرق بين عطاء الفعل وعطاء البركة، فهو يحصل على نتائج وطيبات ولكن لا يأخذون بركتها، وننظر إليهم فنجد عندهم الرقي الحضاري، والبحوث والاكتشافات الكبيرة، فهي لا تنفعهم لأنهم لا يؤمنون ولا يخلصون له في أعمالهم، فيشغلهم الله ﷻ بإذنه بما يصيبهم من العذاب والنكبات والكآبة والقلاقل، وما أكثر المكتئبين وأصحاب النفسيات المتعبة في بلاد الكفر، وكذلك لا تجد مؤمناً مهما وصل الضنك والضيق والضغوط في عيشه يُقبل على الانتحار، وفي المقابل تجد من أهل الكفر مَن تكون حياته هانئة ويُقبل على الانتحار، وهذا بسبب انعدام أمنه، وخوفه الذي حدث له بفعل شركه وكفره، وعدم إيمانه أن الله ﷻ مدبر أمور الكون وبيده القدر[١].

المطلب السادس: فضل إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى:﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:٨٣] .

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي تلك إشارة إلى ما تقدم من الحجج القاطعة التي أيَّد الله بها خليله عليه السلام على وحدانية الله ﷻ من أفول الكواكب والشمس والقمر، وهي أدلة أرشده لها؛ لتكون له الحجة الدامغة على قومه، فرُفع درجات بالعلم والفهم والنبوة، فإن ربنا حكيم يضع الشيء في محله، عليم لا يخفى عليه شيء[٢].

ثانياً/ المناسبة: يُثبت الله تعالى أن ما خاصم به إبراهيم عليه السلام قومه وما جاء به قاضياً عليهم، وقاطعاً عذرهم وحجتهم، هي حجة أتاه الله ﷻ بها واستعلاه، وكانت بذلك الرفعة لإبراهيم عليه السلام.

وعلاقة الفاصلة مع موضوع الآية: تتحدث الآية أن الله ﷻ آتى إبراهيم عليه السلام الحجة ورفع درجاته لحكمة أرادها ﷻ، والله تعالى يعلم فيمن يجعل الرسالة ومن الذي يؤيد بالحجج الباهرة لإبطال معتقدات أهل الشرك والضلال، وبعلم ما يؤول إليه أمر الرسل والمرسل إليهم من ثبات

---

١ – تفسير الشعراوي ٦/٣٧٦٣.

٢ – انظر : اللباب في علوم الكتاب ٨/٢٦٤.

المكذبين على ضلالهم، أو توبتهم إلى الله وطاعته، وتصديق رسله، فكان مناسباً أن تختم الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ثالثاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- لقد جعل الله ﷻ لإبراهيم عليه السلام السمو والارتفاع في الدرجات، وأعطاه الحجة الغالبة على قومه، ونتعلم من مخاصمته لقومه كيف يحاجج المسلم خصومه، فعليه أن يجعل الغاية الأصلية هي الأساس، ولا ينصرف عن غايته التي يريد تحقيقها إلى أمور أخرى قد تلهيه أو تضعفه أو تنقص من قدرته على الإقناع بما يدعو إليه، وعند الجدال عليه الحديث والكلام بعقلانية وهدوء وثقة بالنفس، بعيداً عن الصوت الجماهيري الذي يُلبس فيه الحق والباطل، ويتحدث فيه من لا يملك الحجة ولا يجيد الإقناع، وكذلك إذا رأى خصمه يدخل أثناء جداله في أمور لا تنتهي ويجعله تائهاً، فينتقل إلى المستوى الذي لا يستطيع منه فكاكاً أو خلاصاً، فيُغلب ويبهت الخصم ضعيف الحجة، ونجد سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يقل للنمرود: أنت لا تميت بل تقتل، حتى لا يقع في جدالات طويلة وحوارات لا تنتهي، ولكنه قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨] [2].

٢- الرفعة تكون منحة وأعطية لمن أراد الله من عباده، والرفعة إلى الدرجات والمراتب العالية في الهداية والتوفيق مستمرة متجددة ما دام الوجود الإنساني، واستمر الخير بوجود الهداة المرشدين والداعين إلى الخير والصلاح، والمهتدين الأخيار المطيعين لربهم[3]، وأهم أسباب الرفعة والوصول للدرجات العليا غير النبوة الإيمان والعلم، من أجل ذلك على المرء أن يؤمن كما أمره ربه، ويجتهد في العلم وطلبه، يقول تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١] .

٣- رفع الله ﷻ إبراهيم عليه السلام أعلى المنازل، وذكر له في آيات عديدة فضلًا كبيرًا وصفات عظيمةً:

أ- هو خليل الرحمن: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥] .

---

[1] - انظر : جامع البيان للطبري ٥٠٦/١١.

[2] - انظر : تفسير الشعراوي ٣٧٦٦/٦- ٣٧٦٥.

[3] - انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٢٥٧٢/٥.

ب- نبي صديق: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤١] .

ت- أواه حليم منيب: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤] ، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود:٧٥] .

ث-سلام من الله تعالى على إبراهيم عليه السلام لإيمانه وثباته وصبره وهجرته وطاعته[١]: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصَّفات:١٠٩] .

ج- اصطفاه رب العالمين ومن آله أنبياءً لتبليغ رسالته: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة:١٣٠] ، ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٣٣] .

ح- جعل الله النار برداً وسلاماً عليه، فإن قومه أرادوا حرقه انتقاماً للأصنام التي يتخذونها باطلاً آلهة، بعد أن كسَّرها وحطَّمها، فأوقدوا له ناراً عظيمة وألقوه فيها، فأمر تعالى النار أن تكون برداً وسلاماً:﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩] [٢].

خ- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: (يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام)[٣]، في هذا الحديث يأمر النبي بأن يقال عن إبراهيم أنه خير البرية؛ وذلك تواضعاً منه واحتراماً لخليل الرحمن وأبي الأنبياء، وقيل إنه قالها قبل أن يعلم أنه خير ولد آدم، وقيل إنه خير برية عصره[٤].

---

١ - انظر: أيسر التفاسير للجزائري ٤/٤٢٠.

٢ - انظر : جامع البيان للطبري ١٨/٤٦٥،٤٦٤.

٣ - صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب فضائل إبراهيم الخليل، ج٧/٩٧، رقم ٦٢٨٧.

٤ - انظر : شرح النووي على مسلم ١٥/١٢١ - ١٢٢.

المبحث الثاني

ذكر الرسل والأنبياء من أبناء إبراهيم عليه السلام، من الآية (٨٤ ــ ٩٠)

ويحتوي على أربعة مطالب :

المطلب الأول : أبناء إبراهيم عليه السلام من الرسل والأنبياء .

المطلب الثاني : الشرك يحبط الأعمال .

المطلب الثالث : سنة التغيير والاستبدال.

المطلب الرابع: أمر الرسول ﷺ بالإقتداء بمن سبقه .

المبحث الثاني

ذكر الرسل والأنبياء من أبناء إبراهيم عليه السلام

نذكر في هذا المبحث عدداً من الرسل والأنبياء الذين اصطفاهم الله تبارك وتعالى وفضَّلهم على سائر خلقه، ومن أشرك أو عاد بعد إيمانه للشرك، فإن ما عمل من الصالحات لا ينفعه شيئا، وإن كان الذي أشرك من الأنبياء على سبيل الفرض فعمله باطل بالكلية، فأساس قبول الأعمال طاعة الله وعدم الشرك به، ثم أمر الله ﷻ رسوله محمدًا ﷺ بالاقتداء بمن سبقه من النبيين والرسل، والسير على هداهم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : أبناء إبراهيم عليه السلام من الرسل والأنبياء .

قال تعالي: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:٨٤-٨٧]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي وهب الله تعالى لإبراهيم إسحق ويعقوب ولد وابن ولد لتقر بهما عينه، وأرشدهما إلى سبيل الرشد والنجاة والنجاح، وآتاهما النبوة والحكمة، وفي ذريتهم من بعدهم، وبشرَّه بالنبوة في أولاده من بعده لتعويضه عن عشيرته المشركة بالأولاد الصالحين، وليجزيه جزاء المحسنين، جوزي إبراهيم لإحسانه في عمله وصدقه في إيمانه أن جعل النبوة والحكمة في نسله، وذكر إسحق الذي وهب به بعد أن طعن في السن وكان قاطعاً ليأسه من الولد، وذكر نوحاً أبو البشر لشرف آباء إبراهيم من قبله، وبدأت الآيات بذكر ذرية إبراهيم من الأنبياء الكرام، فذكرت داود وسليمان الملكين النبيين، وأيوب ويوسف القدوة في الصبر، وكليم الله موسى وأخيه هارون، وذكر الكاملين في الصلاح، أهل الزهد زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، وبعد ذلك ذكر إسماعيل بن إبراهيم، ويونس بن متَّى، ولوط بن هاران ابن أخ إبراهيم، وكل الأنبياء الذين ذكروا في الآيات فضَّلهم الله على العالمين بالنبوة، واصطفاهم وهداهم إلى الطريق المستقيم، وهدى الله ﷻ من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم الطريق القويم الذي لاعوج فيه[1].

---

[1] – انظر : صفوة التفاسير للصابوني ٣٧٤/١.

ثانياً/ المناسبة: بعد أن حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام وإظهار الحجة بالدلائل الظاهرة على حقيقة التوحيد، ونصرة الخليل لدعوة التوحيد والدفاع عنها، وعدَّد نعمه وإحسانه عليه بإتيانه الحجة ورفعته درجات، ذكر هنا نعمته عليه وكرامته له بوهبه الذرية الصالحة من الأنبياء، وإبقائها في نسله حتى النبي محمد ﷺ[1].

ثالثاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- كل ما يعطى الإنسان من نعم هو هبة من رب العالمين، وليس لأحد حق على الله، ولكن كل شيء يعطى إياه هبة منه ﷻ، والهبة الأولى للإنسان هي السيادة في الكون، ثم التكاثر بالذرية من البنين والبنات، وقد تكون الهبة في العطاء أو في المنع، مثلاً العُقم يجده الإنسان هبة إذا نظر إلى أبناء غيره من غير حسد أو حقد، يجعل الله كل من يراه من أبنائهم كأنهم أبناءه، وكذلك على الإنسان أن يرضى برزق الله من الإناث، فقد يكُنَّ أكثر نفعاً وعوناً له من الذكور، أو يبعث له من الذكور من يتزوج بهن فيكون أطوع له من أبنائه[2].

٢- المصائب والمحن وما يُبتلى به الإنسان لا تكون غضباً من الله دائماً، ولكن ما يتعرض له المؤمن في حياته من مصائب هو لقوة إيمانه، لأنه يصبر فيُكفر عنه الذنوب، عن سعد بن أبي وقاص قال رضي الله عنه: (سألت رسول الله ﷺ من أشد الناس بلاء؟ قال: النَّبِيُّونَ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ صُلْبَ الدِّينِ اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِى دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِىَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا تَبْرَحُ الْبَلاَيَا عَلَى الْعَبْدِ حَتَّى تَدَعَهُ يَمْشِى عَلَى الأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ)[3]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى الله وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ)[4]، وعن أبى سعيد رضي الله عنه وأبى هريرة رضي الله عنه أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول:(مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ[5] وَلاَ نَصَبٍ وَلاَ سَقَمٍ وَلاَ حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ إِلاَّ كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ)[6].

---

[1] – انظر : التفسير المنير للزحيلي ٧/٢٩١-٢٩٢.

[2] – انظر : تفسير الشعراوي ٦/٣٧٦٨.

[3] – المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون، ج١/٤١، رقم ١١١، لم يحكم الحاكم أو الألباني.

[4] – سنن الترمذي أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، ج٤/٤٠٢، قال عنه الألباني : حسن صحيح. صحيح الترغيب والترهيب ج٣ ص١٨٣.

[5] – وصب: " الوصب الوجع اللازم ومنه قوله تعالى ولهم عذاب واصب أي لازم ثابت". شرح النووي على مسلم ١٦/١٣٠.

[6] – صحيح مسلم كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ، ج٨/١٦، رقم ٦٧٣٣.

وقد يُبتلى الإنسان بنوع من البلاء فيصبر، ثم ينال ما حرم منه بعد صدقه مع ربه وصبره، كما حدث لإبراهيم عليه السلام، الذي وهبه ربه الأبناء على كبر بعد أن حرم منهم وصبر على ما ابتلاه به ربه.

٣- ذكر في الآيات عدداً من الأنبياء والرسل، ويمكن تصنيفهم إلى ثلاث مجموعات[١] كالتالي:

المجموعة الأولى: هي التي تمتاز بالصبر الذي يتضح في حياة كل نبي منهم: فداوود وسليمان (عليهما السلام) كانا خليفتين في الأرض، وملكا الأرض بعدل، والمَلك العدل يحتاج إلى صبر وحكمة ليمتنع عن الظلم الذي هو شهوة الملوك وداؤهم الملازم، وكانا من رجال الحرب، وما فيهما من بأس وشدة يحتاج لصبر وثبات لمواجهة شدة المعارك والحروب [٢].

وأيوب عليه السلام الذي ضُرب به المثل بالصبر، وكان كثير المال من سائر صنوفه، من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتسعة، والأولاد الكثيرين، فسلب منه ربه كل هذا، وابتلي في جسده بالمرض، حتى أنه لم يبق عضو في جسمه سليم سوى قلبه وعقله ولسانه، ولم يكن يحنو عليه إلا زوجته الصالحة التي تخدم الناس لتأتي له بالطعام وتستطيع رعيته، وظلت صابرة معه رغم حرمان المال والولد[٣].

ويوسف عليه السلام اجتمع فيه نوعان من الصبر: صبر على البأساء والشدة، وصبر على هوى الشيطان وشهوة النفس، فصبر على كيد إخوته وبغضهم وعداوتهم له، وصبر على فتنة النساء وكيدهن، فراودته امرأة عزيز مصر عن نفسه وهمَّت به، ولكنه رأى برهان ربه ورفضها ولم يستسلم، وحاولت النساء إغواءه، ففضَّل السجن على ما يدعونه إليه ولم يرضخ لإغرائهن، وهنا نجد الصبر والعزيمة، وضبط النفس من الشاب القوي الجميل، ومن كان في هذا المقام فقد جعله الله عز وجل في ظل الرحمن يوم القيامة حين تدنو الشمس من رؤوس الخلائق ويغرقون في عرقهم على حسب معصيتهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ

---

١ – انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٥/٢٥٧٥.

٢ – انظر : المرجع السابق٥/٢٥٧٥..

٣ – انظر : قصص الأنبياء لابن كثير ص٢٠١-٢٠٢.

عَيْنَاهُ)[1]، وجلس يوسف عليه السلام على عرش مصر فصبر على نعمة السلطان، وزيادة على كل ذلك صبر على البعد عن الأهل وعن أبيه الصابر الشفيق[2].

وموسى عليه السلام صبر على أذى فرعون، وعلى ما لقي من فساد قلوب بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر، وردتهم واتخاذهم العجل إلهاً، وعاود دعوتهم إلى الإيمان، ثم صبر عندما دعاهم للقتال فقالوا: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون، وكان أخوه هارون عليه السلام معه في رحلة دعوته وصبره على ما لقوا فيها[3].

والمجموعة الثانية: التي وصفها الله عز وجل بالصلاح، وتمتاز بالروحانية والزهد في الدنيا إلا ما كان من الطيب الحلال، وهم زكريا عليه السلام الذي كان قائماً على المسجد الأقصى، وربى مريم، قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧] ، ويحيى بن زكريا عليه السلام الذي كان إجابة من الله لدعوة أبيه: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٩] ، وعيسى بن مريم عليه السلام التي كانت ولادته وحياته كلها معجزة، فقد أوتي البينات، ينفخ في الطين كهيئة الطير فيكون بإذن الله طيراً، ويُحيي الموتى ويشفي المرضى ويُبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله تبارك وتعالى، ويخبر الناس وينبئهم بما يأكلون وما يدَّخرون في بيوتهم، وإلياس عليه السلام كان زاهداً في الحياة وقت كانت المادة أصل النزاع في الأرض بين الناس[4].

والمجموعة الثالثة: ذرية إبراهيم عليه السلام من العرب، إسماعيل عليه السلام ابنه وهو الذي بنى الكعبة معه، وكان الذبيح الذي فداه الله بذبح عظيم، بعدما سلَّم عن رضا لأمر ربه دون تردد، ومن ذريته اليسع عليه السلام، ويونس عليه السلام، ولوطاً عليه السلام الذي كان ابن أخيه [5].

---

[1] – متفق عليه : صحيح البخاري كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ج١/١٣٣، رقم ٦٦٠، واللفظ له، وصحيح مسم كتاب الزكاة ، باب فضل إخفاء الزكاة ج٣/٩٣، رقم ٢٤٢٧.

[2] – انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٥/٢٥٧٦.

[3] – انظر : المرجع السابق ٥/٢٥٧٧.

[4] – انظر : نفس المصدر ٥/٢٥٧٧– ٢٥٧٨.

[5] – انظر : نفس المصدر ٥/٢٥٧٨.

المطلب الثاني: الشرك يحبط الأعمال.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨] .

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي أن الله يهدي من أراد من خلقه إلى الطريق القويم الصراط المستقيم دين الله العظيم، ولو أشرك الأنبياء أكثر البشر فضلاً وأعلاهم قدراً المصطفين من الله العظيم لبطل عملهم وأحبطه تبارك وتعالى، فكيف بغيرهم إن أشرك [١].

ثانياً/ المناسبة: بعد المشهد الرائع الذي استعرض الموكب العظيم من أنبياء الله، يقرر الله تعالى أن هدى الله ﷻ للبشر يتمثل فيما جاء به الرسل، وهو الذي يجب اتباعه واليقين به، والله يهدي لهداه من شاء من عباده، ولو أن أعلى الناس هداية حادوا عن التوحيد وأشركوا، فإن مصيرهم أن يحبط عملهم ويضيع[٢].

ثالثاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- جاء التحذير من الشرك في عدد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦] ، وقال تعالى: ﴿حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [الزُّمر:٦٥].

عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: (أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَوْلُ الزُّورِ أَوْ قَالَ وَشَهَادَةُ الزُّورِ)[٣]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِى غَيْرِى تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)[٤].

---

١ – انظر : صفوة التفاسير للصابوني ٢٧٤/١.

٢ – انظر : في ظلال القرآن ١١٣٧/٦، ١١٤٤ .

٣ – صحيح البخاري كتاب الديات ، باب قوله تعال: (ومن أحياها) ، ج٤/٩، رقم ٦٨٧١.

٤ – صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله ﷻ، ج٢٢٣/٨، رقم ٧٦٦٦.

ويتضح لنا من الآيات أن الشرك هو الذنب الوحيد والمعصية التي تتميز بعدم المغفرة لصاحبها إن مات ولم يتب، عكس غيرها من الذنوب التي إن مات صاحبها ولم يتب فإنه تحت مشيئة الله إن شاء رحمه برحمته أو عذبه .

٢- معنى الشرك لغة وشرعاً :

أولاً/ الشرك لغة:

مشتق من الفعل شرك، ومنه الشرك هو النصيب، أو الاشتراك في الشيء كالاشتراك في الأرض مثلاً، والشركة مخالطة الشريكين، وأشرك بالله أي جعل له شريكاً في ملكه سبحانه.[١]

ثانياً/ الشرك شرعاً:

" أن يجعل لله نداً أو شريكاً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته وهو المبطل للأعمال والمانع لقبوله"[٢] أو هو " أن يجعل لغير الله شيئاً من العبادة، وتشبيه المخلوق بالخالق بما هو من خصائص الألوهية "[٣].

٣- أنواع الشرك اثنان :

النوع الأول/ الشرك الأكبر: " يُخرج صاحبه من ملة الإسلام، ويوجب له الخلود في جهنم، ويحرم عليه الجنة إذا مات على الشرك، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ المَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢] "[٤].

والشرك الأكبر أربعة أنواع: شرك الدعوة، وشرك النية والقصد والإرادة، وشرك الطاعة، وشرك المحبة[٥].

أ- شرك الدعوة أو الدعاء: وهو اللجوء بالدعاء والقصد لمسألة أو طلب لغير الله ﷻ، يقول تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥] : أي أن هؤلاء المشركون يركبون السفينة في البحر، ويخافون الغرق أو الهلاك فيتوجهون بالدعاء لله مخلصين طائعين مذعنين، وينسون آلهتهم وما يشركون؛ لأنهم يعلمون أنها لا تملك من أمرها شيئًا، ويعودون لخالقهم لينجيهم من ظلمات البحر،

---

١ - انظر : لسان العرب لابن منظور ٤/٢٢٤٨،٢٢٤٩.

٢ - الإيمان بالله للصلابي ص ١٦٩.

٣ - المنهج الصحيح للغنيمان ص٦٠.

٤ - الإيمان بالله للصلابي ص ١٧١.

٥ - انظر : عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة ١٢/٨٤٠.

فلما نجَّاهم وسلمهم وصاروا إلى البر سرعان ما يعودون إلى شركهم ويجعلون لله شركاء في عبادتهم، ويدعون أصنامهم وما يعبدون من دون الله أرباباً.[1]

ب- شرك النية والإرادة والقصد: أن يعمل العمل المراد به وجه الله يريد به مراداً آخر، يقول تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآَخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥-١٦] ، أي من ابتغى الحياة الدنيا، وكانت إرادته مقصورة على الحياة الدنيا وزينتها، وانصرف عن الله ﷻ وخدمة دينه إلى حب نيل النساء والبنين والأموال من الأنعام والذهب ومتاع الدنيا بجميع أصنافها، وصرف رغبته عن الله وعبادته والإخلاص له وقصده وحده، ولم يجعل لدار الآخرة أي نصيب في نفسه، فهذا كافر مشرك يعطيه ربنا ﷻ ما قسم له في الدنيا من دون نقص، وهم في الآخرة خالدون محرومون من جزيل الثواب، وحبط ما عملوا من كيد لأهل الحق، وما عملوا من خير لأنه لا أساس له، وأساس أي عمل مقبول الإيمان.[2]

ت- شرك الطاعة: " وهو طاعة الأحبار والرهبان وغيرهم من البشر والعلماء والسلاطين والأمراء في تحريم ما أحلَّ الله أو إباحة ما حرَّم الله "[3]، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١] .

ث- شرك المحبة: بأن يصرفون المحبة لغير الله من أنداد وآلهة يعبدونها بالباطل من أهل أو مال أو تجارة، يقول تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ لله جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ العَذَابِ﴾ [البقرة:١٦٥] ، ويقول تعالى:﴿قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

<u>والنوع الثاني / الشرك الأصغر</u>: " وهذا النوع لا يخرج صاحبه من الملة، ولكنه ينقص من توحيده، وهو وسيلة للشرك الأكبر "[4]، وينقسم إلى قسمين :

---

١ - انظر : جامع البيان للطبري ٢٠/٦٠.

٢ - انظر : تيسير الكريم الرحمن للسعدي١/٣٧٨.

٣ - الإيمان بالله للصلابي ص١٧٢.

٤ - الإيمان بالله للصلابي ص١٧٤.

أ- الجلي: ويكون من ألفاظ قولية، وأفعال عملية، فمن الألفاظ أن يحلف بغير الله، وقول الإنسان: لولا الله وأنت، أو هذا من الله ومنك، فإن هذا يقتضي المساواة بين الله ﷻ وعبده، وهذا محال ولا يكون، والصحيح أن يقول الإنسان: لولا الله ثم أنت، أو هذا من الله ثم منك، والأفعال العملية مثل تعليق التمائم خشية العين[١].

ب- الخفي: ما كان في القلب، ويسمى شرك السرائر؛ لأنه لا يعلم به إلا الله، ومنه الرياء[٢].

٤- الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

أ- الشرك الأكبر: يخرج من ملة الإسلام، ويحبط جميع الأعمال، ويبيح الدم والمال، ويخلد صاحبه في النار، أما الشرك الأصغر: فلا يخرج من الملة، ويحبط العمل الذي يخالطه فقط خلاف الشرك الأكبر الذي يحبط جميع الأعمال، ولا يبيح الدم والمال، ولا يخلد صاحبه في النار وإن دخلها[٣].

ب- "الشرك الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين موالاته، ولو كان أقرب قريب، وأما الشرك الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقًا، بل صاحبه يحب ويُوالَى بقدر ما معه من التوحيد، ويبغض ويُعادَى بقدر ما فيه من الشرك الأصغر"[٤].

٥- بعض صور الشرك :

أ- الكهانة والعرافة: الكهانة هي ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض، والأصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن، وهو الآن قليل بالنسبة لما كانوا عليه في الجاهلية؛ لأن الله حرس السماء بالشهب، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا**﴾ [الجنّ:٨-٩] ، والعرافة هي ادعاء علم الغيب، وكشفه[٥].

ومن أتى عرافاً أو كاهناً فصدَّقه فقد حكم عليه ﷺ أنه كافر ، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فِيمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى

---

١ - انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين ١٣٣/٢.

٢ - انظر : المرجع السابق ١٣٣/٢.

٣ - انظر : نور التوحيد وظلمات الشرك للقحطاني ص٢٦١.

٤- نور التوحيد وظلمات الشرك للقحطاني ص٢٦١.

٥ - انظر : تهذيب شرح الطحاوية لأبي العز الحنفي ص٦٩.

مُحَمَّدٍﷺ)[1]، أما إن لم يصدقه فلا تقبل له صلاة أربعين يوماً، عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:(مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَىْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)[2]، وإن أتاه ليمتحنه فهذا لا بأس به، عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال النبي ﷺ لابن صياد: (خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا، قَالَ: الدُّخُّ[3]، قَالَ: اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَك)[4][5].

ب- التنجيم: "وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية، وهو صناعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه:٦٩] ، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١] ... والجبت السحر"[6]، وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ)[7].

ت- الشعوذة والدجل: المشعوذون والدجالون الذين يكذبون ويخدعون الناس، ويظهرون طاعة الجن لهم، كالمشايخ النصابين والطرقية المكارين، وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل كمن يدَّعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات[8].

ث-السحر: " السحر حقيقة ولا شك، وهو مؤثر حقيقة؛ لكن كونه يقلب الشيء أو يحرك الساكن، أو يسكن المتحرك، هذا خيال وليس حقيقة"[9]، والسحر يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان مما لا يستقل به الإنسان، وذلك لا يستتب إلا لمن يناسبه في الشر وخبث النفس، وعبر عن السحر بالكفر في الآية الكريمة: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ

---

[1] - المستدرك على الصحيحين للحاكم كتاب الإيمان، باب التشديد في بيان الكاهن وتصديقه، ج٨/١، رقم ١٥، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرطهما جميعاً" .

[2] - صحيح مسلم كتاب السلام، باب من تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ج٣٧/٧، رقم ٥٩٥٧.

[3] - الدُّخ : الدخان. انظر: شرح النووي على مسلم ٤٨/١٨.

[4] - صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ج١٩٢/٨، رقم ٧٥٣٨.

[5] - انظر : فقه العبادات لابن عثيمين ص٤٩.

[6] - مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩٢/٣٥.

[7] - سنن أبي داود كتاب الطب، باب في النجوم، ج٢٢/٤، رقم ٣٩٠٧، قال الألباني في السلسة الصحيحة ج٤٣٥/٢، رقم ٧٩٣: إسناده جيد، ورجاله كلهم ثقات.

[8] - انظر : تهذيب شرح الطحاوية ص٧٢.

[9] - فقه العبادات لابن عثيمين ص٥٣.

بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢][١].

ج- الرقى الشركية: فيها شرك، ولا يجوز التكلم بكلامها، مثل الكلام الذي فيه كفر ولا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه مخافة أن يكون فيه شرك لا يعرفه، عن عوف بن مالك الأشجعى[٢] ﷺ قال:(كنا نرقى فى الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى فى ذلك فقال: اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لاَ بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ)[٣].[٤]

ح- التوسل: هو الاعتقاد بإمداد الميت للأحياء، وطلب الاستغاثة منهم[٥]، أو كأن يُقسم أحد على الله بأحد المخلوقات، فيقول: بحق نبيك أو بحق فلان، فهذا محذور من وجهين: الأول أنه أقسم بغير الله، وهذا محرم، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ)[٦]، والثاني أنه يعتقد أن أحداً له حق على الله وهذا غير صحيح[٧].

خ- الطيرة: هو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع والأشخاص، وإذا استعملها الإنسان فرجع بها، أو امتنع عن شيء مما عزم عليه، فقد قرع باب الشرك وولجه،[٨] عن عبد الله الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ) [٩].

---

١ – انظر : تفسير البيضاوي ٣٧١/١.

٢ – عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، كنيته أبو عبد الرحمن أو أبو محمد، أسلم عام خيبر وشهد الفتح، نزل في الشام، ومات فترة خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ. انظر: الإصابة ٧٤٢/٤، رقم ٦١٠٥.

٣ – صحيح مسلم كتاب السلام باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، ج١٩/٧، رقم ٥٨٦٢.

٤ – انظر : تهذيب شرح الطحاوية لأبي العز ص٧٣.

٥ – انظر : التوسل شروطه وأحكامه للألباني ص٧ .

٦ – المستدرك على الصحيحين للحاكم كتاب الإيمان، باب من حلف بغير الله فقد أشرك، ج١ ص١٨، رقم ٤٤، قال عنه الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

٧ – انظر : تهذيب شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٦٥.

٨ – انظر : مفتاح دار السعادة ٢ /٥٦٩.

٩ – مسند أحمد مسند عبد الله بن عمرو، ج٦٢٣/١١، حديث رقم ٧٠٤٥، تعليق شعيب الأرنؤوط : حسن.

يقول ابن حجر: "وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها فجاء الشرع بالنهي عن ذلك"[1].

د- الرياء: هو من الشرك؛ لأنها تعني أن الإنسان يقصد بعبادته غير الله، وقد يصل إلى الشرك الأكبر، وقول ابن القيم عنها: مثل يسير الرياء من الشرك الأصغر، يدل على أن الرياء الكثير قد يصل إلى الشرك الأكبر[2].

والعبادة إذا خالطها الرياء على ثلاثة أوجه :[3]

- الوجه الأول: أن يكون الباعث الأساسي على العبادة هو المراءاة، وللذكر والثناء بين الناس، كمن صلى أو تصدق أو جاهد ولم يقصد وجه الله، بل من أجل أن يرى ويُذكر، فهذا شرك والعبادة باطلة.
- الوجه الثاني: أن يشاركه الرياء أثناء العبادة، ففيها تفصيل كما يلي : إن كانت العبادة لا يُبنى آخرها على أولها، فإن الجزء الأول صحيح والباقي الذي خالطه رياء باطل مردود، كمن تصدَّق بمائة دينار، تصدَّق بخمسين مخلصاً، والباقي دفعه رياء الناس، فالخمسون حكمها صحيح والباقي حكمها باطل.

أما إن كان يُبنى أولها على آخرها، فهي على حالين:

الحال الأول: أن يدافع الرياء ولا يسكن إليه، بل يُعرض عنه ويكرهه فإنه لا يؤثر عليه، مثل رجل قام يصلي ركعتين مخلصاً، وفي الركعة الثانية أحسَّ بالرياء فدافعه، عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الله تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)[4].

والحال الثاني: إذا اطمئن للرياء ولم يدافعه، فحينئذ تبطل جميع صلاته.

- الوجه الثالث: ما يطرأ بعد العبادة، فلا يؤثر على قبول العمل شيئاً، إلا إذا كان معه عدوان وإثم فيرد عليه، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى**

---

[1] – فتح الباري لابن حجر ٢١٢/١٠.

[2] – القول المفيد على كتاب التوحيد ١٢٤/٢.

[3] – انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد ١٢٥/٢-١٢٦.

[4] – سنن ابن ماجه: كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، ج٤٤٤/٣، حديث رقم ٢٠٤٣، قال عنه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه ج٤٣/٥، رقم٢٠٤٣: صحيح.

كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٦٤]

٦- الفرق بين الشرك والكفر:

يقول النووي: " إن الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى، وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبادة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش، فيكون الكفر أعم من الشرك، والله أعلم"[١].

٧- المشركون قد يعملون أعمالاً صالحة، أو يكتشفون اكتشافات رائعة، ويخترعون اختراعات نافعة ينتفع بها أهل الأرض وتساعدهم في أمور حياتهم وتسهل عليهم، وكل ذلك يأخذون أجرهم عليه في الدنيا من مال أو شهرة، أما في الآخرة يجدون جميع ما عملوا قد حبط؛ لأنهم لم يفعلوا ما يستحقون به النعيم والرضا من الله وهو الإيمان، بل كفروا فاستحقوا النار، والرحمن لا يقبل أي عمل خير بدون إيمان خالص، وقد يغفر أي ذنب إن شاء بشرط الإيمان، أما المشركون فقد انتفى عنهم شرط المغفرة وأساسها المتمثل في الإيمان الخالص، وهؤلاء مثلهم بيَّنته الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآَنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ [النور:٣٩] : أي أن ما يعمل الكافرون ومنهم المشركون من بر كصلة الرحم وفك العاني وإغاثة الملهوف وإكرام الضيف ونحو ذلك من الأعمال الصالحة يظنون أنهم ينتفعون بها إنما هي كالسراب على الأرض المستوية، يراه الظمآن من بعيد فيحسبه ماءً، حتى إذا جاءه واقترب منه ليستغيث به، لم يجد شيئاً، وكذلك المشركون، يحسبون أن أعمالهم تنجيهم من عذاب الله، ولكن لا نفع لها عند الله يوم القيامة، ومصيرهم الهلاك المستحق بكفرهم[٢].

المطلب الثالث: سنة التغيير والاستبدال.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام:٨٩]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي أولئك الأنبياء (عليهم السلام) المذكورون في الآيات المتقدمة أنعم الله تبارك وتعالى عليهم بالبينات والتشريعات الحكيمة و الحُكم العادل الحق والنبوة؛ رحمة لعباده ولطفاً

---

[١] - شرح النووي على مسلم ٢/٧١.

[٢] - انظر : جامع البيان للطبري ١٩/١٩٥.

بهم، فإن كفر الكافرون بالنبوة، وقيل إن المراد من الآية أنهم كفروا بالكتاب والحكم مع النبوة، ويقصد بهم كفار قريش الذين أنكروا النبوة وكذَّبوا بالرسالة، وإن كفر بنعم الله ﷻ أهل قريش أو غيرهم من أهل الأرض فتوكل على الله ﷻ بنصرة دينه ونبيه بأقوام آخرين مؤمنين، كما نصر نبيه ﷺ بالمهاجرين والأنصار[١].

ثانياً/ المناسبة: تشير الآية إلى الأنبياء (عليهم السلام) المذكورين فيما تقدَّم، أن الله ﷻ أتاهم العلم لنشره وتعليم تكاليفه للعباد، والحكم والفصل بين الحق والباطل والقضاء على أساس الهدى والشرع[٢].

ثالثاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- إن سُنَّة الاستبدال لا تستثني أحداً، مهما بلغ من درجات الإيمان، ففي الحديث أن يحيى عليه السلام خشي على نفسه الاستبدال والعذاب رغم أنه نبي، فعن الحارث الأشعري[٣]رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ: عِيسَى إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ وَإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ، فَقَالَ: يَحْيَى أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَامْتَلَأَ الْمَسْجِدُ وَتَعَدَّوْا عَلَى الشُّرَفِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ ....)[٤]، لذلك على كل مسلم أن يحذر التقصير والتفريط في دين الله ﷻ.

ويقول تعالى: ﴿ **هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾ [محمد:٣٨] يقول مكي بن أبي طالب: " وإن تعرضوا أيها الناس عن ما جاءكم به محمد ﷺ فترتدوا، يستبدل

---

١ - انظر : مختصر تفسير ابن كثير ٥٧٩/١.

٢ - انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٢٥٨٠/٥.

٣ - الحارث بن الحارث الأشعري، صحابي، سكن الشام، تفرَّد بالرواية عنه أبو سلام. انظر: الإصابة ١ /٥٦٦، رقم ١٣٨٦.

٤ - سنن الترمذي أبواب الأمثال باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، ج٥٤٤/٤، حديث رقم ٢٨٦٣، قال عنه أبو عيسى: حسن غريب صحيح، وقال عنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ج١٣٢/١، رقم ٥٥٢: صحيح.

قوماً غيركم، أي: يهلككم ثم يجيء بقوم آخرين بدلاً منكم يعملون ما يؤمرون به، لا يبخلون بأموالهم عن النفقة في سبيل الله ولا يضيعون شيئاً من حدود"[١].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤] يقول ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة، إن من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فإن الله يستبدل به من هو خيرٌ لها منه، وأشد منعة وأقوم سبيلاً"[٢].

٢- الآية التي تدل على المطلب تشير إلى سنة التغيير والاستبدال، وفي الوقت الحاضر نجد المسلمين قلَّ التزامهم وابتعدوا عن دينهم، ولم يقيموا أحكامه وحدوده وشرائعه كما أُمروا، وفي المقابل نرى كل يوم مدى إقبال غير المسلمين على الإسلام، وتمسكهم به وسعادتهم الكبيرة باعتناقه، ووكلَّهم الله لواء الدين والتوحيد، والدعوة وهمومها، وبرغم الحملات الشرسة والافتراءات الشديدة ضد الإسلام، وإنفاق النصارى المليارات على حملاتهم التنصيرية لنشر دينهم وصد الناس عن الحق، إلا أننا نجد مؤمنين جدد أنار الله قلوبهم وبصائرهم، وجدوا الإسلام يقدم منهجاً علمياً واقعياً لصلاح البشرية وسعادتها، يدلنا اهتداء الكثير إلى دين الله الحق رغم الحملات التشويهية إلى البرهان الساطع والشهادة الصادقة على عظمة هذا الدين، وإفلاس الحضارة الغربية وأديانها المنحرفة الباطلة[٣].

المطلب الرابع: أمر الرسول بالإقتداء بمن سبقه.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٩٠].

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي امض أيها الرسول الكريم على نهج الأنبياء الأخيار، واتبع هداهم، وفعل ما أمر به، فاجتمعت فيه فضائلهم وخصائصهم، وفاق بها جميع العالمين وكان سيد المرسلين وإمام المتقين، وأفضل الرسل جميعاً، ثم أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يقول للمعرضين عن

---

١ - الهداية إلي بلوغ النهاية ٦٩٢٢/١١.

٢ - تفسير القرآن العظيم ٦٩/٢.

٣ - انظر : التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ٥٠١/٢.

الدعوة إنه لا يطلب أجرًا ولا ينتظر مغرمًا، وإنما أجره على الله، وإنما هو يذكرهم كما فعل من سبقه من الرسل إلى ما ينفعهم وما يضرهم، ويدعوهم إلى الأخلاق الحميدة، فيهتدون إلى معرفة ربهم[١].

ثانياً/ المناسبة: بعد أن ذكر الأنبياء والرسل وفضلهم، أمره هنا بالاقتداء بهم، والمضي على هداهم.

وعلاقة الفاصلة بموضوع الآية: في الآية أمر من الله تعالى لنبيه ومن آمن معه بالإقتداء بالأنبياء وثباتهم على الحق رغم الصعاب، وتبين الآية نزاهة الرسل، فهم جاءوا للنصح والحرص على الخير والسعادة لأقوامهم، ولا يرجون من وراء ذلك فائدة أو منفعة أو أجرًا من الناس، فكان مناسباً أن تختم الآية بالفاصلة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[٢].

ثالثاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- القدوة الحسنة أهم وسائل التربية والدعوة، فهي تسبق إلى العقول قبل القول، وعلى الداعية أن تكون حياته كلها تسير وفق الكتاب والسنة، ويكون على أعلى درجات الصلاح في تعاملاته وسلوكياته، فإن رآه الناس على ذلك مالوا إليه اقتداءً به ولو لم يتكلم، ويصبح المعاند المحارب للحق يفكر ويراجع نفسه، وهو أمام ذلك إما أن يُقبل على الحق لما رأى من خير وصلاح في أهل الحق، أو أن يُصر على غيه وباطله مع معرفته يقيناً من على الحق ومن على الباطل، فتنكسر نفسه وتثبط همته، والقدوة الحسنة في الإيمان والمعاملات والسلوك والعهود والمواثيق سبب لوصول الحق إلى عقول أمم في مشارق الأرض ومغاربها، فسارع الناس إلى الاقتداء بالمحسنين واتباع دينهم وترك الديانات الأخرى، فوصل الدين إلى أماكن من أوروبا وأفريقيا وإندونيسيا والفلبين وغيرها من البلاد بدون قتال ولكن فتحت بحسن خلق التجار وأهل الدين وبالقدوة الحسنة، والقدوة السيئة لها أثر عكسي خطير على مسيرة الحق، فإن كان المحق سيئاً في تعامله وأخلاقه ولا تكون وفق أوامر الشرع، فإن الناس تنفر منه حتى من بعض أبناء دينه، وإن خرج منه أحسن الكلام و أكثره إقناعاً[٣].

ولقد أمر الله تعالى الآمر بالبر والمعروف والناهي عن المنكر أن يكون قدوة، ويطبق ما يدعو إليه من إصلاح وخير على نفسه أولاً، حتى يقتنع الناس بما يدعو إليه ويصل إلى قلوبهم وعقولهم، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا

---

١ - انظر : تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢٦٣/١.

٢ - انظر : مفاتيح الغيب للرازي ٥٩/١٣.

٣ - انظر : السباق إلى العقول ص٤٠١ - ٤٠٤.

﴿تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٤٤] ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف:٢-٣] .

٢- أمر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ بالاقتداء بمن ذكر من الأنبياء والمرسلين والسير على هديهم كما دلت عليه آية المطلب، فيقتدي بأولي العزم وأهل الصبر، ويثبت في مواجهة الهجمات الشركية المتلاحقة على الدين وأهله، فمنذ أن صدح بالدعوة والنبي ﷺ ومن معه يتعرضون للمحن العظيمة والابتلاءات الشديدة، فعُذبوا في مكة، وهاجروا تاركين أهلهم وأموالهم، وواجهوا حركة نفاق شديدة العداء، وصراع مع اليهود الغادرين، وهجمات للمشركين على المدينة المنورة، ثم صراع مع الروم والفرس، وأمر ﷺ أن يقتدي بالأنبياء أهل الزهد فلا يركن إلى الدنيا ولا تجد نصيباً في نفسه، ولقد نال النبي ﷺ بثباته وصبره وزهده وأخلاقه وهديه أعلى درجات الفضل، وجعله الله ﷻ سيد المرسلين.

٣- أُمر النبي ﷺ بالاقتداء بهدي من قبله، وأمر المؤمنين أن يقتدوا بالنبي محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١] ، وواجب على المسلمين الاقتداء بالرسول ﷺ وأهل الدين والصلاح[١]، وهذا يعني أن عليه الابتعاد عن الاقتداء بأهل الشر والفساد، كالممثلين المفسدين، والمُغنيّين الخالعين، وأهل الشرك والكفر والمعاصي عامة.

---

١ - انظر : أيسر التفاسير للجزائري ٨٨/٢.

المبحث الثالث

الرد على منكري الوحي، من الآية (٩١ ـــ ٩٤)

ويحتوي على أربعة مطالب :

المطلب الأول : إنكار اليهود انزال الله أي كتاب على بشر.

المطلب الثاني : علاقة القرآن بالكتب السماوية .

المطلب الثالث : كذب وافتراء الكافرين والمكذبين .

المطلب الرابع : انقطاع العلاقات بين المشركين وآلهتهم .

المبحث الثالث

الرد على منكري الوحي

يتناول هذا المبحث قضيتي الوحي والرسالة، والبعث والجزاء، وفيه دحض لمزاعم المشركين واليهود وتقريع وتوبيخ وتسفيه لهم لإنكارهم للوحي والرسالة وبيان لحالهم عند مواجهتهم لسكرات الموت حيث ينالهم عذاب الله تعالى في الدنيا على يد الملائكة الكرام عندما تنزع أرواحهم، ذلك قبل عذاب الهون الذي ينتظرهم جزاءً لهم يوم البعث والنشور، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : إنكار اليهود إنزال أي كتاب على بشر.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي ما عرفوا الله ﷻ حق المعرفة، ولا عظَّموه حق التعظيم، فقالوا: ما أنزل الله ﷻ على بشر من شيء، حين أنكروا الوحي والرسالة، والقائلون هم اليهود اللعناء، تفوهوا بها مبالغة في إنكار نزول القرآن على محمد ﷺ، فيأمر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ أن يقول لهؤلاء المعاندين: من أنزل التوراة على موسى عليه السلام نوراً يستضاء به، وهداية لبني إسرائيل، تكتبونه في قراطيس مقطعة، وورقات مفرقة تبدون منها ما تشاءون وتخفون ما تشاءون، ومما كانوا يكتمونه ما فيها من أمر محمد ﷺ ونبوته، وعلمتم يا معشر اليهود من دين الله، وهدايته في هذا القرآن ما لم تعلموا به من قبل، لا أنتم ولا آباؤكم، فقل لهم في الجواب: الله تعالى نزَّل هذا القرآن، ثم اتركهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ويهزءون ويلعبون، وهذا وعيد لهم وتهديد على إجرامهم[١].

ثانياً/ وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾: "مبالغة في إنكار نزول أي شيء من الوحي على أحد الرسل"[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ﴾: "استفهام للتوبيخ والتقريع"[٣].

---

١ - انظر : جامع البيان للطبري ٥٢٧/١١.

٢ - التفسير المنير للزحيلي ٣٠١/٧.

٣ - المرجع السابق ٣٠١/٧.

٣- قوله تعالى: ﴿نُورًا﴾: استعارة ، حيث شبَّه الحق بالنور، والباطل بالظلمة[١].

ثالثاً/ سبب النزول:

١- قال ابن عباس ﷺ في رواية :(قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتاباً، قال: نعم، قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾)[٢].

٢- وقال محمد بن كعب القرظي[٣]: (أمر الله ﷻ محمداً ﷺ أن يسأل أهل الكتاب عن أمره وكيف يجدونه في كتبهم، فحملهم حسد محمد ﷺ أن كفروا بكتاب الله ورسوله، وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شئ، فأنزل الله تعالى هذه الآية)[٤].

٣- وقال سعيد بن جبير: (جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف، فخاصم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟، وكان حبراً سميناً فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه: ويحك ولا على موسى، فأنزل الله :﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾)[٥].

رابعاً/ المناسبة: بعد استعراض الموكب الجليل من الرسل، يجيء هنا التنديد والتوبيخ لمن أنكروا أن الله ﷻ أرسل بشراً رسلاً بالنبوة والرسالة والكتب[٦].

خامساً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- تعظيم الله واجب، والعبد مأمور بالثناء على ربه؛ لأن صفات الكمال كلها في الله وهي لا تنتهي ولا يمكن أن تُحصى، ولا إيمان بدون تعظيم الله خالق الكون منزل الكتاب مرسل

---

١ - انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ٨٦/٧.

٢ - أسباب النزول للواحدي ص ١٤٧ .

٣ - محمد بن كعب القرظي: تابعي، أبوه كان ممن لم ينسب فلم يُقتل مع بني قريظة بعد أن حكم عليهم سعد بن معاذ ﷺ، ولد في آخر خلافة علي بن أبي طالب سنة ٤٠ هـ، وكانت وفاته سنة ١٠٨ هـ على الأغلب. انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ٦ /٣٤٥، رقم ٨٥٤٢.

٤ - أسباب النزول للواحدي ص ١٤٧ .

٥ - لباب النقول للسيوطي ص١٠٠.

٦ - انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ١١٣٧/٢.

المرسلين الموحى لهم بالحق، وتعظيم الله يقتضي الاعتراف بإنزال الكتب السماوية على رسله رحمةً بعباده، وإصلاحاً لشأنهم، فهي ركن من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] ، وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِى عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ....)[1].

٢- اليهود جعلوا التوراة التي أُنزلت على موسى ﷺ قراطيس وجعلوه أوراقاً منفصلة، يظهرون ما يريدون ويخفون ما يريدون، ونسوا حظاً منه، والذي لم ينسوه كتموا بعضه، والذي لم يكتموه حرَّفوه ولوَّوا ألسنتهم به وقالوا هو من عند الله، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩][2].

٣- يجب على العالم أن يظهر ما أوتي من العلم وأحكام لينتفع به الناس، ويحرم كتم علماً من دين الله يلزم بثه وتبليغه، ومن حجز شيئاً من علم الله قد ارتكب جرماً عظيماً استحق به النار[3].

- هل يجوز أخذ الأجر على تعليم العلوم الشرعية؟

قال العلماء أنه لا يجوز أخذ الأجر على تعليم العلوم الشرعية؛ لأنه حق يلزم أداؤه وكما أنه لا يستحق الأجر على أي عبادة كالصلاة مثلاً، غير أن المتأخرين من العلماء لَمَّا رأوا انشغال الناس بمتاع الحياة الدنيا، والسعي للأرزاق وتحصيل الأقوات، أباحوا أخذ الأجور على

---

[1] - متفق عليه : صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان، ج١/١٩، رقم ٥٠، وصحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو بيان خصاله، ج١/٣٠، رقم ١٠٢، واللفظ له.

[2] - انظر : تفسير الشعراوي ٦/٣٧٨٠-٣٧٨١.

[3] - انظر : البحر المحيط لأبي حيان ١/٦٣٣.

تعليم العلم الشرعي وتبليغه للناس، فتتفرغ طائفة من العلماء عن أي شغل لأجل هذا العمل، ورأوا ذلك لغرض صيانة القرآن وعلوم الشريعة، فلا ينعدم حفظة القرآن ولا تضيع العلوم، بل زعم بعض العلماء غير الإباحة وقالوا بالوجوب[١].

٤- أثبت الله ﷻ أنه أنزل التوراة ليكمل إثبات الرسالة، وتصديق محمد ونبوته؛ لأن اليهود كانوا يعلمون أنه على الحق لعلمهم بصفاته[٢].

٥- مهما استهزأ الخائضون واللاعبون من المشركين والعصاة بأهل الدين وشعائرهم في سياق حربهم على الحق، فلن يستطيعوا إغراق سفينة الإسلام أو النيل منها، فهي تسير صامدة وسط أمواج الباطل المتلاطمة ولا تتأثر بها أو تحرف مسارها، ولكن: هذا لا يعني تركهم أبداً، فإن وُجد منهم آذان منتبهة، أو استعداد للسماع، فحينها يتم تذكيرهم لعلهم يرشدون أو يهتدون[٣].

المطلب الثاني: علاقة القرآن بالكتب السماوية.

قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام:٩٢] .

أولاً/ التفسير الإجمالي: القرآن الذي نزل على محمد ﷺ مبارك كثير الفائدة، يُصدق ما سبقه من كتب الله ﷻ المنزلة على الرسل (عليهم السلام) من قبله كالتوراة والإنجيل، ونزل ليُنذر به محمد ﷺ أهل مكة ومن حولها من سائر أهل الأرض، والذين يؤمنون بالكتاب يصدقون بالحشر، لما انطوى عليه من ذكر للوعد والوعيد والتبشير والتهديد، ويؤدون الصلاة على الوجه الأكمل مداومين عليها في أوقاتها[٤].

ثانياً/ وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿أُمَّ القُرَى﴾: استعارة، حيث شبَّه مكة بالأُم؛ لأنها أصل المدن والقرى، وجامعة للفضل[٥].

---

١ - انظر : روائع البيان للصابوني ١١٦/١.

٢ - انظر : نظم الدرر للبقاعي ٦٧٣/٢.

٣ - انظر : تفسير الشعراوي ٣٧٨٢/٦.

٤ - انظر : جامع البيان للطبري ٥٢٧/١١.

٥ - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٣٠١/٧.

٢- وفي الآية جاء بالصفة الأولى للكتاب فعلية (أنزلناه)؛ لأن الإنزال متجدد على النبي ﷺ، ووقعت الصفة الثانية (مبارك) والثالثة (مصدق) اسمان للدلالة على البركة الدائمة وثبوت التصديق والبركة [١].

ثالثاً/ المناسبة: لمَّا ذكر التوراة في الآية السابقة، بيَّنت هذه الآية أن القرآن الكريم هو كتاب مصدق لما جاء من الكتب السماوية ومنها التوراة، كما أنه كتاب هداية وإرشاد فيه الصلاح والفلاح[٢].

وعلاقة الفاصلة ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ مع موضوع الآية: لما كان الحديث في الآية أن القرآن مصدق لما جاء في الكتب السابقة، وجاء النبي لينذر به الخلق أجمعين، وتبين أن الذين آمنوا غير مقصودين بالإنذار الموجه للمكذبين؛ لإيمانهم وتصديقهم بالحق، جاءت الفاصلة لتثني عليهم بوصفهم محافظين على الصلاة، وفي ذلك إشارة كمال الإيمان، فهم منقادون لأوامر الله تعالى، وفي مقدمتها الصلاة[٣].

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- القرآن الكريم كتاب الله المبارك كثير الخير والعطاء، أنزله الله ليصدق الكتب السماوية في صورتها الأصلية، وتقرير ما فيها مما وافقها، والدعوة إلى العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص، وجاء ناسخاً لما خالفه من بعض التشريعات والأحكام[٤].

٢- الإيمان أصل من أصول الدين، وهو ركن من أركان الإيمان، ومن آمن بالله وباليوم الآخر آمن بالقرآن، وأقام الصلاة والتي هي عماد الدين، عن معاذ بن جبل قال: (أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ....)[٥]، ومن أقامها على الوجه الصحيح أقام الدين، ومن هدمها هدم الدين[٦].

---

١ - انظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحيي الدين الدرويش ٤٠٩/٧.

٢ - انظر : نظم الدرر للبقاعي ٦٧٣/٢.

٣ - انظر : نظم الدرر للبقاعي ٦٧٣/٢.

٤ - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٣٠٨/٧.

٥ - سنن الترمذي أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ج٣٦٢/٤، حديث رقم ٢٦١٦، قال أبو عيسى: حسن صحيح، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ج٢٥٧/٣: صحيح لغيره.

٦ - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٣٠٩/٧.

٣- جاء في التوراة والإنجيل صفات النبي ﷺ والتبشير ببعثته، وأخبر سيدنا عيسى عليه السلام بنبوة ورسالة محمد ﷺ، فكانت بعثة النبي ﷺ بالإسلام ونزول القرآن الكريم تصديقاً لما أخبر به النبيون وجاء في كتبهم، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧] ، أي: " وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء بشروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم"[١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصَّف:٦].

٤- بُعث كل نبي إلى قومه لينذروهم ويبشروهم دون غيرهم، أما بعثة النبي محمد ﷺ وما جاء به الهدى والكتاب المبين، جاء بدين جامع مرسل به لعموم الإنس والجن، أرسل لجميع أجناس البشر أينما كانوا دون تفرقة أو تمييز بين جنس وآخر، أو عنصر وآخر، وهو يسير مع أي وقت أو مكان، فلا يحده زمن أو مكان؛ لما فيه من الخير والبركات والتشريعات وصلاح البشرية[٢].

٥- الكتب السماوية كانت كتب منهج، ولكن القرآن يتميَّز عنها أنه معجزة خلاف باقي الكتب، لأن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ يعم كل الأزمنة والأمكنة وغيره من شرائع الأنبياء السابقين كانت لزمن محدود في مكان محدود، ومدلولات القرآن الكريم واسعة لا تنتهي، يوفق الله ﷻ من يفسر الآيات ويوضح مدلولاتها الكثيرة، والكتب السماوية غير القرآن تنفصل عن معجزة النبي الذي أتى بها، فمنهج موسى عليه السلام كان التوراة ومعجزته العصا، وعيسى عليه السلام منهجه الإنجيل ومعجزته إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى[٣].

---

١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٢٥١.

٢ - انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/ ١١٤٨.

٣ - انظر : تفسير الشعراوي ٦/٣٧٨٤.

المطلب الثالث: كذب وافتراء الكافرين والمكذبين.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣] .

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله ﷻ فجعل له شركاءً وأنداداً، أو زعم أن الله بعثه نبياً كمسيلمة الكذاب والأسود العنسي وسجاح، ومن ادَّعى أنه أُوحي إليه وهو لم يوح إليه، وينظم كلاماً يجعله عرضة للسخرية، وبيَّن ﷻ عاقبتهم، فقال: ولو ترى يا محمد هؤلاء الظلمة وهم في سكرات الموت وشدائده، لرأيت أمراً عظيماً، وملائكة العذاب يضربون وجوههم وأدبارهم لتخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم: خلّصوا أنفسكم من العذاب، وهذه عبارة عن العنف في السياق والإلحاح الشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإهمال، فاليوم تُجزون العذاب الذي فيه الهوان الشديد مع الخزي الأكيد لافترائكم على الله، ونسبتكم إليه الشريك، وأنكم تتكبرون عن الإيمان بآيات الله، فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون[١].

ثانياً/ البلاغة: قوله تعالى: ﴿غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾: "استعارة تصريحية تمثيلية، فقد استعار ما يغمر من الماء للشدة البالغة"[٢].

ثالثاً/ سبب النزول:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾: قيل أنها نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي السرح[٣]، وقيل: نزلت في مسيلمة الكذاب[٤].

---

١ – انظر : الكشاف للزمخشري ٢/٣٧٢– ٣٧٣.

٢ – إعراب القرآن وبيانه للدرويش ٧/٤١٢.

٣ – عبد الله بن سعد بن أبي السرح: قرشي أسلم قبل الفتح وهاجر ومن كتبة الوحي، ثم ارتد وأخذ يكذب على الله وعلى رسوله وانضم لقريش وأهدر النبي ﷺ دمه، وبعد الفتح عفى عنه النبي ﷺ وأسلم وحسن إسلامه، ولاه عثمان ﷺ والياً على مصر وفتح قبرص بعد معركة ذات الصواري البحرية، لم يبايع لعلي ﷺ أو معاوية ﷺ، مات في عسقلان سنة٣٦ أو ٣٧ هـ. انظر: الإستيعاب ٣/٩١٨، رقم ١٥٥٣.

٤ – انظر : جامع البيان للطبري ١١/٤٣٥.

رابعاً/ المناسبة: الآية استمرار في إثبات النبوة، بعد أن بيَّن الله أن القرآن منزل من عنده على نبيه مبارك مصدق للتوراة التي نزلت على نبي الله موسى عليه السلام، ذكر هنا عقاب من كذب على الله وادَّعى النبوة والوحي والرسالة افتراءً وزوراً، وهذا ظلم شديد يلقى عليه صاحبه أشد العذاب.[١]

خامساً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- من ادَّعى النبوة كاذباً على الله ﷻ هو أشد الكافرين كفراً وأظلمهم، والظالمون مهما فعلوا من ظلم فلن يصلوا لدرجة المفتري المتجرئ على ربه مدَّعي النبوة والوحي من الله ﷻ، ويدل على ذلك الاستفهام في الآية: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ ليس المراد منه انتظار جواب ورد، ولكن جاء الاستفهام مؤكداً أنه لا يوجد أظلم ممن افترى الكذب على الله ﷻ[٢].

٢- محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسالته قائمة موجهة إلى جميع الخلق في أي مكان ووقت حتى قيام الساعة، فدينه مصدق لما سبقه من رسالات الرسل وناسخ لبعض تشريعاته صالح لجميع الظروف والأماكن والأزمان، ولا يُصدَّق أي مجنون أو مختل في عقله ادَّعى النبوة، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٠] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ)[٣]، وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ)[٤].

٣- من أهم أسباب اتباع البعض الناس للدجالين ومدَّعي النبوة باطلاً وافتراءً أن التزامات الدين وفرائضه يجدها ضعيف النفس صعبة أو شاقة، وهؤلاء الكذَّابون يخففون بعضاً من الأحكام ويلغون بعضها، كتخفيف الصلاة وإلغاء الزكاة، فبذلك يجد لنفسه أتباعًا ومريدين وهم يعلمون كذبه وزوره، وهذا الأمر قد نراه في أن بعضاً من ضعاف النفوس والمنافقين يجدون من يقلل عنهم الالتزامات الدينية، أو أن يأتي بما يحبون أو يوافق أهواءهم فيتبعوه مع العلم بكذبه[٥].

---

١ – انظر : التفسير المنير للزحيلي ٣١٢/٧.

٢ – انظر : تفسير الشعراوي ٣٧٩٥/٦.

٣ – صحيح البخاري كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، ج١٨٦/٤، ر٤م ٣٥٣٥.

٤ – صحيح مسلم كتاب المساجد، باب١، ج٦٤/٢، رقم ١١٩٥.

٥ – انظر : تفسير الشعراوي ٣٧٩٥/٦.

٤- من الناس من لا يعجبه أحكام الدين وتشريعاته وما فيه من الحق، ويحكمون بما تأمرهم نفوسهم وخواطرهم ويرفضون الفقه والسُّنة، وعن مثلهم يقول القرطبي: " ومن هذا النمط من أعرض عن الفقه والسنن وما كان عليه السلف من السنن، فيقول: وقع في خاطري كذا، أو أخبرني قلبي بكذا، فيحكمون بما يقع في قلوبهم ويغلب عليهم من خواطرهم، ويزعمون أن ذلك لصفائها من الأكدار وخلوها من الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكليات ويعلمون أحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع، ويقولون: هذه الأحكام الشرعية العامة، إنما يحكم بها على الأغبياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص، فلا يحتاجون لتلك النصوص"[١].

٥- دلَّت الآية على شدة ما يلقاه الظالمون الذين يفترون على الله الكذب وغيرهم من الظالمين من سكرات الموت، وعلى ما يتعرضون له من أهوال أثناء الاحتضار[٢]، يقول تعالى: ﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا**﴾ [النَّازعات:١-٢] : " النازعات هي الملائكة تنزع أرواح الكفار غرقاً نزعاً بشدة، والناشطات نشطاً هي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين أي تسلها برفق" [٣].

٦- الظالمون لهم عذاب الهون في القبر، وفي الآية تقرير لعذاب القبر في قوله تعالى: ﴿**و اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ**﴾[٤].

٧- المفترون على الله والمكذبون لهم الشدة في قبض أرواحهم، استحقاقاً على استكبارهم، والكبر جرم عظيم القبح، يقول تعالى: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان:١٨] ، وعن حارثة بن وهب الخزاعي[٥] ﷺ قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ[٦] مُسْتَكْبِرٍ)[٧].

---

١ – جامع أحكام القرآن للقرطبي ٣٩/٧.

٢ – انظر : أيسر التفاسير للجزائري ٩٢/٢-٩٣.

٣ – تفسير الجلالين ص٦٢٣ .

٤ – انظر : أيسر التفاسير للجزائري ٢ /٩٣.

٥ – حارثة بن وهب الخزاعي أمه أم كلثوم بنت جرول الخزاعية فهو أخو عبيد الله بن عمر لأمه وله رواية عن النبي ﷺ وعن حفصة بنت عمر وغيرها وله في الصحيحين أربعة أحاديث. الإصابة ٦١٩/١، رقم ١٥٣٥.

٦ – عتل : غليظ جاف قلبه حجر، جواظ: الرجل الذي لا يصبر. شرح رياض الصالحين ج٢٩٥/١.

٧ – صحيح البخاري كتاب التفسير، باب سورة ن والقلم، ج١٥٩/٦، رقم ٤٩١٨.

المطلب الرابع: انقطاع العلاقات بين المشركين وآلهتهم .

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام:٩٤] .

أولاً/ التفسير الإجمالي: ستجمعون وتحشرون إلى الله واحداً واحداً حفاة عراة كما خلقكم وأخرجكم من بطون أمهاتكم، تاركين من وهبكم وأعطاكم من الأموال والولد في دار الدنيا، وينقطع يوم القيامة حبل الود مع من أشركوا من دون الله، ولا ينفع ما أشركوا مع الله ولا تجدون من دون الله من شفيع ويضل عنهم يومها ما كانوا يكذبون[١].

ثانياً/ سبب النزول: " قال النضير بن الحارث[٢]: سوف تشفع لي اللات والعزى، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ "[٣].

ثالثاً/ المناسبة: جاءت الآية السابقة لمن يدَّعي النبوة كذباً وافتراءً، فقررت أنه لا أحد أشد ظلماً من الذي يفتري على الله الكذب، سواء قولاً أو فعلاً، وبينت أن ما سيلاقيه هؤلاء الظالمون حين موتهم من سكرات الموت والعذاب المقيم الذي لا نهاية له من سوء العقاب والهوان والخزي جزاء استمرارهم في افترائهم الكذب قولاً وإعراضهم استكباراً وبين أنهم سيأتون فرادى إلى الله ولا شفيع لهم من العذاب من دون الله ﷻ، سيأتون فرادى من غير آلهتهم الذين كانوا يزعمون في الدنيا، وسخرت منهم الآية حين يقال لهم: وما نرى معكم شفعائكم، فيصبح عندهم الشوق والطمع في لقاء شفعائهم لكي يعرفوا منهم مصيرهم، وفي الآية تيئيس للمشركين وتهكمٌ بهم وتقرير بعدم تحقق وحصول اللقاء والاتصال بينهم[٤].

وعلاقة الفاصلة مع موضوع الآية: في الآية تهكم على المشركين الذين يأتون يوم القيامة فرادى وتنقطع علاقاتهم مع آلهتهم المزعومة في الدنيا، ويومها لا يجدون شفيعاً ينقذهم من العذاب

---

١ – انظر : أيسر التفاسير للجزائري ٢/٩٣.

٢ – النضير بن الحارث بن علقمة بن كندة العبدري القرشي، يكنى أبو الحارث، أسلم يوم الفتح وكان كثير الحمد على نعمة الإسلام، أعطي يوم حنين من المؤلفة قلوبهم، واستشهد باليرموك. انظر: الإصابة ٦/٤٣٦، رقم ٨٧٢٦، والاستيعاب ٤/١٥٢٥، رقم ٢٦٥٨.

٣ – لباب النقول للسيوطي ص ١٠٠.

٤ – انظر : نظم الدرر للبقاعي ٢/٦٧٥–٦٧٦.

ويظهر لهم حقيقة ضلالهم وجرمهم بالشرك، فكان مناسباً أن تختم الآية بالفاصلة: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- لا ينتفع المشركون بالشركاء والأصنام الذين اتخذوهم باطلاً يوم الحساب بين يدي الحق سبحانه، فكلها ليس لها أثر في هذا اليوم العظيم، فلا ينفع الإنسان يومها إلا رحمة ربه بعباده، ولا شفيع لأحد إلا بإذن الله ﷻ، ففي الآية الكريمة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥] [١]، والشفاعة تكون بشروط ثلاثة، يقول الشيخ ابن عثيمين: " وهذه الشفاعة لها ثلاثة شروط: الشرط الأول رضى الله عن الشافع، والشرط الثاني رضى الله عن المشفوع، والشرط الثالث إذن الله تعالى للشافع أن يشفع"[٢].

٢- شفاعة النبي ﷺ: إن للنبي ﷺ يوم القيامة شفاعات متعددة منها ما يلي: الشفاعة الأولى وهي العظمى: بعد أن يطلب الناس الشفاعة من آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى(عليهم الصلاة والسلام) وينتهون إلى محمد ﷺ، فيشفع لهم أن يقضى بين الناس بعد ما أصابهم من الهم والكرب ما لا يطيقون، من أجل أن يريحهم من هذا الموقف، والثانية: شفاعته في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة، والثالثة: في أقوام أُمر بهم إلى النار فلا يدخلوها، والرابعة: في رفع درجات من يدخل الجنة وثوابهم بما فوق ما تقتضيه أعمالهم، والخامسة: في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب مثل عكاشة بن محصن، والسادسة: في تخفيف العذاب عمن يستحقه، فيشفع في عمه أبي طالب، والسابعة: شفاعته لدخول جميع المؤمنين الجنة، والثامنة: في إخراج أهل الكبائر من أمته من النار بعد أن يدخلوها[٣].

٣- شفاعة غير النبي ﷺ:

أ- الملائكة: قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النَّجم:٢٦] .

ب- الأنبياء والمؤمنون: عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: (.... فَيَقُولُ اللهُ ﷻ شَفَعَتِ الْمَلاَئِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[٤].

---

١ - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٣١٧/٧.

٢ - فقه العبادات لابن عثيمين ص٧٤.

٣ - انظر : تهذيب شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٨٨- ٢٩٢.

٤ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ج١/١١٥، رقم ٤٧٢.

ت–الشهداء: عن المقدام بن معدي كرب[١] قال: قال رسول الله ﷺ: (لِلشَّهِيدِ عِنْدَ الله سِتُّ خِصَالٍ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ)[٢].

ث–القرآن الكريم: عن أبي أمامة الباهلي[٣] ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ)[٤].

٤– يوم القيامة تنقطع العلاقات الوهمية الواهية، وتظهر العداوة بين المشركين، ومن دعوهم إلى الشرك، ويحصل بينهم البراء والندم على هذا الاتباع في الدنيا، يقول تعالى: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا العَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾ [البقرة:١٦٦-١٦٧] : أي أن زعماء الباطل المتَّبَعين على الشرك بالله يتبرءون من أتباعهم الذين كانوا يتَّبعونهم على الضلال في الدنيا حين يرون عذاب الله في الآخرة واقعاً، ويقول الذين اتبعوا لو أن رجعة إلى الدنيا فإننا سنتبرأ منهم كما تبرءوا منا، وهذا حال كل متَّبع على الكفر بالله والضلال، فإنه يتبادلون مع أتباعهم البراءة والخصومة حين يعاينون العذاب الأخروي[٥].

٥– يترك الميت وراءه أمواله وأولاده وسلطانه وجاهه في الدنيا، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلاَثٌ مَا أَكَلَ فَأَفْنَى أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ)[٦]، ولا ينتفع بعد موته بشيء مما ترك إلا إذا كانت كما في الحديث: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَة جَارِيَة وَعِلْم يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَد صَالِح يَدْعُو لَهُ)[٧].

---

[١] – المقدام بن معدي كرب بن عمرو الكندي صحابي مشهور نزل الشام ومات سنة سبع وثمانين على الصحيح وله إحدى وتسعون سنة. تقريب التهذيب ص ٩٦٩، رقم ٦٨٧١.

[٢] – سنن الترمذي: أبواب فضائل الجهاد، باب ثواب الشهيد، ج٢٩٢/٣، رقم ١٦٦٣، قال: حسن صحيح غريب.

[٣] – صدى بن عجلان بن الحارث أبو أمامة الباهلي، بايع بيعة الرضوان، وكان مع علي ﷺ في صفين. الإصابة ٤٢٠/٣، رقم ٤٠٦٣.

[٤] – صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن، ج١٩٧/٢، رقم ١٩١٠.

[٥] – انظر : جامع البيان للطبري ٢٨٨/٣ ، ٢٩٤– ٢٩٥.

[٦] – صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، ج٢١١/٨، رقم ٧٦١١.

[٧] – سنن الترمذي: أبواب الأحكام، باب في الوقف، ج٥٣/٣، رقم ٤٣١٠، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنعام من الآية (٩٥ ــ ١١٠)

ويتضمن أربعة مباحث :

المبحث الأول : مظاهر قدرة الله في الكون .

المبحث الثاني: نفي مزاعم الكافرين،وتقرير التوحيد الصحيح.

المبحث الثالث : صور من منهج التعامل مع المشركين.

المبحث الرابع : عناد المشركين.

المبحث الأول

مظاهر قدرة الله في الكون ، من الآية (٩٥ ـ ٩٩)

ويحتوي على خمسة مطالب :

المطلب الأول : إخراج الحي من الميت ، والميت من الحي .

المطلب الثاني : استعراض آيات الصبح، والليل، والشمس، والقمر .

المطلب الثالث : الاهتداء بالنجوم في الأسفار .

المطلب الرابع : خلق الإنسان من نفس واحدة .

المطلب الخامس : الماء سبب في الحياة .

المبحث الأول
مظاهر قدرة الله في الكون

في هذا المبحث تتحدث الآيات عن بعض مظاهر قدرة الله ﷻ وسلطانه العظيم ورحمته الواسعة وكرمه العام لمخلوقاته وعنايته وبديع صنعه وتدبيره لحياة خلقه، وفي ذلك تقرير لوحدانية اللهﷻ، ويحتوي على خمسة مطالب :

المطلب الأول : إخراج الحي من الميت ، والميت من الحي .

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام:٩٥] .

أولاً/ التفسير الإجمالي:

يخبر تعالى عن كمال قدرته وعظيم سلطانه وسعة رحمته وعموم كرمه وشدة عنايته بخلقه، الله سبحانه الذي يفلق ويشق سائر الحبوب فيخرج الزرع، ويشق النوى فينبت الشجر من الأنواع المختلفة من النخيل والفواكه وغير ذلك، فينتفع منه البشر والدواب ويقتاتون، ويُخرج الحي من الميت كما يخرج من البيض الفراخ، ومن الحب والنوى النبات والزرع، ويخرج من الحي الميت كما يخرج البيض من الطائر، وهذا كله فعل الله وحده وتدبيره، وإن من الغريب والعجيب أنه بالرغم من هذه الأدلة يصد الصادون عن عبادة الله خالق الأقوات والمنافع، ويعبدون من لا يملك لنفسه الضر والنفع[١].

ثانياً/ وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى﴾ : قُدّمت الحب على النوى، والأولى يخرج منه الزرع كالقمح والشعير والأرز والذرة وسائر الحبوب، والثانية يخرج منها الفواكه كالنخيل، فجاء التقديم لدلالة الأفضلية، ولحاجة الناس إليه أكثر، فالحبوب القوت المألوف والأساسي[٢].

---

١ – انظر : تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢٦٥/١.

٢ – انظر : التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ٥١٥/٢.

٢- قوله تعالى:﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ﴾ : بينهما طباق، وفي قوله: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ﴾ إرادة لتصوير إخراج الحي من الميت كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة، واستحضاره في ذهن السامع كأنه يشهده بعيان "[١].

٣- قوله تعالى: ﴿وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ﴾ :" فيها رد العجز على الصدر"[٢].

٤- ويتضح في قوله تعالى: ﴿وَمُخْرِجُ﴾ فن الإشكال، فلم يأت بها على الفعل المضارع (تخرج) كما في سورة آل عمران وفي غيرها من المواضع، فجاء بها على هذا الشكل توخياً لحسن الجوار في النظم، وجاءت للتمدح بالقدرة المطلقة، فكان الإتيان بصيغة اسم الفاعل أبلغ من صيغة الفعل[٣]، ويقول أبو زهرة: " التعبير باسم الفاعل يدل على تصوير الفعل، وهو الحياة، وتجددها آنًا بعد آنٍ، فيبتدئ بنبت، ثم يخضر ثم يكون له سوق، فهو يصور تدرج الحياة فيه بحكمة الله تعالى، وكذلك في النواة فالحياة فيها تبتدئ مما يشبه النبت، ثم تكون عوداً فشجرة، أما الحبة أو النواة التي تجيء من الزرع أو الشجرة، فإنها تكون نهاية التجديد، وتظهر دفعة واحدة؛ ولذا كان التعبير باسم الفاعل"[٤].

٥- قوله تعالى: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾: " استفهام تعجيب إنكاري، أي لا يوجد موجب يصرفكم عن التوحيد"[٥].

ثالثاً / المناسبة: بيَّنت الآية السابقة يأس المشركين من شفعائهم يوم القيامة، وهنا بيان لبطلان ما كانوا يعبدون من دون الله ﷻ في الدنيا مما لا نفع له ولا شفاعة بل هي سبب هلاكهم، وقرَّر سبحانه كمال علمه وقدرته، وشدة عنايته بمخلوقاته، وهذه الأوصاف هي لله وحده، فكان تنبيهاً على خطأهم وضلالهم، وإقراراً لوحدانية الله وبطلان مزاعم الشرك[٦].

وعلاقة الفاصلة مع موضوع الآية: لما كانت الآية تتحدث عن مظاهر قدرة الله تعالى في خلقه، فهو فالق الحب والنوى مخرج الحي من الميت والميت من الحي، ومع هذه الآيات الواضحة

---

١ - إعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش ٧ /٤١٦.

٢ - تفسير المنير للزحيلي ٣٢٠/٧.

٣ - انظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش ٧ /٤١٦.

٤ - زهرة التفاسير ٢٥٩٩/٥.

٥ - التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٨٩/٧.

٦ - انظر : نظم الدرر للبقاعي /٦٧٦، ٦٧٨.

في الكون نجد من يفتري على الله كذباً باختراع الشريك، وهذا إفك شديد كان مناسباً أن أن تختم الآية بقوله: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ .

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- من مظاهر قدرة الله ﷻ الشاملة في الكون أن الحبة والنواة تنفلق وتنشق فتخرج منها النبتة، وجعل الله بعث الحياة فيها صنعه وحده، وليس لغير الله ﷻ مهما كان علمه وقدرته أن يشق الحب والنوى وإخراج نبتة حية تكبر لتصل إلى شجر كبير ونخيل عظيم في شكله وحجمه.[١]

٢- من دلائل كمال القدرة أن الله تعالى يُخرج ما ينمو وفيه الحياة والحركة والنشاط كالحيوان والنبات ممن فيه الجمود والسكون كالنطفة والحب والنوى، ومن دلائل كمال القدرة إخراج الميت من الحي كالبيضة من الدجاجة، والثمرة من النبتة، والنطفة .[٢]

٣- قال ابن كثير عن الآية : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾: " وقد عبَّروا عن هذا وهذا بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى، فمن قائل يخرج الدجاجة من البيضة وعكسه، ومن قائل يخرج الولد الصالح من الفاجر وعكسه، وغير ذلك من العبارات التي تنتظمها الآية وتشملها"[٣]، إذن مما تقصده هذه الآية أن من دلائل وآيات قدرته إخراج المؤمن من الكافر، والمؤمن الصالح من الفاجر الفاسد، كما في حق عكرمة بن أبي جهل ﷺ وخالد بن الوليدﷺ وغيرهم من الأمثلة، وإخراج الكافر من المؤمن، والعاصي من المطيع، كما في حق ولد النبي نوح عليه السلام وغير ذلك، والنبي محمد ﷺ رجاء هداية أبناء رجال مكة لم يطلب لهم الهلاك، وتحقق ذلك، فقد آمن بالله ﷻ أبناء الكافرين كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وغيرهم، فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، زوج النبي ﷺ، حدثته أنها قالت للنبيﷺ: (هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ[٤]، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[٥]، فَرَفَعْتُ رَأْسِي

---

١ – انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ١١٥٣/٢.

٢ – انظر : روح المعاني للألوسي ٢٢٦/٧.

٣ – تفسير القرآن العظيم ٢ /١٥٨.

٤ – عبد ياليل: هو ابن عمرو بن عمير الثقفي، وأحد رؤساء الطائف وسادتها، رد النبي ﷺ عندما جاء يدعوه وإخوته وأهل الطائف، ونال النبي ﷺ في بلدهم الطائف الأذى الكثير، فسلطوا عليه سفهاءهم ليرجموه حتى أدميت قدماه، ثم عاد ﷺ إلى مكة وكان ما حدث به الحديث من مجيء ملك الجبال. انظر: الرحيق المختوم ص١٠٠.

٥ – قرن الثعالب: " جبل مشرف على أسفل منى، بينه وبين مسجد منى ألف وخمسمائة ذراع، وقيل له قرن الثعالب لكثرة ما كان يأوي إليه من الثعالب". فتح الباري ٣٨٥/٣.

فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ[1]، فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) [2].

لذا على الداعية أن لا يمل أو يدع لليأس طريقاً إلى نفسه، وأن يدعو إلى الهدى والحق بهمة وجد واجتهاد، ودعوة الناس بالحسنى واللين والحكمة، كما قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل:١٢٥] ، لعل الكفار والعصاة أن يهتدوا، وإن لم يهتدوا قد يهتدي أبناءهم.

المطلب الثاني : استعراض آيات الصبح، والليل، والشمس، والقمر .

قال تعالى: ﴿**فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ**﴾ [الأنعام:٩٦] .

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي كما أن الله فالق الحب والنوى، فهو يشق الصبح من ظلمة الليل وسواده، وجاعل الليل يسكن فيه الناس عن الحركات ويستريحون، والشمس والقمر يسيران بحساب دقيق يتعلق به مصالح العباد، ويعرف بهما حساب الأزمان، وذلك التيسير بالحساب العلوم تقدير الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء، والعليم بمصالح خلقه وتدبيرها.[3]

ثانياً/ المناسبة: هذه الآية تواصل عرض بعض من مظاهر قدرة الله في الكون بعد ذكر فلق الحب والنوى، وإخراج الحي من الميت والميت من الحي في الآية السابقة.

وعلاقة الفاصلة بموضوع الآية: إن الآية تتحدث عن تعاقب الليل والنهار ودوران الشمس والقمر، وهذه الأمور نتيجة حساب دقيق وعلم عظيم من عزيز قوي غالب وعليم حكيم، فكان مناسباً أن تختم الآية بقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ**﴾.

---

[1] – الأخشبان: وهما الجبلانِ اللذانِ بينهما مَكَّةُ، انظر: غريب الحديث لا بن الجوزي، كتاب الخاء مع الألف، باب الخاء مع الشين، ٢٧٨/١.

[2] – متفق عليه: صحيح البخاري كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، ج١١٥/٤، رقم ٤٧٥٤، واللفظ له، وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين ج١٨١/٥، رقم ٣٢٣١.

[3] – انظر : السراج المنير للشربيني ٣٤٨/١.

ثالثاً/ وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ فيها استعارة تمثيلية، فشبه طلوع الفجر بعد ظلمة الليل بفلق الإصباح[١].

٢- قوله تعالى: ﴿اللَّيْلَ سَكَنًا﴾: فيها تشبيه الليل بالسكن، وفيه وجه بلاغي آخر، فإن صيغة الأحرف في كلمة ﴿سَكَنًا﴾ وتوالي الفتحات على حروفها يبعث شعوراً بالهدوء والطمأنينة وراحة النفس، وإنه مهما استبدلت هذه الكلمة بغيرها فلن يسد مكانها، ولم يوف بمعناها أو يبين المراد منها كما أدت هذه الكلمة [٢].

ثالثاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- فلق الإصباح هو النور الهادئ الذي يأتي بعد ظلمة الليل، ويكون بداية فترة الإصباح بالضوء الهادئ قبل طلوع الشمس بضوئها القوي دفعة واحدة، فيأتي الضوء بالتدريج، ولو جاء الضوء دفعة واحدة لوجدناه يخطف البصر ويؤذي العين، وهذا فضل من الله تعالى، ولو أن أحداً في العتمة أو بعد عَصَبَ عينيه لفترة طويلة وسلط عليه الضوء مرة واحدة لأصيب بالأذى[٣].

٢- في الصباح والنهار يعمل الإنسان ويسعى في الأرض للكسب والعمل في أسباب العيش، ويملأ الدنيا حركة ونشاطاً مستفيداً بنور الشمس الذي يساعد الإنسان في العمل والحركة بطمأنينة ويوضح الأشياء أمام رؤية العين، ولو عمل الإنسان وسعى وقت الظلمة وانعدام الضوء لاضطرب وخسر [٤].

٣- كما أن الإصباح والنهار موجودان وفيهما الحركة والنشاط، فلابد أن يكون الليل وسكون كل شيء حول الإنسان، ليستريح ويهدأ ويسكن بعد ما أصابه من الكد والتعب والنصب من الحركة والسعي والعمل.

يقول البقاعي: " فلو أراد أحد أن يجعل ما جعله من النوم يقظة واليقظة نوماً، أو يجعل محل السكن للحركة أو بالعكس، أو غير ذلك مما أشارت إليه الآية لأعياه ذلك لأن العليم الذي جعل ذلك بعلمه على منهاج لا يتغير وميزان قويم لا يزيغ "[٥]، ولا يستطيع الإنسان النوم والراحة إلا في الليل، لذلك تجد كل من يعمل ولا ينام في الليل لطبيعة عمله كالشرطي أو

---

١ - انظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش ٤١٧/٧.

٢ - انظر : المرجع السابق ٤١٧/٧.

٣ - انظر : تفسير الشعراوي ٣٨١١/٦.

٤ - انظر : المرجع السابق ٦/ ٣٨٠٩-٣٨١٠.

٥ - نظم الدرر للبقاعي ٦٨٠/٢.

الحارس أو غيرهما يقول أنه لو نام طوال ساعات النهار لن يرتاح ولا يسد مسد ساعة واحدة من ليل، لأن الله ﷻ جعل الليل للسكن والخلود للراحة.

وإن في نور الصباح وظلمات الليل نعمة عظيمة وفائدة كبيرة لذلك جاءت الآية الكريمة تبين ذلك: ﴿**الْحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام:١] .

٤- من مظاهر قدرة الله ﷻ في الكون تعاقب الليل والنهار، يقول الله تعالى:﴿**إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ**﴾ [يونس:٦] ، فالليل يعقب النهار، ويعقبه النهار، وتشرق الشمس على جزء من الأرض أثناء دورانها فيكون النهار، وتخفى الشمس خلال هذا الوقت عن النصف الآخر من الأرض فيكون الليل، وهكذا تتعاقب الأيام والليالي في نظام دقيق ابتدعه منشئ الوجود رب العالمين، وهناك أيضاً اختلاف بين الليل والنهار بسبب تحرك الشمس في فلكها، وقربها النسبي أو بُعدها عن الأرض، ينتج الطول والقصر، وأحياناً يستويان، ويشير إلى ذلك: ﴿**لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [يس:٤٠] .[١]

٥- جعل الله ﷻ الشمس سراجاً وهاجاً لتملأ الدنيا بالنور والحرارة والدفء، وينشط الإنسان ويتحرك بطمأنينة لوجود الضياء.

٦- الشمس تشارك في عملية حيوية فيها منفعة كبيرة جداً للكائنات الحية، النبات والإنسان والحيوان، إنها عملية البناء الضوئي، وفيها يأخذ النبات ما يلزمه من الشمس ومن ثاني أكسيد الكربون، ويصنع لنفسه ولكل الكائنات الغذاء النافع، وينتج عن العملية كذلك غاز الأكسجين، وكذلك تظلل الشجر بسببها على الإنسان لتكون ورقها.

٧- إن طلوع الشمس والقمر بحساب دقيق، وفي وقت معلوم،لا يتخلف عن وقته في كل بقعة من بقاع الأرض، والشمس جُعلت لحساب الأيام، وتكون الفصول الأربعة صيف وشتاء وربيع وخريف، وبالقمر يُحسب الشهور القمرية وفق الأهلة ومنازل القمر[٢]، يقول السعدي: "جعل تعالى الشمس وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا بهما تعرف الأزمنة والأوقات، فتنضبط بذلك أوقات العبادات،

---

١ - انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٢٥٩٩/٥.

٢ - انظر : المرجع السابق ٢٦٠١/٥.

وآجال المعاملات، ويعرف بها مدة ما مضى من الأوقات التي لولا وجود الشمس والقمر، وتناوبهما واختلافهما لما عرف ذلك عامة الناس" [١].

المطلب الثالث : الاهتداء بالنجوم في الأسفار .

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٩٧]

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي خلق الله ﷻ لكم النجوم لتهتدوا بها في أسفاركم في ظلمات البر والبحر بالليل، وبيَّن الله الدلائل على قدرته لقوم يتدبرون عظمة الخالق [٢].

ثانياً/ وجوه البلاغة: قوله تعالى: ﴿الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بينهما طباق.

ثالثاً/ المناسبة: هذه الآية استمرار لذكر مظاهر قدرة الله ﷻ ليتفكَّر الناس، ويخلصوا للتوحيد.

وعلاقة فاصلة الآية مع موضوعها: لما كانت الآية تتحدث عن تنظيم النجوم وهي علامات لهداية البشر في الليل والنهار، وهذا يحتاج إلى فهم وعلم، كان مناسباً أن تختم الآية بقوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

يقول ابن كثير: " قال بعض السلف: من اعتقد في النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله سبحانه: إن الله جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، ويهتدي بها في ظلمات البر والبحر"[٣].

١- يهتدي الناس بنور النجوم في الليل فيستأنسوا بها، ويهتدي الناس بها لمعرفة الاتجاهات والمسالك، ففي النهار يهتدون بالشمس، فيعرفون الاتجاهات من خلال اتجاه شروق الشمس وغروبها، وليلاً يهتدون بالنجوم الطالعة في الليل، وكل منها له مدار خاص، وعدد من النجوم كالدب القطبي لها اتجاه خاص يعرف الناس من خلالها أين هم متجهون، إلى الشرق أم إلى الغرب، وهل متوجهون إلى الشمال أو إلى الجنوب[٤].

---

١ - تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢٦٥/١.

٢ - انظر : المرجع السابق ٢٦٥/١.

٣ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٩/٢.

٤ - انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٥/ ٢٦٠٢.

٢- يُستدل بالشمس والنجوم على معرفة اتجاه القبلة، فيعرف أين يتوجه المسلم في صلاته، وقد تنفعه عند دفن ميت حين الحيرة في صحراء من البر يجهل فيه الاتجاهات [١].

٣- المقصود الاهتداء بالنجوم في الأسفار والمسالك، وليس غير ذلك من أمور منهي عنها وتخالف شريعتنا، كمن يزعم أن كسوف الشمس أو القمر وزوال النجوم عن مواضعها يحدث لموت رجال عظماء من أهل الأرض[٢].

المطلب الرابع : خلق الإنسان من نفس واحدة .

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام:٩٨] .

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي أن الله ﷻ أنشأ وأبدع البشر من آدم عليه السلام، وذهب ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه إلى أن مستقر أي في الأرحام، ومستودع في الأصلاب، أي جعل لكم استقراراً في أرحام أمهاتكم وأصلاب آبائكم، وقال أيضاً ابن مسعود رضي الله عنه: مستقر في الدنيا ومستودع حيث يموت، وقال: ومستودع في الدار الآخرة، ورأي الحسن البصري أن المستقر الذي استقر عمله بموت، والقول الأظهر هو الأول والله تعالى أعلم[٣].

ثانياً/ وجوه البلاغة: قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ في هذه الجملة من الآية وجه بلاغي ففيها: "التعريض بمن لا يتدبَّر آيات الله ولا يعتبر بما خلق، ومعلوم أن للجهل حالين متغايرين: أولهما جهل لا يعدو نفس الناظر، ولا يتجاوزها، وثانيهما جهل خارج عن أنفس النظار أي النجوم والنظر فيها وعلم الحكمة الإلهية، فإذا تمهَّد ذلك سهل عليك أن تعرف أن جهل الإنسان بنفسه وبأحواله وعدم النظر فيها والتفكر في تطوراتها أبشع من جهله الأمور الخارجة عن نفسه كالنجوم والأفلاك ومقادير سيرها، فلما كان الفقه أدنى درجات العلم خصَّ به أسوأ الفريقين"[٤].

ثالثاً/ المناسبة: هذه الآية استمرار لذكر مظاهر قدرة الله ﷻ ليتفكَّر الناس، ويخلصوا للتوحيد.

---

١ – انظر : التفسير المنير للزحيلي ٣٢٨/٧.

٢ – انظر : فتح القدير للشوكاني ٢٠٨/٢

٣ – انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٩/٢.

٤ – إعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش ٧ /٤١٩.

وعلاقة الفاصلة مع موضوع الآية: لما كانت الآية تتحدث عن نشأة الإنسان من نفس واحدة، ثم نشأته واستقراره في الأرحام والأصلاب وهذا نتيجة الفهم الدقيق والفقه العميق، كان مناسباً أن تختم الآية بهذه الفاصلة: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾.

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- يُبين لنا الحق سبحانه أن أصل الإنسان من نفس واحدة، ويريد تعالى من ذلك تذكيرنا أن جميع البشر بأصلهم وأساسهم لإثارة عواطف الرحمة والمودة، ويقول الشعراوي: " إذن ما دام آدم هو الأصل، وما دمنا ناشئين من آدم، وما دام الحق قد أخذ حواء من آدم الحي فصارت حية، إذن فحياتها موصولة بآدم وفيها من آدم، وخرج من آدم وحواء أولاد فيهم جزء حي، وبذلك يردنا الحق سبحانه إلى أصل واحد؛ ليثير ويحرك فينا أصول التراحم والتواد والتعاطف"[١].

٢- مراحل خلق الإنسان واستقراره في رحم أمه برهان قاطع على قدرة الله، وتصف لنا الآيات التالية مراحل خلق الإنسان: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٣-١٤] فالنطفة جعلها الله ﷻ أساس خلق الإنسان، وهي خلاصة منتقاة من الدم، يجعل الله سبحانه هذه النطفة تستقر في الرحم، وهو قرار مكين محصن بعظام الحوض ليحافظ على النطفة، ثم تتحول بعد أربعين يوماً إلى علقة تَعْلَق بجدار الرحم، ثم تتحول إلى قطعة صغيرة من اللحم على قدر ما يمضغ تسمى المضغة، وتكون مخلقة يتكون منها جوارح الإنسان وأعضاؤه، وغير مخلقة لصيانة ما يتلف من الجسم نتيجة جروح أو أعطاب، ثم تصبح العَلَقة عظاماً، ثم يكسو العظام لحماً، ثم يخرج من بطن أمه مولوداً جديداً، وحين تقف وتتأمل قدرة ﷻ الله في خلق الإنسان لا تملك إلا أن تقول: سبحان الله العظيم، تبارك الله الخالق.[٢]

٣- خلق الله الإنسان من نفس واحدة هي الأصل في إنشائه، وجعل البشر في بلايين الأعداد، كلهم مخلوقون على هيئة واحدة، ومع ذلك كل واحد مميز عن الآخر، فالأب يعرف ابنه والابن يعرف أمه وأباه، والصديق يعرف صديقه، والقريب يعرف قريبه، والمرء يعرف من رآه مرة واحدة ويُميزه. وكذلك تجد كل إنسان مميزاً ببصمة إصبعه، فلا تشبه بصمة إبهام إنسان بصمة إبهام غيره رغم الأعداد الكبيرة جداً من البشر، وكل إنسان له بصمة صوت تختلف عن غيره، وكل واحد له رائحة مميزة عن غيره، لذلك نجد الشرطة تستخدم الكلاب المدرَّبة لتمييز الشخص

---

١ - تفسير الشعراوي ٦ /٣٨١٧.

٢ - انظر : المرجع السابق١٦ /٩٩٧٩.

المطلوب برائحته الخاصة، وهذا كله دليل مادي من النفس البشرية يُظهر قدرة الله وبديع صنعه[١].

المطلب الخامس : الماء سبب في الحياة .

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:٩٩]

أولاً/ التفسير الإجمالي: تتحدث الآية الكريمة عن إخلاص العبودية لله تعالى الذي أنزل من السماء ماءً فأخرج به نباتاً من جميع الأصناف من النخيل والأعناب والزيتون والرمان، فتفكروا في قدرة خالقها من العدم إلى الوجود بعد أن كانت حطباً صارت ناضجة رطبةً، ولها ما يميز كل صنف بالألوان والأشكال والطعوم والروائح الخاصة.[٢]

ثانياً/ وجوه البلاغة:

١-قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾: " التفات بليغ، وسره العناية بشأن هذا الإخراج، والتنويه بالعظمة والقدرة البالغتين"[٣].

٢-قوله تعالى: ﴿ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾: "عطف خاص على عام لمزيد الشرف"[٤].

ثالثاً/ المناسبة: هذه الآية استمرار لعرض الدلائل الباهرة على قدرة الله ﷻ ليتفكَّر الناس، ويخلصوا للتوحيد.

وعلاقة الفاصلة مع موضوع الآية: لما كان الحديث في الآية عن مظاهر قدرة الله من انزال الماء من السماء واخراج النبات المتنوع من النخيل والأعناب والرمان، وهذا من مظاهر عظمة الله وقدرته تستوجب الإيمان العميق، فكان مناسباً أن تختم الآية بهذه الفاصلة: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

---

١ – انظر : الأدلة المادية على وجود الله للشعراوي ص٣١.

٢ – انظر : جامع البيان للطبري ٥٧٣/١١.

٣ – إعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش ٧ /٤٢٢.

٤ – التفسير المنير للزحيلي ٧ /٣٢٠.

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- الله ﷻ يخرج من الماء الشجر متشابهاً في المنظر وغير متشابه في الطعم، أو هو متشابه ورقه مختلف ثمره، وفي ذلك دليل قاطع على الصانع العليم القدير، فانظروا أيها الناس واعتبروا من خروج هذه الثمار من ابتداء خروجها انتهاءً بظهورها ونضجها، وكيف تنتقل من حال إلى حال في اللون والرائحة والحجم، وتأملوا في ابتداء الثمر حيث يكون بعضه مراً، وبعضه مالحاً لا ينتفع بشيء منه، ثم إذا انتهى ونضج فإنه يعود حلواً طيباً نافعاً مستساغ المذاق، فسبحان القدير الخالق، وإن في خلق الثمار والشجر مع اختلاف الأجناس والأشكال والألوان لدلائل باهرة على قدرة الله تعالى[١].

٢- تتجلَّى القدرة الإلهية والصنع البديع، ففي هذه الآية إشارة على حقيقة علمية، فقد توصل العلماء بعد الأبحاث والدراسات العلمية في مجال النباتات إلى أن الخضر وهي (مادة اليخضور) هي السبب في إنتاج النبات [٢].

٣- قال تعالى: ﴿... **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنبياء:٣٠] ، جعل الله الماء سبباً في حياة كل ما يعيش في البر من إنسان أو حيوان أو طير، وما يعيش في الماء كالسمك والحوت والنباتات كالطحالب، فإن انعدم الماء انعدمت الحياة، لذلك خلق الله سبحانه النسبة الكبرى من الكرة الأرضية من الماء [٣].

قال ابن عاشور: "عبرة للمتأملين في دقائقه في تكوين الحيوان من الرطوبات، وهي تكوين التناسل وتكوين جميع الحيوان، فإنه لا يتكون إلا من الرطوبة ولا يعيش إلا مُلابساً لها، فإذا انعدمت منه الرطوبة فقد الحياة، ولذلك كان استمرار الحمى مفضياً إلى الهزال ثم إلى الموت"[٤].

---

١ – انظر : فتح القدير للشوكاني ٢ /٢٠٨.

٢ – التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ٢ /٥١٥.

٣ – انظر : فتح القدير للشوكاني ٣ /٥٨٠.

٤ – التحرير والتنوير لابن عاشور ١٧ /٥٦.

المبحث الثاني

نفي مزاعم الكافرين، وتقرير التوحيد الصحيح، من الآية (١٠٠ ـ١٠٥)

ويحتوي على خمسة مطالب :

المطلب الأول : افتراء الكافرين بزعمهم أن لله شركاء من الجن.

المطلب الثاني :الرد على من نسب لله ﷻ الولد.

المطلب الثالث : صفات الله القدسية .

المطلب الرابع : القرآن جاء فيه البيان والبصائر .

المطلب الخامس : ادعاء الكافرين جهلا أن النبي ﷺ درس الكتب وجاء بالقرآن .

المبحث الثاني

نفي مزاعم الكافرين وتقرير التوحيد الصحيح

في هذا المبحث نتحدث عن ضروب من الشرك اعتقد بها المشركون، كمن يزعم أن لله ﷻ شركاء من الجن والبنين وغير ذلك، واخترعوا لله ﷻ الصاحبة والبنات ظلماً وزوراً، والرد عليهم بالبراهين والبصائر والبينات، وإثبات وحدانية الله ﷻ وإثبات الصفات القدسية لله تعالى، والمبحث فيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: افتراء الكافرين بزعمهم أن لله ﷻ شركاء من الجن .

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام:١٠٠]

أولاً/ التفسير الإجمالي: الآية الكريمة فيها تقريع وتوبيخ للمشركين، وتصور ضرباً من ضروب الشرك التي قال بها العرب، فجعلوا الجن شركاء مع الله ﷻ، حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان، ودعوهم وعبدوهم وهم خَلْقٌ من خَلْق الله ﷻ مثلهم، ليس فيهم شيء من خصائص الألوهية والربوبية، بل الله سبحانه المنعم بنعمه التي لا تحصى، ودافع الضر عنهم وجالب النفع.[١]

ثانياً/ المناسبة: "بعد أن ذكر الله تعالى البراهين الخمسة على ثبوت الألوهية، وكمال القدرة والرحمة، ذكر عقب ذلك أن من الناس من أثبت لله شركاء في عالم الجن"[٢]، وفي بقية الآية والآية التي تليها كما في المطلب التالي يأتي ذكر أنهم اخترعوا لله النسل من البنين والبنات، والرد عليهم أن الله ﷻ لم تكن له صاحبة ولا ولداً.

وعلاقة فاصلة الآية ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بموضوع الآية: لما زعم المشركون أن لله شركاء من الجن والبنين وهو وصف بدون علم وبما لا يليق بجلاله، كان مناسباً أن ينزه الله نفسه عن هذا فكانت الفاصلة تؤدي هذا الجانب.

ثالثاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- الآية تشمل عبادة الجن بعمومها، عبادة الجن بطاعتها واتباع أمرها في عبادة غير الله، وعبادة الأصنام والأوثان بعد أن سوَّلت لهم الشياطين بالشرك، كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا

---

١ - انظر: أيسر التفاسير للجزائري ٢ /٩٩، وانظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢٦٧/١.

٢ - تفسير المنير للزحيلي ٧ /٣٣١.

﴿إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا * لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء:١١٧-١١٩] ، وقال إبراهيم عليه السلام لأبيه عابد الأصنام مرجعاً سبب شركه بعبادته الشيطان وطاعته: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم:٤٤] ، أو عبادة الشيطان عبادة مباشرة، وقد نهى الله تعالى عن عبادة الشيطان الذي كان من الجن وفسق عن أمر ربه ﷻ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف:٥٠] [١].

٢- لقد كان الكفار يستعيذون ويلجأون للجن عندما يخافون السوء، فطمع فيهم الجن لهذا الجهل وزادوهم رعباً وتعباً وطغياناً، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجنّ:٦] ، ويقول ابن كثير في تفسير الآية: " أي كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها، كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوءهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقاً أي خوفاً وإرهاباً وذعراً "[٢]، والحقيقة أن الجن لا يملكون نفعاً ولا ضراً إلا بمشيئة الله تعالى وإرادته.

٣- من الناس من يعتقد أو يظن بعلم الجن للغيب، والحقيقة أن هذا الكلام باطل ومردود، وإن كانوا قديماً يقعدون في مواضع ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء ويلقوها إلى الكهنة، ولكن بعد بعثة محمد ﷺ حرس الله ﷻ السماء بالشهب التي تحرقهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ [الجنّ:٩] [٣].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي العَذَابِ المُهِينِ﴾ [سبأ:١٤] فقد سأل النبي سليمان عليه السلام ربه ﷻ أن يُميته ولا يعلم بموته أحد حتى يبرهن على بطلان اعتقاد الناس أن الجان يعلمون

---

١ - انظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة ٥ /٢٦١١.

٢ - تفسير القرآن العظيم ١٤ / ١٤٨.

٣ - انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩ /١٢.

الغيب، وعندما مات ظل مدة طويلة قال بعض العلماء أنها سَنَة متكئاً على عصاه، ولم يعلم بموته أحد حتى الجن إلا عندما أكلت الأرضة العصا وانكسرت وسقط، فكان دليل على جهل الجن بالغيب [1].

٤- يوم القيامة يتبرأ الشيطان من أوليائه ومن تبعوه وأطاعوه في الدنيا، فكفروا بربهم، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم:٢٢] ، فيقول الشيطان يوم الحساب لما يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار يستقرون فيها: يا أتباعي إن الله وعدكم النار بكفركم وإعراضكم وتكذيبكم باليوم الآخر، ووعدتكم بالنصرة فأخلفتكم، فما ألزمتكم على الكفر والعصيان وما أجبرتكم، ولكنكم استجبتم لي راضين رغم أني لم آت بالبينات، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم لغفلتكم وجهلكم وسفاهتكم، ولن أكون مغيثاً لكم، ويتبرأ منهم ومن عبادتهم إياه[2].

٥- العجيب في أمر المشركين هو مطلق المجيء بالشريك لله وفكرة الشرك ذاتها التي ترد على أذهانهم، رغم البراهين القاطعة في الكون، والأدلة العقلية على بطلان هذه الفكرة، سواء كان الشركاء من الجن أو الأصنام أو غير ذلك[3].

المطلب الثاني :الرد على من نسب لله ﷻ الولد.

قال تعالى: ﴿... وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٠٠-١٠١].

أولاً/ التفسير الإجمالي: لقد نسب المشركون بالباطل الولد لله ﷻ، كما زعم اليهود في عزير، والنصارى الذين قالوا في عيسى ﷺ، والمشركون من العرب الذين نسبوا إليه البنات من الملائكة، وتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، والذين خرقوا له البنين والبنات بغير علم بحقيقة ما يقولون ولكن جهلاً بالله وبعظمته لم يعلموا أنه لا ينبغي لله ﷻ أن يكون له بنون وبنات وصاحبة،

---

[1] - انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٧٨/١٤.

[2] - انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٣٧٩٨/٥-٣٧٩٩، وانظر: أوضح التفاسير لابن الخطيب٣٠٧/١-٣٠٨.

[3] - انظر : تفسير الشعراوي ٣٨٣١/٦.

ولا أن يشرك أياً منهم معه في ألوهيته، فتقدَّس وتنزَّه وتعاظم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من نسب الأولاد والأنداد والنظراء والشركاء [1].

ثالثاً/ المناسبة: هنا تكملة لما تناوله المقطع السابق في الرد على من ادَّعى لله شركاء.

ثالثاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- جاء الرد على من نسب لله الولد من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [سورة الاخلاص]، والآية الكريمة: ﴿**وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [التوبة:٣٠] كذَّبت ادعاء اليهود والنصارى، وقال تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا المَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**﴾ [الزُّخرف:١٩] ، قال السعدي أن الآية ترد على من جعل البنات من الملائكة وفسرها: " تجرؤوا على الملائكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثية، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله، و أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! ولكن لا بد أن يسألوا عن هذه الشهادة، وستكتب عليهم، ويعاقبون عليها"[2].

٢- جاءت براءة عيسى عليه السلام من كل ما ألصق به وتبرأ من ادَّعى ألوهيته وأمه، وأثبت العبادة لله وحده، وبيَّن أنه بشر ممن خلق الله، وأكد عبوديته ونبوته وأنه مأمور بدعوة الناس لعبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [المائدة:١١٦-١١٧]، وقال تعالى:﴿**إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**﴾ [آل عمران:٥١] .

---

[1] – انظر : جامع البيان للطبري ١٢ /٧ ، ١١.

[2] – تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٧٦٣/١.

قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشُّورى:١٣] فإن الله ﷻ أمر عيسى عليه السلام ووصاه بإقامة الدين الحق، وحاله بهذا حال جميع الأنبياء، فوصاهم الله ﷻ بوصية واحدة.

٣- الله تعالى له صفات الكمال ولم يكن الكون ناقصاً ليريد الولد، والبشر يحتاجون الولد ليعاونوهم ويساعدوهم، ولا ينبغي ذلك لله مالك الكون، القادر على كل شيء، القاهر فوق عباده، فلا الولد ولا الصاحبة يزيدان الله ﷻ قدرة ولا حكمة ولا علماً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] ، والناس يحتاجون الولد لامتداد الذكرى، وسبحانه وتعالى حي لا يموت[١].

٤- ومن الردود المفحمة لإبطال قول من كذب وافترى بأن اخترع لله شريكاً من الولد يقول أبو حيان: "إن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد ، وهو تعالى متعال عن مجانس فلم يصح أن تكون له صاحبة فلم تصح الولادة"[٢].

المطلب الثالث : صفات الله القدسية .

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي ذلكم الله ﷻ خالقكم ومالككم ومدبر أموركم، لا معبود بحق سواه، فهو الخالق لجميع الموجودات، والله تعالى لا تصل إليه الأبصار ولا تحيط به، وهو يراها ويحيط بها لشمول علمه تعالى للخفيات، وهو اللطيف بعباده الخبير بمصالحه، ونفي الإدراك الخاص لا ينفي الرؤية يوم القيامة إذ يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء، وتقدس الله ﷻ بعظمته وجلاله فلا تدركه الأبصار[٣].

---

١ - انظر: تفسير الشعراوي ٦ /٣٨٣٧-٣٨٣٨.

٢ - البحر المحيط لأبي حيان ٤ /١٩٨.

٣ - انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/١٦٠ - ١٦١.

ثانياً/ وجوه البلاغة: في الآية الثانية عدة فنون من البلاغة:

١- فن الاحتراس: فبعد أن ذكر في بداية الآية أن الله تعالى لا تدركه الأبصار: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**...﴾، اقتضت الآية هذا الفن من البلاغة تفادياً للظن والفهم السيء، وحتى لا يظن أحدٌ أن سبب عدم إدراكه بالبصر أنه لم يكن موجوداً، فجاء في الآية قوله تعالى: ﴿...**وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ...﴾ ليثبت الله تعالى لنفسه الوجود، وقطعاً لكلام أي مشكك أو جاهل[١].

٢- فن اللف والنشر: "فقوله تعالى: ﴿**اللَّطِيفُ**﴾ راجع إلى قوله: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ ، وقوله: ﴿**الخَبِيرُ**﴾ راجع إلى قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾" [٢].

٣- فن المطابقة: "بين قوله: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ ، وقوله: ﴿**وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾" [٣].

ثالثاً/ المناسبة: بعد ما جاء في الآيات المتقدمة من ذكر مظاهر قدرة الله ﷻ كفلق الحب والنوى، وفلق الإصباح وآية الليل، وآية الشمس والقمر، وإنشاء النبات والأشجار والأنفس، والتوالد، وما ذكر من النزاهة المطلقة عن الشريك والولد والصاحبة، وانفراده سبحانه وتعالى بالخلق والتدبير لكل شيء في الكون، والعلم بكل شيء وهذه أوصاف الوحدانية، وإذا كان واحداً في ذاته العلية، وواحداً في إنشائه للكون، هنا تقرير أن الله ﷻ الجدير بالعبادة المستحق لها وحده ولا يجوز عبادة غيره لأنها تكون باطلة بطلاناً مؤكداً[٤].

وعلاقة الفاصلة ﴿ **وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ بموضوع آيتها: تحدثت الآية بأن الله تعالى هو خالق لكل شيء كان مناسباً أن تختم ببيان أن الله وكيل على كل شيء.

وعلاقة الفاصلة ﴿**وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ**﴾ بموضوع آيتها: في الآية الكلام ابتدأ بمعنى نفي إدراك الأبصار، وتمم بما يناسبه معنى دون لفظ، فناسب اللُّطف نهاية الآية[٥].

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- الله تعالى خالق كل شيء في الوجود، وواضع قانون صيانة الكون للإنسان، ويرشده إلى المنهج الصحيح الذي إن خالفه فسد الكون والإنسان ولا يعود لصلاحه إلا إذا عاد إلى منهج

---

١ - انظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش ٢ /٤٢٥.

٢ - المرجع السابق ٢/٤٢٥.

٣ - نفس المصدر ٢/٤٢٦.

٤ - انظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة ٥/٢٦١٤.

٥ - انظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش ٢/٤٢٥.

الخالق، ولأنه تعالى خالق الكون بقدرته ومشيئته، وهو واضع القوانين والسنن الكونية، فهو الأحق بالعبادة والطاعة في الأوامر والنواهي، وإذن لا معبود بحق سوى رب الكون ﷻ[١].

٢- الله ﷻ رب الكون، وهو المدبر لأموره، الفعال لما يريد، المتصرف بأحوال الخلق، وما يحدث فيه من شيء إلا بعلمه وإرادته، ولا يعجزه شيء في السماوات والأرض، وإن أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون، ولذلك فالمنطق والعقل والفكر السليم يوجب عبادته وطاعته في أمره وطاعته في نهيه[٢].

٣- الله وكيل عباده، أي هو " متولي أمور جميع مخلوقاته التي أنتم من جملتها فوكلوا أموركم إليه وتوسلوا بعبادته إلى نجاح مآربكم الدنيوية والأخروية"[٣]، والله تعالى وكيل عن الإنسان، وليس للإنسان، فالوكيل لفلان في أعراف البشر أي يقوم لصالحه بالأمور التي وكل بها، ولكن الله سبحانه تنزَّه وتعالى عن ذلك، والله وكيل لمن لجأ إليه واستجار به وتوجه إليه بالدعاء وطلب منه الخير، فإن كان الإنسان طالباً أمراً فعليه التوجه للواحد القهار، فهو حسبه ونعم الوكيل[٤].

٤- الله لطيف خبير بعباده، أي: "الذي لا يخفى عليه شيء، فعلمه تعالى يشمل كل ما لطف ودق فضلاً عما جلَّ وعظم، اللطيف بعباده في كل شئونهم وجميع أحوالهم، الخبير الذي أحاط علمه بكل شيء"[٥].

٥- الله تعالى لا تدركه الأبصار في الدنيا، وأما ما قيل عن رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا ليلة الإسراء والمعراج فقد اختلف فيه، فأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أنكرت، وعن مسروق[٦] أنها قالت:(مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى الله الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِى وَلاَ تَعْجَلِينِى، أَلَمْ يَقُلِ الله ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ**﴾ [التَّكوير:٢٣] ، ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾ [النَّجم:١٣] ، فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِى خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، فَقَالَتْ: أَوَلَمْ

---

١ – انظر : تفسير الشعراوي ٦ /٣٨٣٩.

٢ – انظر: المرجع السابق ٦ /٣٨٤٠.

٣ – إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٣ /١٧٠.

٤ – انظر : تفسير الشعراوي ٦/٣٨٤٠.

٥ – التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم٢ /٥٢٣.

٦ – هو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني، أبو عائشة، وهو من كبار التابعين، روى عن أبي بكر وعمر وعلي وأم المؤمنين عاشة وغيرهم من كبار الصحابة، وكان من أعلم أهل عصره بالفتوى، وكان أعلم بالفتوى من شريح، مات سنة ٦٢ هـ أو ٦٣هـ . انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٦/٢٩٢، وسير أعلام النبلاء ٤/٦٣.

تَسْمَعْ أَنَّ الله يَقُولُ:﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ الله يَقُولُ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩] ....)[١]، وأورد ابن كثير في تفسيره قولًا نسبه لابن عباس ﷺ قال فيه أن النبي ﷺ رآه بفؤاده مستدلاً بالآية الكريمة: ﴿مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النَّجم:١١] ، وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ)[٢]، وهناك من قال بالرؤية الحقيقية بالبصر،[٣] ويقول القرطبي: " وذلك أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده حتى رأى ربه تعالى وجعل الله تلك رؤية، وقيل: كانت رؤية حقيقة بالبصر، والأول مروي عن ابن عباس ﷺ....، والثاني قول أنس ﷺ وجماعة"[٤].

٦- الرؤية في الآخرة للمؤمنين ثابتة، " وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة"[٥]، وأدلة الرؤية كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣] قال القرطبي: "أي تنظر إلى ربها"[٦]، وعن جرير بن عبد الله ﷺ: (كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ....)[٧].

المطلب الرابع: القرآن جاء فيه البيان والبصائر.

قال الله تعالى:﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام:١٠٤] .

---

[١] – صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ، ج١/١١٠، رقم ٤٥٧.

[٢] – مسند أبي يعلي: مسند ابن عباس ﷺ، ج٤/٤٧٥، رقم ٢٦٠٨، قال المحقق حسين سليم أسد: رجاله رجال الصحيح غير خالد بن اللجلاج.

[٣] – انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٦١/٢.

[٤] – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٢/١٧.

[٥] – شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز ص ٢٧٩.

[٦] – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠٧/١٩.

[٧] – متفق عليه: صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ج١/١١٥، رقم ٥٥٤، وصحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الصبح والعصر، ج٢/١١٣، رقم ١٤٦٦.

أولاً/ التفسير الإجمالي: أي قد جاءتكم الآيات فصيحة اللفظ جلية المعنى جليلة الحقائق من الله ربكم خالقكم والمنعم عليكم بصنوف النعم، هذه الآيات تبين الحق، وهي واضحة كالشمس لا تخفى على مبصر، فمن أبصر وأخذ العبرة وعمل بمقتضى الآيات فإنه ضمن لنفسه رضى اللهﷻ ولن يَزيد أو يُنقص من ملك الله شيئاً، ومن تكبَّر ولم ينقاد فإنه يضر نفسه وله جزاء وخيم عند ربه، ﴿وَمَا أَنَا﴾: أي الرسول، ﴿عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾: أي لست أحفظ أو أحصي أعمالكم، ولست رقيباً عليكم، إنما علي البلاغ[١].

قال ابن كثير: " البصائر هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن الكريم، وما جاء به الرسولﷺ" [٢].

ثانياً/ وجوه البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ﴾ : بينهما طباق.

٢- قوله تعالى: ﴿بَصَائِرُ﴾، وقوله تعالى :﴿ أَبْصَرَ﴾: بينهما جناس اشتقاق.

٣- قوله تعالى:﴿ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: "مجاز مرسل وعلاقته المسببة أي من باب تسمية المسبب باسم السبب، والمراد بالبصائر: الحجج والبراهين التي تبصرون بها الحقائق" [٣].

ثالثاً/ المناسبة: " بعد أن أبان الله تعالى الأدلة على توحيده وكمال قدرته وعلمه، عاد إلى تقرير أمر الدعوة الإسلامية والرسالة وتبليغ النبي ﷺ وحي ربه"[٤]، وذكرت الآية أن القرآن جاء بالبصائر بالبصائر والبينات.

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- أثبت القرآن الكريم بالبراهين الباهرة والحجج القاطعة كما جاء في الآيات المتقدمة صدق محمدﷺ في رسالته، ورد شبهات الكافرين، وكذَّبت افتراءات المشركين بالأدلة، فمن كان يفقه ويعقل فيهتدي إلى الإيمان والتوحيد.

٢- مهمة محمد ﷺ التبليغ والانذار والدعوة إلى الدين القويم المنجي، وهو ليس رقيباً على الناس، وما عليه أن يحفظ أعمالهم، والناس لهم الخيرة في الإيمان أو الكفر، وفي الآية بيان أن

---

١ - انظر : تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢٦٨/١.

٢ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ /١٦٢.

٣ - التفسير المنير للزحيلي ٧ /٣٣٦.

٤ - المرجع السابق ٧ /٣٣٧.

النبيﷺ ليس عليه هداية الناس إلى الدين قسراً ولا قهراً ولا بالإكراه، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦] [١].

٣- ذكر في القرآن الكريم آيات تتحدث عن حقائق علمية ليراها المتفكرون والناظرون لآيات اللهﷻ في الكون والآفاق، أكدها العلم الحديث بعد أن سبقه القرآن لإثباتها بألف وأربعمائة سَنَة ونيف، وهي كثيرة منها مراحل خلق الإنسان التي ذكرناها سابقاً في أحد المطالب، ومنها قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠] فقال ابن عاشور في تفسيرها: " توهَّم العرب الفَلَك جسماً كروياً، وتوهموا الكواكب موضوعة عليه تدور بدورته، ولذلك قدروا الزمان بأنه حركة الفَلَك، وسمُّوا ما بين مبدأ المُدّتين حتى ينتهي إلى حيث ابتدأ دورة الفلك، ولكن القرآن جاراهم في الاسم اللغوي لأن ذلك مبلغ اللغة وأصلح لهم ما توهموا بقوله: (يسبحون)، فَبَطَل أن تكون أجرام الكواكب ملتصقة بأفلاكها ولزم من كونها سابحة أن طرائق سيرها دوائر وهمية؛ لأن السبح هنا سبح في الهواء لا في الماء"[٢]، وقال الشهيد سيد قطب عن الآية : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل:٦٦] :" وهذه الحقيقة العلمية التي يذكرها القرآن هنا عن خروج اللبن من بين فرث ودم لم تكن معروفة لبشر، وما كان بشر في ذلك العهد ليتصورها فضلا على أن يقررها بهذه الدقة العلمية الكاملة، وما يملك إنسان يحترم عقله أن يماري في هذا أو يجادل، ووجود حقيقة واحدة من نوع هذه الحقيقة يكفي وحده لإثبات الوحي من الله بهذا القرآن، فالبشرية كلها كانت تجهل يوم ذاك هذه الحقيقة"[٣].

٤- جاء الوعد والوعيد والوعظ والتنبيه في آيات الله تعالى في هذه السورة وغيرها في القرآن الكريم، فقد وعد الله ﷻ من آمن وأصلح واتبع النبي ﷺ فيما يوحى إليه بالنعيم المقيم، وتوعد من كفر وعصى وأعرض عن الذي جاء به محمد ﷺ وحارب دين الله ﷻ ورسوله وأولياءه بالحرب في الدنيا والعذاب المقيم في الآخرة[٤].

---

١ - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٧ /٣٣٩.

٢ - التحرير والتنوير ٢٣ /٢٦.

٣ - في ظلال القرآن ٤ /٢١٨١.

٤ - انظر : التفسير المنير للزحيلي ٧ /٣٤٠.

ولقد تناولت آيات القرآن الكريم أخبار الأمم السابقة، وجاءت فيه البشرى للمؤمنين الثابتين على دينهم بالنصر والتأييد في الدنيا وإن كانوا شديدي الضعف المادي، وإكرامهم في الآخرة، فذكرت الآيات القرآنية قصة قتل النبي داود ﷺ لجالوت[1]، ونصر الله ﷻ جيش طالوت[2] رغم قلة عدده، وأصحاب الأخدود مثال آخر قال عنهم تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج:١٠-١١] ، وكان مصير حبيب النجار[3] كما بيَّنت الآية: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس:٢٦-٢٧] وذكرت أحوال الكافرين الظالمين وعذابهم الشديد في الدنيا قبل الآخرة كما حلَّ بفرعون وقارون وقوم نوح ولوط وثمود وعاد وغير ذلك.

المطلب الخامس : ادعاء الكافرين جهلا أن النبيﷺ درس الكتب وجاء بالقرآن .

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٠٥] .

أولاً/ التفسير الإجمالي: الآية دعوة للنبي ﷺ أن يتبع ما يوحى إليه من ربه، ولا ينشغل بما يزعمه المشركون من ادعاءات باطلة وإفك، والله تعالى يُفصل في الآيات ما يدل ويدعو إلى التوحيد ويُثبت الحق، وليقول الجاهلون المفلسون المكذبون من المشركين أن محمداً ﷺ درس ما جاء به من الهدى من أهل الكتاب وتعلَّمه منهم، والله ﷻ يريد أن يوضح الآيات لمن له لب ويفقه فيعلمون الحق ويتبعونه والباطل فيجتنبونه، وليزداد الذين آمنوا إيماناً[4].

---

[1] – جالوت: قائد العمالقة الذين طردوا بني إسرائيل من غزة وعسقلان، قتله داود ﷺ بمقلاع فيه حجارة ثلاثة في بداية معركة مع بني إسرائيل الذي كان قائدهم طالوت عددهم بضعة عشر وثلاثمائة لم يشربوا من النهر تنفيذاً لأمر طالوت، ففر جيشه منهزماً. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير ص٣٦٠ ، ٣٦٤.

[2] – طالوت: شادل بن قيس بن أبيال بن ضرار بن يحرب بن أفيح بن أيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ، وكان رجلاً دبّاغاً قبل المُلْك، وقيل سقاءً، أعطاه الله بسطة في العلم والجسم والقوة في القتال، اصطفاه الله ملكاً على بني إسرائيل وكُتب له النصر على العمالقة في فلسطين، زوَّج بعدها ابنته من داود ﷺ. انظر: تفسير الثعلبي ٣٠٤/١.

[3] – حبيب النجار: هو الرجل المذكور في سورة يس، وكان صالحاً كثير الصدقة مستقيم الفطرة، لما جاء الرسل الثلاثة إلى مدينة أنطاكية وقتلوهم، جاء هذا الرجل لينصرهم ويحض على اتباعهم فقتلوه أيضاً. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٥٣/١١،٣٥١.

[4] – انظر : تفسير القرآن العظيم ٢ /١٦٢-١٦٣.

ثانياً/ وجوه البلاغة: قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ : اللام في ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ مجازاً، وفي ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ حقيقية، ويقول الزمخشري:" أي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه؟ قلت: الفرق بينهما أن الأول مجاز والثانية حقيقة، وذلك أن الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست، ولكن لأنه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه" [١].

ثالثاً/ المناسبة: بيَّنت الآية السابقة أن القرآن الكريم جاء بالأدلة والبراهين على صدق دعوة محمدﷺ، وأن مهمته التبليغ والانذار، وهنا تُبين الآية أنه رغم التصريف الواضح للآيات يحسب المشركون أن محمداً ﷺ اقتبس ما جاء به بالدراسة والتعليم من أهل الكتاب مع معرفتهم أنه أمي، وهذا يدل على أنهم جهلة لا يعلمون، ويزدادون جهلاً لعدم انتفاعهم بما صرَّفته الآيات، والنفع هو لمن آمن واهتدى وعلم وفَقه[٢].

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- جاء التصديق من الله ﷻ لنبيه ﷺ في دعوته، وأنه لا يتبع إلا ما يوحي إليه ربه من الهدى والحق المبين، يبلغه به جبريل عليه السلام من عند ربه تنفيذاً لأمره، يقول تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النَّجم:٥] [٣].

٢- النبي ﷺ أُميٌ، وهذه صفة كان معروفاً بها عند قومه، وحتى اليهود النصارى يعلمون ذلك لما ورد في كتبهم[٤]، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ...﴾ [الأعراف:١٥٧] ، ويكون في ذلك الرد على من ادعى دراسة النبي لما جاء به، ويقول الشعراوي: "ولقد كان النبي ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب لتكون الحجة عليهم قاطعة بنزول القرآن الذي فيه علم الأولين والآخرين، وهو لَا يمكن أن يكون من أمي قط، ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:٤٨] "[٥].

٣- ما كان أحد من أهل الكتاب يعلم وقت بعثة النبي ﷺ شيئاً على مستوى القرآن الكريم، وتعاليمه وأحكامه لم تكن موجودة في كتبهم المحرَّفة، والكتب التي كانت بين أيديهم حينها لا ترتقي إلى درجة القرآن، فالعهد القديم الذي بين أيدي اليهود لا ضابط لما فيه، ففيه الخرافات التي ابتدعها

---

١ - الكشاف ٢ /٣٨٤.

٢ - انظر : نظم الدرر للبقاعي ٢/٦٩٢-٦٩٣.

٣ - انظر: تيسير الكريم لرحمن للسعدي ١/٨١٨.

٤ - انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٢٥٠.

٥ - زهرة التفاسير لأبي زهرة ج ٦/٢٩٦٩.

أشخاص مجهولون محرفون، وأساطير مشبوهة تتحدث عن تاريخ الأنبياء والملوك تكذب عليهم وتسيء إليهم عكس ما في القرآن من قصص أكيدة ثقة، أما أناجيل النصارى فهي روايات رواها رواة بعد المسيح بعشرات السنين، أو تداولتها المجامع بالتحريف والتبديل والتغيير على مدار السنين، وحتى ما شملته من مواعظ وتوجيهات وأخلاق امتدت لها يد التحريف والتضييع والنسيان، فقد ضيَّع وحرَّف أهل الكتاب ما جاء به عيسى عليه السلام، وموسى عليه السلام في كتبهم ونسوها، إذن المسافة بين كتب أهل الكتاب يوم بعثة النبي ﷺ إلى الآن والقرآن المحفوظ بحفظ الله ﷻ شاسعة جداً، فهذا رد على ادعاء المشركين جهلاً أن النبي ﷺ درس الكتب وجاء بالقرآن، وزيادة على ذلك نقول لهم: جاء في القرآن الكريم ما يعجز العرب في فصاحتهم وبلاغتهم ففيه من البلاغة ما لم يدركه قديمهم أو لاحقهم؛ ليكون معجزة إلهية لنبيه ﷺ [1].

٤- كل صاحب دعوة سماوية، وكل مؤمن عامل للدين يدعو لتطبيقه جعل الله له أعداءاً من المجرمين؛ ذلك لأن الله يغربل الأمور ويريد أن يميز الخبيث من الطيب والصادق من الكاذب، ويفتتن الناس بالمجرمين الصادين عن دين الله ويميل إليهم أصحاب العقيدة الضعيفة والنفوس المريضة، وهم يستغلون أي فرصة للنيل من المسلمين كما حدث في حادثة الإسراء والمعراج التي صدَّق بها المؤمنون دون تردد أو تفكير، وكذَّب بها الكافرون[2].

٥- على المسلم وحامل الدعوة ألا يتأثر بما يقوم به الكافرون والمنافقون من اختراع للأكاذيب ونشر للافتراءات والإشاعات الكاذبة التي هي سلاح يستخدمه أعداء ديننا في كل مكان وكل حين وإن اختلفت الأسماء والهيئات، ونحن نرى في هذه الآية كيف أن المشركين رغم علمهم اليقيني بصدق النبي ﷺ وأمانته يصفونه بالكذب، وهم يعلمون أنه أُميٌّ ومع ذلك لا يخجلون في أن يدَّعون أنه تلقى علماً من غيره من أهل الأرض، وإذا نظرنا إلى حالنا اليوم ما أكثر الأخبار الكاذبة التي توجه للعلماء وأهل الالتزام لينالوا منهم، واتهامهم بالنصب والاحتيال وارتكاب المعاصي والجرائم، وقد يصل الأمر إلى أن يتهم فاسق مشهور بفسقه أو فاحش مجاهر بفحشه أهل الدين بالنفاق وعدم فهم الدين.

---

[1] – انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ١١٦٨/٢.

[2] – انظر: تفسير الشعراوي ٣٨٥٠/٦.

المبحث الثالث

صور من منهج التعامل مع المشركين، من الآية (١٠٦ــ ١٠٨)

ويحتوي على مطلبين :

المطلب الأول : اتباع أمر الله ﷻ، والإعراض عن الجاهلين .

المطلب الثاني : النهي عن مبادلة الكفار السب والشتم .

المبحث الثالث

صور من منهج التعامل مع المشركين

في هذا المبحث نتناول وجوب اتباع أمر الله ﷻ ونبيه ﷺ، والعمل بما جاء في القرآن الكريم من تشريعات وأوامر ونواهي، وكذلك الحديث عن صور من منهج التعامل مع الكافرين، كالإعراض عن الجاهلين والمكذبين والخائضين، والنهي عن سب الكفار وآلهتهم المزعومة حتى لا يسبوا الله ﷻ ويسبوا الدين جهلاً وعدواً ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: اتباع أمر الله ﷻ، والإعراض عن الجاهلين .

قال تعالى: ﴿ **اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ** ﴾ [الأنعام:١٠٦-١٠٧] .

أولاً/ التفسير الإجمالي: يأمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يتَّبع ما يوحى إليه من الله، ويدعو إلى ما جاء به من الهدى والحق مُوحياً إليه من ربه، ويُعرض عن المكذبين والمعاندين الذين ويقولون له: (درست)، ثم يُسلّي ربنا تبارك وتعالى رسوله ﷺ حتى لا يحزن وليُخفف عنه الآلام التي ألَّمت به نتيجة اعراضهم، ومحاربتهم، وتكذيبهم، فيُعلمه أن المشركين ما أشركوا إلا بإرادة اللهﷻ ومشيئته، ولو شاء الله هدايتهم لهداهم، وأنه ما أرسله ليحفظ عليهم أعمالهم أو يراقبهم، ولكن ليُبلغ وقد بلَّغ، إذاً فلا أسى ولا أسف[١].

ثانياً/ المناسبة: الآية السابقة تحدَّثت عن ادعاء المشركين الجاحدين أن الرسول ﷺ دَرَس وتعلَّم القرآن من بعض أهل الكتاب، وفي هذه الآية الكريمة بيان حقيقة القرآن، فإنه وحي من الله ﷻ[٢].
أما مناسبة فاصلة الآية لموضوعها: أن الله أمر رسوله أن يتبع القرآن الذي أنزله الله عليه وأن يُعرض عن المشركين وأنه لو شاء لهداهم إلى الحق وما أشركوا فالهداية بيد الله وأنت يا محمد عليك الدعوة لله وليس عليك النتائج، فكان مناسباً أن تختم الآية بقوله: ﴿ **وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ** ﴾.

---

١ – انظر: أيسر التفاسير للجزائري ١٠٢/٢.

٢ – انظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة ٢٦٢١/٥.

ثالثاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- أمر الله ﷻ نبيه ﷺ باتباع أمره ونواهيه في وحيه، والإعراض عن المشركين عبدة الأصنام والأوثان في ضلالاتهم وتكذيبهم[١]، ووحي الله القرآن لأنه كتاب الله منزله على نبيه، فكان له الشرف بشرف من أنزله، وشرف القرآن الكريم بشرف من أنزله، فقد التقى فيه شرف ذاتي وهو أنه الكتاب الكامل الذي لَا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه المعجز الذي لَا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، وشرف إضافي أنه الكتاب الذي ينسب إليه سبحانه وتعالى، ومصدق لما في قبله من الكتب السماوية[٢].

٢- في الآية: ﴿**اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...**﴾ " الأمر للنبي ﷺ ابتداءً، ولمن اتبعه في الغاية والمآل، اتبع أيها النبي ما أُوحي إليك، وهو القرآن، لأنه رأس ما أوحى الله به إلى نبيه الأمين"[٣]، والمسلم مأمور بطاعة الله، فيقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ [النساء:٥٩] .

واتباع وحي الله في كل أمر وعلى الدوام؛ لأن أوامر الله وتشريعاته تشمل الخير والنفع العام ومصالح العباد في معاشهم في الدنيا ومعادهم في الآخرة، واتباع أمر الله يكون بالتوحيد والإخلاص الذي هو أساس الأمر كله وطاعة الله في أوامره ونواهيه[٤].

٣- المسلم مأمور باتباع نبيه ﷺ وطاعة أمره، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي) [٥].

٤- والمسلم عليه الإعراض عن الجاهلين من الكافرين والإعراض عن سخريتهم وإساءاتهم، وعدم الانجرار وراء سفاهاتهم وجهالاتهم، وعليه كذلك الإعراض عن الجاهلين ممن ينتمون لدينه ولكنهم عصاة في شتائمهم وإساءاتهم فيحسن إليهم ويعفو عنهم، فهذا من صفات عباد الرحمن، يقول تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا**

---

١ - انظر : جامع البيان للطبري ٣٢/١٢.

٢ - انظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة ٢٦٦١/٥.

٣ - المرجع السابق ٢٦٢١/٥.

٤ - انظر: تفسير الشعراوي ٣٨٥٢/٦.

٥ - متفق عليه: صحيح البخاري كتاب الأحكام، باب ١ ، ج٦١/٩-٦٢، رقم ٧١٣٧، وصحيح مسلم كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ج١٣/٦، رقم ٤٨٥٢.

سَلَامًا﴾[الفرقان:٦٣] ، وهي من صفات المتقين، يقول تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

٥- ليس معنى الإعراض عن المعاندين والخائضين ترك دعوتهم إلى الهدى والحق، والإعراض يكون عن سخريتهم وكذبهم وعنادهم، يقول تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤] ، كذلك ليس من الإعراض عن جهالات الكفار القعود عن جهادهم، فإن فعلوا ما يستوجب قتالهم قوتلوا[١].

٦- قد يعصي الإنسان أو يُعرض عن طاعة الله ﷻ وترك عبادة من العبادات، وينصرف عن دينه ونصرته بحجة طاعة الوالدين، وما أكثر ما نرى هذا في واقعنا، وكلامهم مردود، عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الله ﷻ)[٢]، ويقول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان:١٥] .

المطلب الثاني: النهي عن مبادلة الكفار السب والشتائم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٠٨].

أولاً/ التفسير الإجمالي: في الآية نهي عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة، حتى لا يقابلها المشركون بمفسدة أعظم، فيسبوا الله الواحد الحق ظلماً وعدواناً لجهلهم بحقيقة الله وجلاله، وكما زيَّن الله تعالى لهؤلاء المشركين كفرهم وعبادة الأصنام وحببها لهم، فصاروا يجتهدون انتصارًا لها وللحرب من أجلها، زيَّن لكل أمة من الأمم ضلالهم[٣].

---

١ – انظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة ٢٦٢٢/٥.

٢ – مسند أحمد: مسند علي بن أب طالب عنه أبي عبد الرحمن السلمي، ج٣٣٣/٢ حديث رقم ١٠٩٥، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٣ – انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٦٤/٢.

ثانياً/ سبب النزول:

١- قال ابن عباس (رضي الله عنهما): (قالوا: يا محمد لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك، فنهى الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوًا بغير علم)[١].

٢- وقال قتادة[٢]: (كان المسلمون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم، فنهاهم الله تعالى أن يستسبوا لربهم قوماً جهلة لا علم لهم بالله)[٣].

٣- قال السدي[٤]: (لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش: انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمرنه أن ينهى عنا ابن أخيه، فإنا نستحي أن نقتله بعد موته، فتقول العرب: كان يمنعه فلما مات قتلوه، فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والأسود بن البخترى إلى أبي طالب، فقالوا: أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا، فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه وإلهه، فدعاه فجاء النبي ﷺ، فقال له أبو طالب: هؤلاء قومك وبنو عمك، فقال رسول الله ﷺ : ماذا يريدون؟ فقالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك، فقال أبو طالب: قد أنصفك قومك فاقبل منهم، فقال رسول الله ﷺ: أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم ؟ قال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، فما هي، قال: قولوا: لا إله إلا الله، فأبوا واشمأزوا، فقال أبو طالب: قل غيرها يا ابن أخي فإن قومك قد فزعوا منها، فقال: يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها، فقالوا: لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمك ونشتم من يأمرك، فأنزل الله تعالى هذه الآية)[٥].

إذا نظرنا إلى الأسباب الثلاثة المذكورة لنزول الآية، فنجدها تجتمع في أنها نزلت بعد أن رد المشركون أو قالوا أنهم سيردون على من يسب آلهتهم الباطلة من المسلمين بسب الله تعالى.

ويرى الباحث أن سبب النزول المروي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) مقدم، وقد يكون أكثر صحة وأقوى مما أسنده الطبري إلى السدي، أو ما نسبه الواحدي لقتادة، والله تعالى أعلم.

---

١ - أسباب النزول للواحدي ص ١٤٨.

٢ - قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري ولد عام ٦١هـ، مفسر حافظ ضرير أكمه، قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، مات بواسط في الطاعون عام ١١هـ. الأعلام ١٨٩/٥.

٣ - أسباب النزول للواحدي ص ١٤٨.

٤ - إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس، مات سنة ١٢٨هـ. الأعلام ٣١٧/١.

٥ - جامع البيان للطبري ٣٤/١٢.

ثالثاً/ المناسبة: "الآية متعلقة بما قبلها من قول المشركين للرسول ﷺ: إنما جمعت هذا من مدارسة الناس ومذاكرتهم، وحينئذ لا يَبعد أن يغضب بعض المسلمين لسماع ذلك، فيسبوا آلهة الكفار على سبيل المعارضة، فنهى الله تعالى عن هذا الصنع؛ لأنه متى شتمت آلهتهم فربما ذكروا الله تعالى بما لا ينبغي من القول"[١].

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- نهى الله تعالى المؤمنين أن يسبوا آلهة الكفار ودينهم؛ لأنهم إن سمعوا سب آلهتهم نفروا وازدادوا كفراً ويقابلون ذلك بما لا يليق بجلال الله[٢]، ويقول القرطبي: " حكمها باق في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الإسلام أو النبي ﷺ أو الله ﷻ، فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك، لأنه بمنزلة البعث على المعصية "[٣].

٢- يقول القرطبي: " في هذه الآية أيضا ضرب من الموادعة، ودليل على وجوب الحكم بسد الذرائع"[٤]، ومبدأ سد الذرائع هو: "الذي يقوم على أن الذرائع أو الوسائل تأخذ حكم ما تؤدي إليه، فما يؤدي إلى المطلوب يكون مطلوباً، وما يؤدي إلى الممنوع يكون ممنوعاً "[٥]، وسد الذرائع تعني أن المصلحة إن أدَّت إلى مفسدة أعظم تترك كما في الآية من نهي عن سب آلهة المشركين لما قد يترتب عليها من المفسدة[٦].

٣- إن من أهل الكفر وأهل البدع من لا يصده إلا السيف ليُلجم على كيده ويُقضى باطله، فلا ينفع اللسان لأنه قد يزداد بذلك إصراراً على الظلم وتعدياً على الحق والهدى، يقول الشوكاني:" وما أنفع هذه الآية وأجل فائدتها لمن كان من الحاملين لحجج الله، المتصدين لبيانها للناس إذا كان بين قوم من الصم البكم الذين إذا أمرهم بمعروف تركوه وتركوا غيره من المعروف، وإذا نهاهم عن منكر فعلوه وفعلوا غيره من المنكرات، عناداً للحق وبُغضاً لاتباع المحقين وجراءة

---

١ – التفسير المنير للزحيلي ٣٤٤/٧.

٢ – انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٦٤/٢.

٣ – الجامع لأحكام القرآن ٦١/٧.

٤ – الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٦١.

٥ – زهرة التفاسير لأبي زهرة ١/ ٣٤٧.

٦ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٦٤/٢.

على الله سبحانه فإن هؤلاء لا يؤثر فيهم إلا السيف، وهو الحكم العدل لمن عاند الشريعة المطهرة، وجعل المخالفة لها والتجرؤ على أهلها ديدنه كما يُشاهد ذلك في أهل البدع"[1].

[1] – فتح القدير ٢ /٢١٨.

المبحث الرابع
عناد المشركين، من الآية (١٠٩ــ ١١٠)

ويحتوي على مطلبين :

المطلب الأول : الآيات والمعجزات بيد الله وليس بطلبات المشركين.

المطلب الثاني : حال المشركين المخالف للفطرة .

المبحث الرابع
عناد المشركين

يتحدث هذا المبحث عن عناد الكافرين، وهنا "وفي نهاية الدرس، وبعد عرض هذه الآيات في صفحة الوجود كله، يكشف عن تفاهة طلب الخوارق، كما يكشف عن طبيعة المكذبين المعاندة، التي لا تتخلف عن الإيمان لنقص في الآيات والدلائل؛ ولكن لطبع فيها مطموس! وإلا فهذه الآيات تزحم الوجود"[1]، وهذا المبحث فيه مطلبان :

المطلب الأول : الآيات والمعجزات بيد الله وليس بطلبات المشركين.

قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٠٩].

أولاً/ التفسير الإجمالي: الآية تتحدث عن طبيعة كفار قريش وعنادهم، فهم حلفوا أشد الأيمان وأغلظها لئن جاءتهم معجزة أو آية أو أمر خارق ليؤمنن، و بيَّنت الآية حقيقتهم وديدنهم، فإنهم لن يؤمنوا مهما رأوا من الآيات وجاءهم من البينات أو حتى لو جعل لهم الصفا ذهباً فهم معاندين جاحدين حاسدين، وعلى النبي ﷺ أن يتيقن من عدم إيمانهم ولا ينخدع بهم، ويأمره الله أن يرد عليهم عندما يطلبوا منه الآيات والمعجزات: إنما الآيات من عند الله[2].

ثانياً/ سبب النزول:

روى الطبري عن محمد بن كعب القُرَظي قال: (كلَّم رسولُ الله ﷺ قريشًا، فقالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصًا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، وتخبرنا أنّ عيسى كان يحيي الموتى، وتخبرنا أن ثَمُود كانت لهم ناقة، فأتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك! فقال النبي ﷺ: أيَّ شيء تحبُّون أن آتيكم به؟ قالوا: تجعَلُ لنا الصَّفَا ذهبًا، فقال لهم: فإن فعلت تصدقوني؟ قالوا: نعم والله، لئن فعلت لنتبعنّك أجمعين ! فقام رسول الله ﷺ يدعو، فجاءه جبريل عليه السلام فقال له: لك ما شئت، إن شئتَ أصبح ذهبًا، ولئن أرسل آيةً فلم يصدقوا عند ذلك لنعذبنَّهم،

---

[1] – في ظلال القرآن لسيد قطب ٢ /١١٥٣.

[2] – انظر: جامع البيان للطبري ١٢ / ٣٩ –٤٠.

وإن شئت فأنْدِحْهُم[1] حتى يتوب تائبهم، فقال: بل يتوب تائبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١])[2].

ثالثاً/ المناسبة: بعد الآيات البينات والدلائل الكثيرة في الكون والوجود على وجود الله ﷻ وكمال قدرته وسعة علمه والمُثْبتة لحقيقة التوحيد والإعجاز العظيم في القرآن الكريم الذي عجزوا عن تحديه، تأتي هذه الآية مبينة ما عليه المشركين من جحود وعناد، وتظهر تفاهتهم في طلب المعجزات من النبي ﷺ رغم ما جاءهم من البراهين الدامغة[3].

رابعاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- إن المعجزات بيد الله تعالى وليس للنبي ﷺ فيها يد ولا غيره من العالمين، لأنه تعالى وحده القادر على إحداث أي خارق للعادة، وهو أعلم حيث تكون ومتى.

٢- كفار قريش جاءتهم كثير من البينات، فجاءهم من الله ﷻ القرآن الكريم يتحداهم، فعجزوا أن يجاروا بلاغته وبيانه، وانشق له القمر، ومع ذلك لم يؤمنوا، واتهموه بالسحر، ولو أن الرسولﷺ قد سحرهم حقاً فيما جاء من المعجزات فلماذا لم يسحرهم ليؤمنوا بالله ويتبعوه[4].

إن أهل الكفر والشرك وأولياء الشيطان في كل مكان وزمان يجمعهم الصد عن سبيل الله، وتجتمع فيهم صفة العناد، وعنادهم هو بسبب تكبرهم وجهلهم وحسدهم، فمهما يأتيهم من آية أو برهان أكيد فلن يؤمنوا، ولن يتفقوا مع أهل الحق، ودائماً يتهرَّبون من الحق والاستجابة له بحجج واهية وأعذار سخيفة.

٣- إن صاحب الدعوة لا يجوز له أن يُعلّق أمله على المعاندين والمعرضين عن الهدى ويصب جهده عليهم، ويترك أصحاب القلوب الحية المستجيبين للدعوة ويهملهم، فعليه أن يوجه أمله

---

[1] - قال المحقق محمود شاكر: " في المطبوعة: (فاتركهم حتى يتوب تائبهم)، وفي المخطوطة:(ما نرحهم)، غير منقوطة، ورجحت أن صواب ما أثبت، وإن كنت لم أجد هذا الحرف في كتب اللغة، وهو عندي من قولهم: (ندحت الشيء ندحاً)، إذ أوسعته وأفسحته، ومنه قيل:(إن لك في هذا الأمر ندحة) بضم النون وفتحها وسكون الدال، و(مندوحة) أي: سعة وفسحة، فقولهم:(أندحهم)، أي: افسح لهم، واجعل لهم مندوحة في هذا الأمر حتى يتوب تائبهم، وهو حق المعنى إن شاء الله ، والقياس يُعين عليه". تفسير جامع البيان ٣٩/١٢.

[2] – جامع البيان ١٢ /٣٩.

[3] – انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ٢ /١١٥٣.

[4] – انظر : تفسير الشعراوي ٦ /٣٨٦٤-٣٨٦٥.

نحو الذين سمعوا واستجابوا، ويعمل ويجتهد معهم لبناء كيان إسلامي عظيم في أخلاقه وسلوكه على قاعدة الإيمان الخالص والعقيدة الصحيحة[١].

المطلب الثاني : حال المشركين المخالف للفطرة .

قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠].

أولاً/ التفسير الإجمالي: من عدل الله تعالى وحكمته أن يعاقب المشركين المعاندين لعنادهم وتكبرهم على الحق وإعراضهم عنه، وعدم الاستجابة لداعي الهدى والإيمان بصلابة قلوبهم وعدم الإذعان لربهم ودعوة نبيه ﷺ بسلوك الصراط المستقيم، وعاقبهم بتقليب القلوب وحيرتها وقلقها، وهذا كله حلَّ بهم لأنهم جنوا على أنفسهم بما كان منهم في مواجهة الحق[٢].

ثانياً/ المناسبة: بيَّنت الآية السابقة أن المشركين يطلبون المعجزات ليؤمنوا، ولو جاءهم ما طلبوا فلن يهتدوا لأن الله طبع على قلوبهم بظلمهم، وفي هذه الآية بيان أنهم بسبب الطبع على قلوبهم أبصارهم لن تهديهم، وقلوبهم تكون في حيرة، ويتيهون في الظلمات لا يعرفون إلى أين الملجأ، وفي هذه الآية كذلك بيان أن الله خالق الهدى والضلال، استئنافاً لما دلَّت عليه الآية السابقة[٣].

ثالثاً/ تحقيق المقصد والهدف:

١- تقرر الآية حقيقة عامة ثابتة تحدثنا عنها في مطلب سابق وهي أن مشيئة الله هي المرجع الأخير في أمر الهدى والضلال .

٢- يكفي أي إنسان أن يهتدي بفطرته، ويصل إلى حقيقة الإيمان بما فيه وحوله من آيات في جسمه وفي الآفاق، فكل صاحب عقل سليم وقلب حي يصل إلى الرشاد بعد مشيئة الله ﷻ، أما القلب الذي مات واسود من المنكرات والمعاندة فهو مقفل بقفل مختوم من رب العالمين جزاء ظلمهم وتجاوزهم الحد، " وإن موحيات الإيمان كامنة في القلب ذاته؛ وفي الحق كذلك بذاته؛ وليست متعلقة بعوامل خارجية، فيجب أن تتجه المحاولة إذن إلى ذلك القلب لعلاجه من آفاته ومن معوقاته"[٤].

---

١ – انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ٢ /١١٦٩.

٢ – انظر : تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢٦٩/١.

٣ – انظر : نظم الدرر للبقاعي ٦٩٥/٢.

٤ – في ظلال القرآن لسيد قطب٢/ ١١٨٦.

٣- إن الجاحد والمعاند متردد مضطرب لا يستقر على قرار، فهو يرى الآيات البينات والأمارات الدالة على الحق فينبهر ويكاد أن يصل النور إلى قلبه، ولكن على قلبه غشاوة تمنع وصول نور الإيمان، تكوَّنت بفعل تكبره على آيات الله وعلى المؤمنين، وإصراره على الكفر والبُعد عن الله ﷻ، ويعود إلى حاله الذي كان عليه أول مرة عندما تعرَّض للحق وواجه بالصد والجحود، وهو بذلك يكون متحيراً بين الجحود الذي يسكن قلبه، والنور الذي أدركه بعد أن بَدَت آياته واضحة جلية، وما أكثر سادة قريش الكفار وصناديدها الذين رأوا آيات الحق وعلموا حقيقة التوحيد وصدق النبي ﷺ في دعوته، ولكن دفعهم عن الإيمان وصدهم عادات الجاهلية وتكبرهم على النبي ﷺ والمؤمنين، وما أكثر أهل المعصية الذين نراهم في عصرنا الذين يصرون على فسقهم أو نفاقهم كيداً وتكبراً على أهل الإيمان وبُغضاً لهم[١].

[١] - انظر : زهرة التفاسير لأبي زهرة ٥ / ٢٩٢٨-٢٩٢٩.

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة و السلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه ومن يسلك سبيله إلى يوم الدين، وأحمد الله تعالى الذي أعانني ووفقني بأن أكملت هذا العمل راجياً أن يرضى عني ويتقبله مني ويكتب لي عليه الأجر، وأسأله تعالى أن ينفع به طلاب العلم وأمة الإسلام عامة، أما بعد:

فإن إن من أجل العلوم وأعظمها درجة ما يتعلق بالقرآن الكريم، فهو كلام الله المنزل على عبده ونبيه محمد ﷺ ليتحدى الناس أن يأتوا بمثله، ويكون فيه الهداية للناس أجمعين حتى قيام الساعة، ودستوراً ينظم حياة الناس للخير والسعادة الدنيوية والأخروية.

وفي هذا البحث تناولت آيات من سورة الأنعام من آية (٣٦-١١٠) واستخلصت منها المقاصد والأهداف التي تكمن بين ثناياها، وسورة الأنعام لها فضل عظيم تظهره الأحاديث النبوية الشريفة، وهي مكية فنجدها تسلك مسلك غيرها من السور المكية التي تتناول مواضيع العقيدة، وتقرر التوحيد والإيمان وتُبيّن حقيقته، وتحارب أهل الكفر والشرك وتفند ضلالاتهم وزيفهم.

كما تعرَّضت الآيات لجوانب عديدة من جوانب العقيدة، فتحدَّثت عن الإيمان بالله تعالى ومظاهر قدرته ودلائل ربوبيته وألوهيته، وتحدثت عن الأنبياء وفضلهم ومهمتهم وصدق دعوة محمد ﷺ، والملائكة: ملك الموت وإسرافيل والكرام الكاتبين، وتحدَّثت عن الكتب السماوية والقرآن الكريم الذي فيه الإعجاز والتفصيل لسبيل النجاة، وعن اليوم الآخر وإثباته والرد على منكريه، وتعرَّضت الآيات للمؤمنين وأمرتهم بولاء المؤمنين والبراء من الشرك والكفر وأهله وبيَّنت لهم صوراً من مناهج التعامل مع المشركين، وتصدَّت للمشركين ومعاندتهم وعاقبتهم .

إنها سورة الأنعام قررت توحيد الألوهية وصدق الوحي والرسالة وما جاء به النبي ﷺ من عند ربه ﷻ.

أهم النتائج:

- القرآن الكريم يسعى من خلال آياته إلى تحقيق مقاصد وأهداف تنفع الأمة المسلمة.
- جاء الأمر بإخلاص العبادة لله وحده عالم الغيب ونفي الشركاء عنه، والدلائل على الوحدانية من مظاهر القدرة المطلقة في الآيات التي تناولناها كثيرة .
- وجوب الحكم بشريعة الله تعالى.
- رسل الله تعالى بشر وليسوا ملائكة وما لهم شيء من علم الغيب، ومهمتهم التبليغ والتبشير والإنذار والوعد والوعيد بالعذاب في الدنيا أو المقيم في الآخرة.

- الإنسان خلق على فطرة التوحيد، ولكنه تعرَّض لآثار وأهواء وغايات فاسدة فحاد منهم المشركين.
- وجوب دعوة الكافرين والمشركين، وحوارهم بإقامة الحجة عليهم بالدلائل العقلية وبالبراهين.
- نؤمن بيوم القيامة حيث ساقت الآيات الدلائل على البعث، وهذا اليوم تنقطع العلاقات فيه بين المشركين وآلهتهم المزعومة، فلا يجدون شفيعاً ينقذهم من العذاب الهائل .
- القرآن الكريم كلام الله الشامل الكامل المعجز فيه تفصيل الآيات لهداية الناس لسبيل النجاة، والتوراة والإنجيل فيها خبر النبي محمد ﷺ.
- المؤمنون مأمورون بالولاء للمؤمنين ومحبتهم ومجالستهم، والبراء من المشركين والإعراض عنهم.
- المشركون معاندون وقلوبهم ميتة بسبب معاصيهم وتكبرهم، فهم لا يؤمنون مهما جاءهم من الآيات والمعجزات، ويتهربون منها بأعذار وحجج ليبرروا كفرهم، فهم يعلمون الحق ولكن حسدهم وتكبرهم يمنعهم عن الإيمان، ويظلوا في قلق وحيرة من أمرهم، هل يتبعون النور أم يظلوا متمسكين بتكبرهم وجحودهم، وعلينا أن نعلم أن الهداية والإضلال بيد الله لمن يشاء، ومن استحق الهداية وسعى لها وفقه ربه ﷻ لها.

التوصيات:

- أوصي نفسي والباحثين بتقوى الله العظيم ولزوم طاعته وإخلاص النية ليوفقنا لما يحب ويرضى، والتواصل مع كتاب الله تلاوة وتدبراً وفهماً، وتطبيقاً بالجوارح، والنظر في المفاهيم والمقاصد والأهداف التي توجد في القرآن الكريم عامة.
- أنصح الباحثين بالبحث في أهداف ومقاصد القرآن الكريم، وربط أبعادها بالواقع قدر الاستطاعة ليجد المسلمون الفائدة والموعظة.
- على الدعاة والباحثين أن يرشدوا المسلمين إلى سبيل النجاة، والوقاية من عذاب الله ﷻ، وما يهديهم إلى النجاح والفلاح.
- ينبغي العلم أن الطاعات تحيي القلوب وسبب للهداية، والمعاصي والمنكرات تسوَّد بها القلوب وتموت وتزيد من الضلال.
- تدريس صفات الأنبياء وفضلهم والنصح بالإقتداء بهم وبهداهم.

الفهارس

وتشمل خمسة فهارس:

١- فهرس الآيات القرآنية .

٢- فهرس الأحاديث النبوية .

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم .

٤- فهرس المصادر والمراجع .

٥- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات

سورة البقرة

م	الآية	رقمها	الصفحة
١	الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ.	٣	٨٧
٢	خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ	٧	٣٠
٣	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ	١٣	٦٨
٤	وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ	٢٣	٣٢
٥	وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ	٢٥	٥٣
٦	أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.	٤٤	١٥١
٧	ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.	٥٦	١١٦
٨	وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ	١٠٢	١٤٥
٩	بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.	١١٧	١١٥
١٠	وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا	١٣٠	١٣٥
١١	أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ..	١٣٣	١٢١
١٢	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ	١٦٥	١٤٣
١٣	إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا العَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ.	١٦٦	١٦٥
١٤	وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا	١٦٧	١٦٥
١٥	وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ	١٨٦	٤٠
١٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ	٢٠٨	١٢٧
١٧	كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ	٢١٣	٨٠
١٨	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آَتَاهُ اللهُ المُلْكَ	٢٥٨	١٣٠،١٣٤
١٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأَذَى	٢٦٤	١١١،١٤٧
٢٠	آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ....	٢٨٥	١٥٦

سورة آل عمران

٢١	لَا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ	٢٨	٦٤

٢٢	إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ.	٣٣	١٦٢
٢٣	فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا	٣٧	١٤٠
٢٤	فَنَادَتْهُ المَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى	٣٩	١٤٠
٢٥	إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.	٥١	١٨٤
٢٦	وَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ	٥٧	٥٣
٢٧	إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا	٦٨	١٢٢
٢٨	مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ	٧٩	١٨٧
٢٩	وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآَخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ.	٨٥	٧٢
٣٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.	١٠٢	٦١
٣١	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ	١٣٣	١٩٧،٦٠
٣٢	الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ	١٣٤	١٩٧
٣٣	وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا	١٤٥	٩٠
٣٤	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ	١٨٥	١٠٩
٣٥	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ	١٩٠	١٢٤
٣٦	الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ	١٩١	١٢٤

سورة النساء

٣٧	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ منْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ	١	٦٠
٣٨	وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ	١٨	٩٠
٣٩	إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ	٤٨	٤٢،١٤١
٤٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ	٥٩	١٩٧
٤١	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ	٦٠	٧٨
٤٢	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ	٦٥	٨٢
٤٣	إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ	١٠٥	٧٧
٤٤	إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا.	١١٧	١٨١

٤٥	لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا.	١١٨	١٨١
٤٦	وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ	١١٩	١٨١
٤٧	وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ	١٢٥	١٣٤
٤٨	رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ	١٦٥	٥٣

سورة المائدة

٤٩	اليَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ	٣	٧٢
٥٠	وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ.	٩	٥٣
٥١	إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا	٤٤	٨١
٥٢	وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ	٤٥	٨١
٥٣	وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ	٤٧	٨١
٥٤	أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ.	٥٠	٧٧
٥٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ	٥٤	١٥٠
٥٦	إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ...	٥٥	٦٤
٥٧	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ	٧٢	١٤٢
٥٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا	٨٧	١٣
٥٩	وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ	١١٦	١٤١
٦٠	مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ..	١١٧	١٨٣
٦١	لله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.	١٢٠	١٢

سورة الأنعام

٦٢	الحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ.....	١	١٢،١٧٣
٦٣	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ	٢	١٣
٦٤	أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ	٦	١٣
٦٥	..... كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ	١٢	١٢
٦٦	وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ.	١٣	١٢
٦٧	إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ.	٣٦	٢٨

٦٨	وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ	٣٧	٣٠
٦٩	وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ	٣٥	٣٢
٧٠	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا ...	٣٨	٣٣
٧١	وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ	٣٩	٣٨
٧٢	قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ	٤٠	٣٩
٧٣	بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ.	٤١	٣٩
٧٤	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ	٤٢	٤٤
٧٥	فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ...	٤٣	٤٤
٧٦	فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا	٤٤	٤٦
٧٧	فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ	٤٥	٤٦
٧٨	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ	٤٦	٤٨
٧٩	قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا القَوْمُ الظَّالِمُونَ.	٤٧	٤٨
٨٠	وَمَا نُرْسِلُ المُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ	٤٨	٥٢
٨١	وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ العَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ.	٤٩	٥٢
٨٢	قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ	٥٠	٥٥
٨٣	وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ	٥١	٦٩،٥٨
٨٤	وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ	٥٢	٥،٦١
٨٥	وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا	٥٣	٦١
٨٦	وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ	٥٤	٦١
٨٧	وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ.	٥٥	٦٨
٨٨	قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ	٥٦	٧١
٨٩	قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ...	٥٧	٧٤
٩٠	قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللهُ أَعْلَمُ ...	٥٨	٧٤
٩١	وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ	٥٩	٨٥

٩٢	وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ	٦٠	٨٨
٩٣	وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً	٦١	٩١
٩٤	ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الحَقِّ أَلَا لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ.	٦٢	٩٣
٩٥	قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً	٦٣	٩٨
٩٦	قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ.	٦٤	٩٨
٩٧	قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ..	٦٥	١٠٣
٩٨	وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ.	٦٦	١٠٣
٩٩	لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ.	٦٧	١٠٣
١٠٠	وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا	٦٨	١٠٦
١٠١	وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ.	٦٩	١٠٦
١٠٢	وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ	٧٠	١٠٦
١٠٣	قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا	٧١	١٠٩
١٠٤	وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.	٧٢	١٠٩
١٠٥	وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ	٧٣	١١٤
١٠٦	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ...	٧٤	١٢٠
١٠٧	وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ.	٧٥	١٢٢
١٠٨	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ.	٧٦	١٢٢
١٠٩	فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي	٧٧	١٢٢
١١٠	فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ	٧٨	١٢٢
١١١	إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا	٧٩	١٢٥
١١٢	وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ	٨٠	١٢٨
١١٣	وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ	٨١	١٢٨
١١٤	الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ.	٨٢	١٣١
١١٥	وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ	٨٣	٤،١٣٣

١١٦	وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ	٨٤	١٣٧
١١٧	وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ.	٨٥	١٣٧
١١٨	وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ.	٨٦	١٣٧
١١٩	وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .	٨٧	١٣٧
١٢٠	ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ	٨٨	١٤١
١٢١	أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ	٨٩	١٤٨
١٢٢	أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا	٩٠	١٤٩
١٢٣	وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ	٩١	١٥٤
١٢٤	وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى	٩٢	١٤،١٥٧
١٢٥	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ	٩٣	١٦٠
١٢٦	وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ	٩٤	١٦٣
١٢٧	إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ	٩٥	١٦٨
١٢٨	فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا	٩٦	١٧١
١٢٩	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ	٩٧	١٧٤
١٣٠	وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ ...	٩٨	١٧٥
١٣١	وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ	٩٩	١٧٧
١٣٢	وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ	١٠٠	١٨٠
١٣٣	بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ	١٠١	١٨٢
١٣٤	ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيء....	١٠٢	١٨٣
١٣٥	لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ.	١٠٣	١٨٤
١٣٦	قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا	١٠٤	١٨٤
١٣٧	وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ	١٠٥	١٩٠
١٣٨	اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ.	١٠٦	١٩٥
١٣٩	وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ.	١٠٧	١٩٥

١٤٠	وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ	١٠٨	١٩٧
١٤١	وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا	١٠٩	٢٠١
١٤٢	وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ....	١١٠	٢٠٣
١٤٣	وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا	١٤٢	٣
١٤٤	وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ البَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ	١٤٤	٣
١٤٥	قُلْ فَللهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ.	١٤٩	٤
١٤٦	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ	١٥٣	١٤
١٤٧	وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.	١٥٥	١٤
١٤٨	مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا	١٦٠	١٤
١٤٩	قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.	١٦٢	١٢٧
١٥٠	لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ.	١٦٣	١٢٧

سورة الأعراف

١٥١	اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ.	٣	٨٠،٧٢،١٤
١٥٢	فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ المُرْسَلِينَ.	٦	١٤
١٥٣	فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ.	٧	١٤
١٥٤	وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ.	٨	١٤
١٥٥	وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ	١١	٦٧
١٥٦	قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ	١٢	٦٧
١٥٧	قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ.	١٣	٦٧
١٥٨	يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي	٣٥	١٣٢
١٥٩	وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ	٣٦	١٣٢
١٦٠	فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالجَرَادَ وَالقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ	١٣٣	٤٥
١٦١	وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ	١٥٦	١٤
١٦٢	الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ	١٥٧	١٩١،١٥٩

١٦٣	وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ.	١٨٢	٤٧
١٦٤	وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ.	١٨٣	٤٧
١٦٥	يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي	١٨٧	٩٤
١٦٦	أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ.	١٩١	١٠٠

سورة الأنفال

١٦٧	إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ.	٩	٥٤
١٦٨	وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ	١٠	٥٤

سورة التوبة

١٦٩	قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ	٢٤	١٤٣
١٧٠	وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ	٣٠	١٨٣
١٧١	اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ	٣١	١٤٣
١٧٢	وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	٧١	٦٤
١٧٣	وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ	١١٤	١٣٤

سورة يونس

١٧٤	إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ	٦	١٧٣

سورة هود

١٧٥	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ ...	١٣	٣٢
١٧٦	مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا	١٥	١٤٣
١٧٧	أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا	١٦	١٤٣
١٧٨	قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ	٢٨	٧٤
١٧٩	قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً	٦٣	٧٤
١٨٠	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ.	٧٥	١٣٤
١٨١	وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ.	١٠٢	١٤٥
١٨٢	فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.	١١٢	١٢٦

سورة يوسف

١٨٣	مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا	٤٠	٧٨

سورة الرعد

١٨٤	الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ.	٢٨	٢٩
١٨٥	مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا	٣٥	٦٠

سورة إبراهيم

١٨	وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ	٢٢	١٨٢
١٨	يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لله الوَاحِدِ القَهَّارِ.	٤٨	٩٧

سورة الحجر

١٨٨	قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.	٣٦	١٠١
١٨٩	قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ.	٣٧	١٠١
١٩٠	إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ.	٣٨	١٠١
١٩١	قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ.	٣٩	١٠١
١٩٢	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ.	٤٥	٦٠
١٩٣	ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ.	٤٦	٦٠
١٩٤	وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ.	٤٧	٦٠
١٩٥	فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ.	٩٤	١٩٧

سورة النحل

١٩٦	وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ	٩	٢١
١٩٧	أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ.	٢١	٩٤
١٩٨	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ	٤٣	١٩
١٩٩	بِالبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ	٤٤	١٩
٢٠٠	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً	٩٧	٥٣

سورة الإسراء

٢٠١	وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا.	١٣	٣٣

٢٠٢	تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ	٤٤	٣٤
٢٠٣	قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ	٨٨	٣١
٢٠٤	وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ	٩٧	٥٤

سورة الكهف

٢٠٥	وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ	٢٨	٦٣
٢٠٦	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ	٥٠	١٨١

سورة مريم

٢٠٧	وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا.	٤١	١٣٤
٢٠٨	وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ ...	٤٨	١٢٤
٢٠٩	فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ	٥٩	١١٣
٢١٠	تِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا.	٦٣	٦٠
٢١١	وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا.	٨٦	٥٩

سورة طه

٢١٢	وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى.	١٢٤	٥٤
٢١٣	قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا.	١٢٥	٥٤
٢١٤	قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنْسَى.	١٢٦	٥٤
٢١٥	وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا	١٣٤	٥٣

سورة الأنبياء

٢١٦	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ.	٢٥	١٠٠
٢١٧	..... وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ.	٣٠	١٨
٢١٨	وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا	٤٧	٣٧،٩٧
٢١٩	وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ.	٥٧	١٣٠
٢٢٠	فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ.	٥٨	١٣٠
٢٢١	قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ.	٥٩	١٣٠
٢٢٢	قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ.	٦٠	١٣٠

٢٢٣	قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ.	٦١	١٣٠
٢٢٤	قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ.	٦٢	١٣٠
٢٢٥	قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ.	٦٣	١٣٠
٢٢٦	فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ.	٦٤	١٣٠
٢٢٧	ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ.	٦٥	١٣٠
٢٢٨	قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ.	٦٦	١٣٠
٢٢٩	أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.	٦٧	١٣٠
٢٣٠	قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ.	٦٨	١٣٠
٢٣١	قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ.	٦٩	١٣٠
٢٣٢	يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ	١٠٤	٩٧
٢٣٣	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.	١٠٧	٥٥

سورة الحج

٢٣٤	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ.	١	٥٩
٢٣٥	يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا	٢	٥٩
٢٣٦	حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ	٣١	١٤١

سورة المؤمنون

٢٣٧	ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ.	١٣	١٥٧
٢٣٨	ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا	١٤	١٥٧
٢٣٩	حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ.	٩٩	٩١
٢٤٠	لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ ...	١٠٠	٩١

سورة النور

٢٤١	وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً	٣٩	١٤٨،٧٠
٢٤٢	إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ	٥١	٨٠

سورة الفرقان

٢٤٣	وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا	٦٣	١٩٧

سورة النمل

٢٤٤	حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ	١٨	٣٤
٢٤٥	فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا	١٩	٣٤

سورة القصص

٢٤٦	وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي	٣٨	٨٠،٧٢
٢٤٧	إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ	٧٦	٦٨
٢٤٨	وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا	٧٧	٦٨
٢٤٩	قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ	٧٨	١٣٢،٦٨
٢٥٠	فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا	٧٩	٤٨
٢٥١	فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ	٨١	١٣٢

سورة العنكبوت

٢٥٢	.....وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ	٤٥	١١٣
٢٥٣	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ.	٥٧	٩٠
٢٥٤	فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ	٦٥	١٤٢

سورة الروم

٢٥٥	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا	٣٠	٧٢

سورة لقمان

٢٥٦	وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.	١٣	١٣٢
٢٥٧	وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا	١٥	١٩٧
٢٥٨	وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ	١٨	١٦٢

سورة السجدة

٢٥٩	قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ.	١١	٩٣
٢٦٠	وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا	٢٠	٩٨

٢٦١	وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ.	٢١	٤٦

سورة الأحزاب

٢٦٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ	٩	٥٤
٢٦٣	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآَخِرَ ...	٢١	١٥٢،٧٤
٢٦٤	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ ...	٣٦	٧٨
٢٦٥	مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ	٤٠	١٦١

سورة سبأ

٢٦٦	فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ	١٤	١٨١

سورة يس

٢٦٧	إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ	١٢	٩٧،٩٢
٢٦٨	قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ.	٢٦	١٩٠
٢٦٩	بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ المُكْرَمِينَ.	٢٧	١٩٠
٢٧٠	لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ	٤٠	١٧٣

سورة الزمر

٢٧١	اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا	٤٢	٩٣
٢٧٢	وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ	٦٥	١٤١
٢٧٣	وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ...	٦٨	١١٦

سورة غافر

٢٧٤	وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ ...	٢٨	٣٨
٢٧٥	وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ	٦٠	٤١

سورة فصلت

٢٧٦	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ	٦	٥٧
٢٧٧	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا	٣٠	١٢٦
٢٧٨	سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ	٥٣	٣٦

سورة الشورى

٢٧٩	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ	١٣	١٨٤

سورة الزخرف

٢٨٠	وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ	١٩	١٨٣
٢٨١	وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ.	٣١	٣٢،٦٨
٢٨٢	أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ.	٥٢	٦٨

سورة الجاثية

٢٨٣	أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ	٢٣	٨٠

سورة الأحقاف

٢٨٤	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.	١٣	١٢٦
٢٨٥	أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.	١٤	١٢٦

سورة محمد

٢٨٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ.	٧	٥٤
٢٨٧	هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ	٣٨	١٤٩

سورة الفتح

٢٨٨	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ	٢٩	٢٨

سورة ق

٢٨٩	إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ.	١٧	٩٢
٢٩٠	مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ.	١٨	٩٢

سورة الذاريات

٢٩١	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.	٥٦	١٠٠
٢٩٢	مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ.	٥٧	١٨٤
٢٩٣	إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ.	٥٨	١٨٤

سورة النجم

٢٩٤	مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى.	١١	١٨٧

٢٩٥	وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى.	١٣	١٨٦

سورة الرحمن

٢٩٦	يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا	٣٣	٤٧
٢٩٧	فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.	٣٤	٤٨
٢٩٨	يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ.	٣٥	٤٨

سورة المجادلة

٣٠٠	لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ	٢٢	٧٣

سورة الحشر

٣٠١	مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَللهِ وَلِلرَّسُولِ	٧	٦٠
٣٠٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ	١٨	٥٩

سورة الممتحنة

٣٠٣	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالمَوَدَّةِ...	١	٦٤

سورة الصف

٣٠٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ.	٢	١٥٢
٣٠٥	كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ.	٣	١٥٢
٣٠٦	وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ	٦	١٥٩

سورة التغابن

٣٠٧	فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ	١٦	٨١

سورة الطلاق

٣٠٨	ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا.	٥	٦٠

سورة الحاقة

٣٠٩	وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ.	٥	٥٠
٣١٠	سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى القَوْمَ فِيهَا صَرْعَى	٦	٥٠
٣١١	فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ.	٧	٥٠
٣١٢	فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ.	٨	٥٠

سورة المعارج

٣١٣	وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا.	١٠	٥٩
٣١٤	يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ.	١١	٥٩
٣١٥	وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ.	١٢	٥٩
٣١٦	وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ.	١٣	٥٩
٣١٧	وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ.	١٤	٥٩

سورة الجن

٣١٨	قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا.	١	٥٥
٣١٩	يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا.	٢	٥٥
٣٢٠	وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا.	٨	١٤٤
٣٢١	وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا.	٩	١٤٤

سورة المدثر

٣٢٢	مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ.	٤٢	١١٣
٣٢٣	قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ.	٤٣	١١٣

سورة القيامة

٣٢٤	إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.	٢٣	١٨٨

سورة النبأ

٣٢٥	وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا.	٩	٨٩
٣٢٦	وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا.	١١	٩٠
٣٢٧	إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا.	٢١	٥٥
٣٢٨	لِلطَّاغِينَ مَآبًا.	٢٢	٥٥
٣٢٩	لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا.	٢٣	٥٥
٣٣٠	لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا.	٢٤	٥٥
٣٣١	إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا.	٢٥	٥٥
٣٣٢	جَزَاءً وِفَاقًا.	٢٦	٥٥

٣٣٣	إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا.	٢٧	٥٥
٣٣٤	وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا.	٢٨	٥٥
٣٣٥	وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا.	٢٩	٥٥
٣٣٦	فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا.	٣٠	٥٥

سورة النازعات

٣٣٧	وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا.	١	١٤٥
٣٣٨	وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا.	٢	١٤٥
٣٣٩	يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا.	٤٢	٩٤
٣٤٠	فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا.	٤٣	٩٤
٣٤١	إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا.	٤٤	٩٤
٣٤٢	إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا.	٤٥	٩٤
٣٤٣	كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا.	٤٦	٩٤

سورة عبس

٣٤٤	وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ.	٣٨	٥٩
٣٤٥	ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ.	٣٩	٥٩

سورة التكوير

٣٤٦	وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ.	٢٣	١٨٦

سورة الانفطار

٣٤٧	كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ.	٩	٩١
٣٤٨	وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ.	١٠	٩٢،٩١
٣٤٩	كِرَامًا كَاتِبِينَ.	١١	٩٢
٣٥٠	يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ.	١٢	٩٢

سورة البروج

٣٥١	إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ	١٠	١٩٠
٣٥٢	إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ.	١٢	٣٧

٣٥٣	إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ.	١٣	٣٧

سورة الأعلى

٣٥٤	الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى.	٢	٣٥
٣٥٥	وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى.	٣	٣٥

سورة الفجر

٣٥٦	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ.	٦	٥
٣٥٧	إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ.	٧	٥
٣٥٨	وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالوَادِ.	٩	٥٠
٣٥٩	كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا.	٢١	٩٦

سورة البينة

٣٦٠	وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ	٥	١١١

سورة الزلزلة

٣٦١	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ.	٧	٩٧
٣٦٢	وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.	٨	٩٧

سورة الإخلاص

٣٦٣	قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ.	١	١٨٣
٣٦٤	اللهُ الصَّمَدُ.	٢	١٨٣
٣٦٥	لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ.	٣	١٨٣
٣٦٦	وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.	٤	١٨٣

فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	الراوي	الصفحة
١	أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم	مسلم	٣٧
٢	إذا رأيت العبد يعطي العبد من الدنيا على معاصيه	أحمد	٤٧
٣	إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله	البخاري	٦٧
٤	إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث	الترمذي	١٦٦
٥	اطلع النبي علينا يوماً ونحن نتذاكر فقال:ما تذاكرون؟...	مسلم	٩٥
٦	أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت	البخاري	٩٨
٧	أعطيت مكان التوراة السبع، ومكان الزبور المائين	**البيهقي (الصغير)**	٥
٨	أقبل علينا رسول الله، فقال: يا معشر المهاجرين	ابن ماجه	٤٦
٩	اقرءوا القرآن فإنه يأتي شفيعاً لأصحابه	مسلم	١٦٥
١٠	أكبر الكبائر الشرك بالله	البخاري	١٤١
١١	ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده	الترمذي	١٥٨
١٢	ألا أخبركم بأهل الجنة، كل ضعيف متضعف	متفق عليه	١٦٣
١٣	أنا زعيم ببيت في ربض الجنة	أبو داود	١٢٩
١٤	أن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل	الترمذي	١٤٩
١٥	إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا...	ابن ماجه	١٤٧
١٦	إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر .	الترمذي	٩١
١٧	إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته	البخاري	٤٥
١٨	إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله..	الطبراني(الكبير)	٦٥
١٩	إن أول الناس يوم القيامة يقضى عليه	مسلم	١١٢
٢٠	إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً.....	البخاري	١١٢
٢١	أن رجلاً زار أخاً له	مسلم	٦٦
٢٢	إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها	البخاري	٩٧
٢٣	إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض	مسلم	١١٦
٢٤	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي	البخاري	١٦١
٢٥	إن من أفضل أيامكم الجمعة، فيه خلق آدم	الحاكم	١١٦
٢٦	أن النبي ﷺ صلى على أصحمة فكبر أربعاً.	البخاري	٨٢

٢٧	أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء	البخاري	٦
٢٨	إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.....	البخاري	١١١
٢٩	بايعت رسول الله ﷺ أنا وأبي وجدي	البخاري	١١٢
٣٠	بين النفختين أربعون	متفق عليه	١١٦
٣١	بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم	متفق عليه	١٥٦
٣٢	تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس	الحاكم	٩٦
٣٣	ثلاث من كن فيه وجد فيهن حلاوة الإيمان:	البخاري	٦٥
٣٤	جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن	ابن ماجه	٦٣
٣٥	حق المسلم على المسلم ست	مسلم	٦٦
٣٦	خبأت لك خبيئاً.....	متفق عليه	١٤٥
٣٧	ذروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم	مسلم	٧٩
٣٨	رأيت ربي في أحسن صورة.	أبو يعلي	١٨٧
٣٩	ردوا علي أبي	ابن أبي شيبة	١٢١
٤٠	سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله	متفق عليه	١٣٩
٤١	صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم أقبل علينا	البيهقي(الكبرى)	٧٩
٤٢	فضلت على الأنبياء بست	مسلم	١٦١
٤٣	فيقول الله ﷻ: شفعت الملائكة وشفع النبيون	مسلم	١٦٥
٤٤	قال أعرابي: يا رسول الله: ما الصور، قال: قرن	أحمد	١١٥
٤٥	قال تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك	مسلم	١١١،٧١
٤٦	قل لي في الإسلام قولاً	مسلم	١٢٦
٤٧	كان رسول الله يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل	مسلم	٩٥
٤٨	كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب	مسلم	١١٦
٤٩	كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى	البخاري	٧٨
٥٠	كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر يعني ليلة البدر.....	متفق عليه	١٨٧
٥١	كنا مع النبي ستة نفر، فقال المشركون للنبي: اطرد	مسلم	٦٢
٥٢	كنا نرقى في الجاهلية	مسلم	١٤٦
٥٣	كيف أنعم وصاحب القرن قد إلتقم	الترمذي	١١٥
٥٤	لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا.....	مسلم	٦٧

٥٥	لا طاعة لمخلوق في معصية الله ﷻ.	أحمد	١٩٧
٥٦	لا يرد القضاء إلا الدعاء	الترمذي	٤٢
٥٧	لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد	مسلم	٣٦
٥٨	للشهيد عند الله ست خصال	الترمذي	١٦٥
٥٩	لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق ...	أحمد	٣٥
٦٠	ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب	مسلم	١٣٨
٦١	ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة	الترمذي	١٣٨
٦٢	مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله	البخاري	٨٧
٦٣	من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه فيما يقول	الحاكم	١٤٤
٦٤	من أتى عرافاً فسأله عن شيء	مسلم	١٤٥
٦٥	من أخذ السبع الأول من القرآن فهو خير.	الحاكم	٥
٦٦	من أشد الناس بلاءً	الترمذي	١٣٨
٦٧	من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله..	متفق عليه	١٩٦
٦٨	من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر.....	أبو داود	١٤٥
٦٩	من حلف بغير الله فقد كفر .	الحاكم	١٤٦
٧٠	من ردته الطيرة عن حاجة فقد أشرك.	أحمد	١٤٦
٧١	من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم	مسلم	١٨٦
٧٢	من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله	الترمذي	٦٦
٧٣	نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة واحدة حولها	ابن كثير	٤
٧٤	نزلت سورة الأنعام على رسول الله ﷺ وأنا آخذة بزمام ...	**البيهقي (الصغير)**	٥
٧٥	نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد	**البيهقي (الصغير)**	٥
٧٦	نزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة وشيعها	الطبراني	٣
٧٧	نزلت في خمس من قريش، أنا وابن مسعود فيهم.....	الحاكم	٦٢
٧٨	نعى لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة	البخاري	٨٢
٧٩	هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟.....	متفق عليه	١٧٠-١٧١
٨٠	يا خير البرية، قال رسول الله ﷺ: ذاك إبراهيم.	مسلم	١٣٥
٨١	يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده.....	النسائي	٣٧
٨٢	يحشر الناس يوم القيامة على على أرض بيضاء	مسلم	٩٧

٨٣	يخرج في أمتي المهدي يسقيه الله الغيث	الحاكم	٩٦
٨٤	يقول العبد: مالي مالي	مسلم	١٦٦

فهرس الأعلام المترجم لهم

م	أسماء الأعلام	الصفحة
١	أبو أمامة الباهلي	١٦٥
٢	أبو بكر بن العربي	١١
٣	أسماء بنت يزيد بن السكن	٣
٤	أصحمة بن أبحر النجاشي	٨١
٥	الأقرع بن حابس	٦٣
٦	أوس بن أوس	١١٦
٧	جالوت	١٩٠
٨	الحارث الأشعري	١٤٩
٩	حارثة بن وهب	١٦٢
١٠	حبيب النجار	١٩٠
١١	حذيفة بن أسيد	٩٥
١٢	زيد بن أسلم	١٠٤
١٣	السدي	١٩٧
١٤	سفيان بن عبد الله الثقفي	١٢٦
١٥	سلام بن أبي الحقيق	١٠٨
١٦	سهل بن سعد	٩٧
١٧	طالوت	١٩٠
١٨	عبد الله بن سعد بن أبي السرح	١٦٠
١٩	عبد الله بن عبد الله بن أُبي سلول	٦٥
٢٠	عبد ياليل بن كلال	١٧٠
٢١	عثمان بن جني	٢١
٢٢	عروة بن مسعود	١٢١
٢٣	العز عبد العزيز بن عبد السلام	١١
٢٤	عقبة بن عامر الجهني	٩٦
٢٥	عوف بن مالك الأشجعي	١٤٦

٢٦	عيينة بن حصن	٦٣
٢٧	قتادة	١٩٧
٢٨	المأمون	١٢٧
٢٩	مجاهد بن جبر	١١٥
٣٠	محمد بن كعب القرظي	١٥٥
٣١	مسروق بن الأجدع الهمداني	١٨٦
٣٢	مصطفى أتاتورك	٤١
٣٣	المعتصم	١٢٧
٣٤	معن بن يزيد	١١٢
٣٥	مقاتل بن سليمات البلخي	٣٦
٣٦	المقداد بن معدي كرب	١٦٥
٣٧	ميمون بن مهران	٢٩
٣٨	النضر بن الحارث	٧٥
٣٩	النضير بن الحارث	١٦٣
٤٠	الواثق	١٢٧

المصادر والمراجع

١- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢- الإتقان في علوم القرآن: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مجمع الملك فهد – السعودية.

٣- الأدلة المادية على وجود الله: محمد متولي الشعراوي.

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥- الأساس في التفسير: سعيد حوى، دار السلام، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٦- أسباب النزول: أبو الحسين علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، مؤسسة الحلبي – القاهرة، طبعة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

٧- الإستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر توفي سنة ٤٦٣هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، سنة ١٤١٢هـ.

٨- الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

٩- إعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار اليمامة ودار ابن كثير – دمشق، الطبعة السابعة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٠- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، الطبعة ١٥ سنة ٢٠٠٢م.

١٠ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل: عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٥م.

١١ – أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة "دراسة تحليلية"، رسالة ماجستير من إعداد الباحث حسن عبد الله طه الخطيب، إشراف الدكتور عبد الكريم الدهشان .

١٢ – أوضح التفاسير: محمد بن محمد عبد اللطيف بن الخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤.

١٣ – أيسر التفاسير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر بن أبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
١٤ – الإيمان أركانه وحقيقته ونواقضه: محمد نعيم ياسين، مكتبة السنة – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.
١٥ – البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار التراث – القاهرة.
١٦ – بصائر ذوي التمييز بلطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦ م.
١٧ – البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
١٨ – التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون – تونس ١٩٩٧م.
١٩ – تفسير الجلالين: جلال الدين بن أحمد المحلي وجلال الدين السيوطي، دار الفجر – بيروت.
٢٠ – تفسير الشعراوي (خواطر الشعراوي): الشيخ محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم– مصر، سنة ١٩٩٧م .
٢١ – تفسير القرآن العظيم: الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، مكتبة دار التراث – القاهرة، الجزء الثاني.
٢٢ – التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة الزحيلي، دار الفكر – دمشق، الطبعة العاشرة ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
٢٣ – التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم، جامعة الشارقة – كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ١٤٣١ هـ– ٢٠١٠م.
٢٤ – تقريب التهذيب : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق : أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة.
٢٥ – التكفير بين خطورته وشرعيته وأسبابه وضوابطه: جمع وترتيب أ.د جابر السميري، الجامعة الإسلامية – كلية أصو الدين، ١٤٣٠ هـ– ٢٠١٠ م.
٢٦ – تناسق الدرر في تناسب السور: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٢٧ – تهذيب إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تهذيب عبد السلام هارون، دار النشر والتوزيع الإسلامية– مصر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٢٨ – التوسل أنواعه وأحكامه: محمد ناصر الدين بن حاج نوح الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة.
٢٩ – تيسير الكريم الرحمن: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٣٠ – الثقات: أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي، مكتبة الدار – المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
٣١ – الجامع لأحكام القرآن: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
٣٢ – جامع البيان في تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٣٣ – جامع العلوم والأحكام: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٣٤ – الحديث الموضوعي: صادر عن مناهج جامعة المدينة العالمية – جامعة المدينة العالمية.
٣٥ – حصول المأمول: عبد الله بن صالح الفوزان، مكتبة الرشد.
٣٦ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
٣٧ – الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري، دار الهلال – بيروت، الطبعة الأولى.
٣٨ – روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن: محمد علي الصابوني، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
٣٩ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، دار إحياء التراث – بيروت.
٤٠ – زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
٤١ – السباق إلى العقول: عبد الله قادري الأهدل، المكتبة الشاملة.
٤٢ – سبل السلام شرح بلوغ المرام: محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني، دار الحديث– القاهرة، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م.

٤٣ – سلسلة أركان الإيمان: علي محمد الصلابي، دار التوزيع والنشرت مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ– ٢٠١٣م.
٤٤ – السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الشاملة موافق للمطبوع.
٤٥ – السلسلة الضعيفة: محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م.
٤٦ – سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق بشار عواد معروف، دار الجيل– بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٢م.
٤٧ – سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد السجستاني، دار الكتاب العربي.
٤٨ – سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الجيل – بيروت، ودار العرب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.
٤٩ – السنن الصغير: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق عبد المعطي أمين قلجي، جامعة الدراسات الإسلامية– كراتشي، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.
٥٠ – السنن الكبرى: البيهقي، مجلس دائرة المعارف – حيدر أباد، الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ.
٥١ – سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، دار المعرفة– بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ.
٥٢ – سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة– بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.
٥٣ – السيرة النبوية: أبو محمد عبد الملك بن هشام، شركة القدس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ –٢٠٠٨م.
٥٤ – شرح رياض الصالحين: .ابن عثيمين، المكتبة الشاملة، الترقيم غير موافق للمطبوع .
٥٥ – شرح العقيدة الطحاوية: علي بن أبي العز الحنفي، إعداد وتعليق عبد الآخر جماد الغنيمي، تقديم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، دار الصحابة، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.
٥٦ – شرح العقيدة الطحاوية: عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، إعداد عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
٥٧ – شرح النووي على مسلم: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الدين النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٥٨ – صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٥٩ – صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الخامسة.
٦٠ – صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل– بيروت.
٦١ – صحيح وضعيف ابن ماجه: الألباني، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة– الإسكندرية.
٦٢ : صحيح وضعيف أبي داود: الألباني، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة– الإسكندرية.
٦٣ – صحيح وضعيف النسائي: الألباني، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة– الإسكندرية.
٦٤ – صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧– ١٩٩٧.
٦٥ – طبقات المفسرين: جلال الدين السيوطي، مكتبة وهبة– القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.
٦٦ – عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُنة: سعيد بن وهف القحطاني، مطبعة سفير – الرياض.
٦٧ – علم أصول الفقه: عبد الوهاب خلاف، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
٦٨ – علم مقاصد السور: محمد عبد الله ربيعة، جامعة القصيم، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م.
٦٩ – عمدة القاري شرح صحيح مسلم: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار الفكر العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١– ٢٠٠١م.
٧٠ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت.
٧١ – فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني.
٧٢ – الفقه الإسلامي وأدلته: وهبة الزحيلي، دار الفكر – دمشق، الطبعة الرابعة.
٧٣ – فقه العبادات: محمد بن صالح العثيمين، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥هـ.
٧٤ – فيض القدير: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٧٥ – في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة السابعة عشر – ١٤١٢ هـ
٧٦ – قصص الأنبياء: ابن كثير، مكتبة آفاق– غزة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
٧٧ – القول المفيد على كتاب التوحيد: لابن عثيمين، دار ابن الجوزي– السعودية، الطبعة الثانية– محرم ١٤٢٤هـ.
٧٨ – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون القاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
٧٩ – لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن بن عمر الشيخي الخازن، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٨٠ – اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٨١ – لباب النقول: السيوطي، دار إحياء العلوم – بيروت.
٨٢ – لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، دار المعارف – القاهرة.
٨٣ – مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة عشرة ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.
٨٤ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسين نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، دار المأمون للتراث– دمشق.
٨٥ – مجموع الفتاوى: تقي الدين ابو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.
٨٦ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية– لبنان ١٤١٣هـ–١٩٩٣م.
٨٧ – مختصر ابن كثير: اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم– بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م.
٨٨ – المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدوية النيسابوري، دار المعرفة – بيروت.
٨٩ – مسند أحمد: الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة– بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ–١٩٩٥م.

٩٠ – مسند أبي يعلي: أبو يعلي أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، دار المأمون للتراث– دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
٩١ – مصنف بن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ – ١٩٩٦م.
٩٢ – المعجم الصغير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، تحقيق محمود شكور، المكتب الإسلامي– بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
٩٣ – معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتاب، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
٩٤ – معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الفكر – بيروت، ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م.
٩٥ – مفاتح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٩٦ – مفتاح دار السعادة: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية المتوفى : ٧٥١هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٩٧ – مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: علاء الفاسي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الخامسة ١٩٩٣م .
٩٨ – المقاصد العامة للشريعة: يوسف حامد العلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي – الرياض، الطبعة الثانية ١٥١٤هـ– ١٩٩٤م.
٩٩ – الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة – بيروت، سنة ١٤٠٤هـ.
١٠٠ – المنهج الحركي للسيرة النبوية: منير محمد الغضبان، مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن، الطبعة السادسة ١٤١١هـ – ١٩٩١.
١٠١ – المنهج الصحيح: عبد الله بن محمد الغنيمان، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
١٠٢ – الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، دار المعارف، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
١٠٣ – موسوعة الألباني في العقيدة: محمد ناصر الدين الألباني، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية– اليمن، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م.

١٠٤ – نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور: إسماعيل الحسيني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م .
١٠٥ – النظم الإسلامية: للدكتور أحمد ذياب شويدح والدكتور زياد إبراهيم مقداد والدكتور ماهر أحمد السوسي، الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٠٦ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
١٠٧ – نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة: سعيد بن وهف القحطاني.
١٠٨ – الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي الأندلسي، مجموعة بحوث الكتاب والسُنة- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.
١٠٩ – الولاء والبراء: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، تقديم الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
١١٠ – اليوم الآخر من الموت إلى الخلود في الجنة أو النار: الدكتور أحمد جابر محمود العمصي، مكتبة دار المنارة- غزة، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	ب
شكر وتقدير	ج
المقدمة	د
الفصل التمهيدي	١
المبحث الأول: التعريف العام بسورة الأنعام.	٢
المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها.	٣
المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة.	٥
المطلب الثالث: فضائل السورة وجو نزولها.	٥
المطلب الرابع: المحور الأساسي للسورة.	٧
المطلب الخامس: الهداف العامة للسورة	٨
المبحث الثاني: المناسبات في سورة الأنعام.	١٠
المطلب الأول: المناسبة لغة واصطلاحاً.	١١
المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها أي سورة المائدة.	١٢
المطلب الثالث: مناسبة السورة لما بعدها أي الأعراف.	١٣
المطلب الرابع: مناسبة أول السورة بآخرها.	١٤
المبحث الثالث: التعريف بالدراسة التحليلية.	١٦
المطلب الأول: المقصود بالدراسة التحليلية.	١٧
المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية.	١٧
المبحث الرابع: تعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها.	٢٠
المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً.	٢١
المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً.	٢٢
المطلب الثالث: الفرق بين المقاصد والأهداف.	٢٣
المطلب الرابع: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.	٢٣
المطلب الخامس: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور.	٢٤

الفصل الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنعام، الآيات ٣٦-٨٥.	٢٦
المبحث الأول: إعراض الكافرين عن القرن الكريم عناداً وكفراً، الآيات.	٢٧
المطلب الأول: استجابة المؤمنين دليل حياتهم، وعناد الكافرين دليل موتهم.	٢٨
المطلب الثاني: عناد الكافرين وإعراضهم مع وجود الآيات	٣٠
المطلب الثالث: علم الله ﷻ وقدرته المطلقة.	٣٣
المطلب الرابع: القرآن الكريم كلام الله ﷻ الكامل الشامل.	٣٦
المطلب الخامس: العدالة الربانية بالقصاص يوم القيامة.	٣٧
المطلب السادس: مشيئة الله ﷻ الغالبة في الهداية والإرشاد.	٣٨
المطلب السابع: دعاء المؤمنين والكافرين في الكربات والشدائد.	٤٠
المبحث الثاني: السنن الربانية.	٤٣
المطلب الأول: تعذيب الأمم التي تكذب بالرسل في الدنيا.	٤٤
المطلب الثاني: سنة الاستدراج طريق المتكبرين إلى الهاوية.	٤٦
المطلب الثالث: سلب النعم من المكذبين الكافرين.	٤٨
المبحث الثالث: مهمة النبي ﷺ.	٥١
المطلب الأول: مهمة الرسل تبشير المؤمنين وإنذار الكافرين.	٥٢
المطلب الثاني: الرسول ﷺ بشر يوحى إليه، ولا يعلم الغيب.	٥٥
المطلب الثالث: ارشاد المؤمنين إلى سبيل النجاة.	٥٨
المطلب الرابع: أمر النبي ﷺ بملازمة المؤمنين ومجالستهم.	٦١
المطلب الخامس: تفصيل الآيات لتوضيح أمور الدين وطريق المجرمين.	٦٩
المطلب السادس: تبرؤ النبي ﷺ من الشرك وأهله.	٧١
المطلب السابع: النبي ﷺ على بينة من ربه.	٧٣
المطلب الثامن: استعجال الكافرين العذاب الذي هو بيد الله ﷻ.	٧٥
المطلب التاسع: الحاكمية لله رب العالمين.	٧٧
الفصل الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنعام، الآيات ٥٩-٧٣.	٨٣
المبحث الأول: مفاتح الغيب، والعلم الدقيق.	٨٤

المطلب الأول: استئثار الله تعالى بالغيب.	٨٥
المطلب الثاني: آيات الله تعالى الليل والنهار والموت والبعث والجزاء.	٨٨
المطلب الثالث: خضوع كل شيء للواحد القهار.	٩١
المطلب الرابع: رجوع الخلق لربهم يوم القيامة.	٩٤
المطلب الخامس: نعمة الله تبارك وتعالى على العباد بانجائهم من الشدائد.	٩٨
المبحث الثاني: وعيد وتهديد.	١٠٢
المطلب الأول: التحذير من ألوان مختلفة من العذاب.	١٠٣
المطلب الثاني: الاعراض عن مجالسة المستهزئين لئلا يحاسبوا بما يقولوا.	١٠٦
المطلب الثالث: الأمر بلإخلاص وإقامة الصلاة للنجاة من سخط الله ﷻ.	١٠٩
المطلب الرابع: خالق الكون قادر على البعث والجزاء.	١١٤
الفصل الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنعام، الآيات ٧٤-٩٤.	١١٨
المبحث الأول: قصة إبراهيم عليه السلام.	١١٩
المطلب الأول: دين إبراهيم عليه السلام الصافي الخالص.	١٢٠
المطلب الثاني:استدراج إبراهيم عليه السلام لقومه،وإقامة الحجة على بطلان عبادة الأوثان.	١٢٢
المطلب الثالث: إعلان إبراهيم عليه السلام عن إيمانه وتوحيده لله ﷻ.	١٢٥
المطلب الرابع: مجادلة إبراهيم عليه السلام لقومه.	١٢٨
المطلب الخامس: أثر الإيمان الخالص في جلب الأمن والإستقرار.	١٣١
المطلب السادس: فضل إبراهيم عليه السلام.	١٣٣
المبحث الثاني: ذكر الرسل والأنبياء (عليهم السلام).	١٣٦
المطلب الأول: أبناء إبراهيم عليه السلام من الرسل والأنبياء.	١٣٧
المطلب الثاني: الشرك يحبط الأعمال.	١٤١
المطلب الثالث: سنة التغيير والإستبدال.	١٤٨
المطلب الرابع: أمر الرسول ﷺ بالإقتداء بهم.	١٥٠
المبحث الثالث: الرد على منكري الوحي.	١٥٣
المطلب الأول: انكار اليهود انزال الله أي كتاب على بشر.	١٥٤
المطلب الثاني: علاقة القرآن بالكتب السماوية.	١٥٧
المطلب الثالث: كذب وافتراء الكافرين والمكذبين.	١٦٠

المطلب الرابع: انقطاع العلاقات بين المشركين وآلهتهم.	١٦٣
الفصل الرابع: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنعام، الآيات ٩٥-١١٠.	١٦٦
المبحث الأول: مظاهر قدرة الله في الكون.	١٦٧
المطلب الأول: اخراج الحي من الميت، والميت من الحي.	١٦٨
المطلب الثاني: استعراض آيات الصبح والليل والشمس والقمر.	١٧١
المطلب الثالث: الاهتداء بالنجوم في أسفارهم.	١٧٤
المطلب الرابع: خلق الإنسان من نفس واحدة.	١٧٥
المطلب الخامس: الماء سبب في الحياة.	١٧٧
المبحث الثاني: نفي مزاعم الكافرين، وتقرير التوحيد الخالص.	١٧٩
المطلب الأول: افتراء الكافرين بزعمهم أن لله ﷻ شركاء من الجن.	١٨٠
المطلب الثاني: الرد على من نسب لله ﷻ الولد.	١٨٢
المطلب الثالث: صفات الله القدسية.	١٨٤
المطلب الرابع: القرآن جاء فيه البيان والبصائر.	١٨٨
المطلب الخامس: ادعاء الكافرين جهلاً أن النبي ﷺ درس الكتب وجاء بالقرآن.	١٩٠
المبحث الثالث: صور من منهج التعامل مع المشركين.	١٩٤
المطلب الأول: اتباع أمر الله ﷻ، والإعراض عن الجاهلين.	١٩٥
المطلب الثاني: النهي عن مبادلة الكفار السب والشتم.	١٩٧
المبحث الرابع: عناد المشركين.	٢٠٠
المطلب الأول: الآيات والمعجزات بيد الله وليس بطلبات المشركين.	٢٠١
المطلب الثاني: حال المشركين المخالف للفطرة.	٢٠٣
الخاتمة	٢٠٥
الفهارس	٢٠٧
فهرس الآيات القرآنية.	٢٠٨
فهرس الأحاديث النبوية.	٢٢٧
فهرس الأعلام المترجم لهم.	٢٣٠
فهرس المصادر والمراجع.	٢٣٢

فهرس الموضوعات.	٢٤٠
ملخص الرسالة باللغة العربية.	٢٤٥
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.	٢٤٦

ملخص الرسالة

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الرابع عشر من القرآن الكريم
سورة الأنعام من آية (٣٦ – ١١٠)

تناول فيها الباحث مقاصد وأهداف الحزب الرابع عشر من القرآن الكريم، وهي الآيات من ٣٦ إلى ١١٠ من سورة الأنعام، وقد تكون البحث من مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة.

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج الباحث.

أما الفصل التميهدي: تحدث الباحث فيه عن التعريف العام بسورة الأنعام، والمناسبات في سورة الأنعام، وتعريف الدراسة التحليلية ومتطلباتها، وتعريف المقاصد والأهداف وأهميتها .

أما الفصل الأول: فقد تناول الباحث الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنعام من الآية (٣٦ـ ٥٨)، وتضمن الفصل ثلاثة مباحث تحدث من خلالها عن إعراض الكافرين عن القرآن الكريم وعنادهم وكفرهم، والسنن الربانية، ومهمة النبي ﷺ.

و**الفصل الثاني: و**تناول الباحث فيه الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنعام من الآية (٥٩ـ ٧٣)، ويحتوي على مبحثين تحدث فيهما عن مفاتح الغيب والعلم الدقيق، ووعيد وتهديد من اللهﷻ.

والفصل الثالث: وتناول الباحث الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنعام من الآية (٧٤ـ ٩٤)، ويحتوي على ثلاثة مباحث تحدث فيها عن قصة إبراهيم عليه السلام، وذكر الرسل والأنبياء من أبناء إبراهيم عليه السلام، والرد على منكري الوحي.

والفصل الرابع: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الأنعام من الآية (٩٥ـ ١١٠) ، ويحتوي على أربعة مباحث تحدث فيها عن مظاهر قدرة الله في الكون، ونفي مزاعم الكافرين وافتراءاتهم، وتقرير التوحيد الصحيح، وصور من منهج التعامل مع المشركين.

وأما الخاتمة : فقد استعرض الباحث فيها أهم النتائج والتوصيات.

Abstract

Praize be to Allah , peace be upon his prophet " Mohammad" and Allah's good pleasure be on the prophet's companion and those who follow the right path, I thank Allah who helps me complete this work .

The study of Quran is one of the greatest and best studies . It searches in Allah's book which was revealed on his servant the prophet Mohammad to defy people to produce a verse like it's verses and to be a constitution which directs peopge's life towards welfare and happiness in this worldy life and the hereafter.

In this research we deal with verses of the Al- Anaam Surah " Cattle Chapter" (36-110) to deduce its goals and purposes .

Al- Anaam Surah has a great virtue mentioned in the prophet's tradition. It's a Meccan chapter so it deals with creed issues like other Meccan chapter. It decrees monotheism and faith. On the other hand it denies disbelievers and polytheists and refutes their falsity and misguidance.

As we have said the verses deal with several aspects of the creed. It talks about faith Allah and the evidences of Allah's deity. It also talks about the prophet through showing their merits, missions and the sincerity of the prophet Mohammad message. It talks about the angels: the angel of death, Israfeel and the honorable scribes. It talks about the divine religions, the holy Quran inimitability and the hereafter – how to prove it and respond to the deniers. It also talks about believers and commands them to be loyal to other Muslims and deny blasphemy and polytheism. It also displays the ways of dealing with polytheists and what their retribution is.

It's a chapter which decrees Allah's deity and the sincerety of the prophet and the divine inspiration.